

إِتْمَامُ الْوَفَاءِ

فِي سِيَرَةِ الْخَلْفَاءِ

تأليف البرجومي

الشيخ محمد الحضري بك المفلس بوزارة المعارف
ووزير السائر والوزير بالجامعة المصرية



[حقوق الطبع محفوظة]

الطبعة السابعة

١٩٦٠

بمصر الحضري

يطلب من

المكتبة القبارية الكبرى

بمصر ص. ب. ٥٧٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
تاسع فبراير ١٩٦٠م

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



132346

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي
أوضح السبل . وبلغ الرسالة كما حمل ، والرضاء عن أصحابه الكرام
البررة الذين اتبعوا نهجه القويم فدانت لهم الملوك وذلت لهيبتهم
الأمم .

(أما بعد) فيقول المرحوم محمد الخضرى بن المرحوم الشيخ
عفيفى الباجورى سألتنى وفقنى الله وإياك أن أردف لك كتابى فى
سيرة النبى صلى الله عليه وسلم الذى سميته « نور اليقين » بكتاب فيه
تاريخ خلفائه الراشدين . إذ هم الذين ظهر الدين الإسلامى بأسمى
مظاهره فى أيامهم وتجلى فى أجمل حليته بأقوالهم وأفعالهم طالباً منى أن
أنهج على سنن الكتاب الأول فى سهولة التعبير ، والاجتهاد فى جمع
ما تشتت من تاريخ هؤلاء السادة فى مطولات الكتب التى يمل القارئ
منها ذاكر أن من أعظم ما يثبت فى الأمة روح النشاط والاجتهاد أن
تعكف على دراسة تاريخ كبارها حتى تعرف كيف تغلبوا على
المصاعب الجمة التى كادت تحول بينهم وبين أمانهم العظيمة وتعرف
النتيجة التى تعود من اتباع الدين والسير على نظاماته ، فعلبت حسن
قصدك وصحة إيمانك وغيرتك على أمتك ورأيت أن أساعدك على
مقصدك وأن تغلب على المصاعب التى تحول بينى وبين هذا العمل الجسيم
مستعيناً بالله سبحانه وتعالى وهو نعم العون . وقد جعلت الكتاب

قسمين: (القسم الأول) في اتحاد الكلمة وفيه الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفين أبي بكر وعمر وزمن غير قليل من زمن عثمان ابن عفان رضى الله عنهم أجمعين. وأتبعته هذا القسم بنبذة في نظامات الأمة الإسلامية إذ ذاك وسير المسلمين مع بعضهم من حسن الإخاء والسعى وراء تميم ما أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تميم الدين الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها. (القسم الثاني) في عصر الاختلاف والفتن وهو في أواخر مدة عثمان إلى أن قتل علي بن أبي طالب وسلم ابنه الحسن الخلافة إلى معاوية رضي الله عنهم أجمعين وأتبعته بنبذة تظهر للمسلمين نتائج الاختلاف والفرقة ليكون الكتاب بعون الله درساً مفيداً لعامة المسلمين (وقدمت) أمام القسمين مقدمة صغيرة في الخلافة وما يتعلق بها ولعل كتابي هذا محل عند إخواني المسلمين محل القبول فيقبلون عليه كما أقبلوا على سابقه وإني بحمد الله واثق بحسن مسعاى لأنى قصدت به وجه الله سبحانه أسأل به حسن الذخر في الآخرة وتوفيقاً للمسلمين حتى تقوى شوكتهم وينزل الله النصر عليهم .

وهذه هي الكتب التي استقيت منها في جمع كتابي هذا (١) صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفي في كثير من المواضع التي عني فيها بأخبار الصحابة رضى الله عنهم (٢) صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري كذلك (٣) تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري إلا ما كان من أمر صفين فإني لم أعر على الجزء الذي يحتوي عليها (٤) تاريخ أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد

المعروف بابن الأثير الجزرى (٥) تاريخ عبد الرحمن بن خلدون
المغربى (٦) تاريخ على بن الحسين المسعودى من ولد عبد الله بن
مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) إحياء علوم
الدين لأبى حامد محمد بن محمد الغزالى (٨) سراج الملوك لأبى بكر محمد
ابن محمد الفهرى الطرطوشى . وقد التزمت أن أنص لك على موضع
النقل عندما أرى ذلك لازما لما رأيت من حرصك على ذلك
والله الموفق ؟

المقدمة في الخروفة

معنى الخلافة

أرسل الله سبحانه محمد صلى الله عليه وسلم بدين قويم وصرائط مستقيم : من اتبعه نجا ، ومن حاد عنه هلك . وقد اشتمل هذا الدين على قوازين بها صلاح المجتمع الإنساني في الدنيا والآخرة فبلغ عليه الصلاة والسلام الرسالة كما حمل ثم لحق بربه راضياً مرضياً فكان لا بد للناس من إمام يخلفه في حمل الكافة على اتباع هذا الدين ليوقف كل إنسان عند حذره فيتساوى القوي والضعيف والشريف والوضيع أمام الحق فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حراسة الدين وسياسة الدنيا .

وجوب إقامة الخليفة

وقد أجمعت الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوب إقامة هذا الخليفة وتابعهم على ذلك من بعدهم من المسلمين ولم يشذ عن هذا الإجماع أحد ، اللهم إلا بعضاً من الخوارج والأصم من المعتزلة قالوا بالاستغناء عنه إذا صلحت الأمة بأن اتبعت الدين القويم فعملت بالكتاب والسنة ، والذي حملهم على ذلك إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة ممتلئة بدم ذلك والنعي على أهله ومرغبة في رفضه .

عدم تعدد الإمام

وكذلك أجمع المسلمون على أنه لا يصح أن يكون لهم في عصر واحد خليفتان لما يجره ذلك من التنافس والتباغض اللذين هما سبب الخسران والوبال وكفى بما حصل للمسلمين منذ تفرقت كلمتهم وتعدد سلطانهم مانعاً من ذلك فإن عدوهم تمكن من أن يتصنع لأحدهم ليستعين به على الآخر فكان ملوك الروم يتقربون من ملوك الأندلس ليكونوا لهم ردياً مانعاً من تعدى العباسيين عليهم وصارت الحال تتقهقر من سيئ إلى أسوأ حتى زمننا الذي نجتهد فيه للتقرب ممن يتمنون لنا الفناء والزوال ولو عرف ملوك الإسلام مصلحتهم وأزالوا الكبرياء من نفوسهم فتمسكوا بالدين ما وصلوا إلى هذا الدرك الأسفل (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبواب) .

صاحب الخلافة

منصب عظيم كمنصب الخلافة لا يستغرب تشعب الأفكار فيه واختلاف الأمة في الأحق به فقد مضت القرون والأحقاب وهذه المسألة شاغلة أفكار العلماء من أكابر المسلمين وأول خلاف ظهر فيها كان عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأصحاب كانوا في ذلك على ثلاثة مذاهب (قوم) قالوا إنها ترجع لرأى الأمة تختار من تشاء ليكون إماماً لها متى رأوا فيه القدرة على حراسة الدين وسياسة الدنيا لا فرق في ذلك بين القرشي وغيره وكان هذا رأى

أغاب الأنصار من سكان المدينة رضوان الله عليهم ولذلك طلبوها
لأنفسهم وأرادوا أن يبايعوا سعد بن عبادَةَ سيد الخزرج . وأخذ
برأيهم من بعدهم عامة المعتزلة وأكثر الخوارج والحججة في ذلك قوله
عليه الصلاة والسلام « اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي
ذو زبينة ، و (قوم) قالوا هي باختيار الأمة أيضا ولكن لا تكون
إلا في قريش وكان هذا رأى أغلب المهاجرين رضوان الله عليهم .
وأخذ برأيهم من بعدهم عامة أهل السنة ، والحججة في ذلك ما رواه
أبو بكر رضى الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام (الأئمة من
قريش ، و (قوم) رأوا أن الأولى بها قرابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمقدم فيهم على بن أبي طالب رضى الله عنه لسابقته
بالإسلام وحسن بلائه فيه وقوله عليه السلام له حينما خلفه على
أهله في غزوة تبوك « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من
موسى إلا أنه لا نبوة بعدى ، وكان هذا رأى أغلب بنى هاشم ومن
شايعهم . وأخذ برأيهم من بعدهم عامة الشيعة والدليل على أن ذلك
كان رأيا لعلي قوله لأبي بكر في حديث مسلم الآتى « وكنا نحن نرى
لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن رضى الله
عنه يرى لنفسه مرجحاً سوى هذه القرابة ولو كان هناك وصاية له
أو لغيره لما خفيت عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
تغلب الرأى الأوسط على ما سواه عقب وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن ظهر لهذا الاختلاف في مستقبل الأمة آثار
لا تحمد من الشقاق العظيم والمصائب التى توالى على الأمة حتى

فرقت كلمتها وأضعفت أمرها . ولو روعى السر الذي من أجله
خصصت قريش بالخلافة لما كان هناك خلاف ولا فرقة .

السر في تخصيص قريش بالخلافة

وإنما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بخلافته اعتباراً للعصبية
التي تكون بها الحماية ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب
المنصب فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها ولا شك أن
قريشاً كان لهم العز والشرف على سائر مضر ، يعترف لهم بذلك سائر
العرب ، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم
وعدم انقيادهم فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة وهذا ما حذره
الشرع ، أما إذا جعل فيهم فلا يحصل شيء من ذلك لأنهم قادرون على
سوق الناس بعصا الغلب لما يراد منهم فلا يخشى من أحد اختلاف
عليهم ولا فرقة لأنهم كفيلون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها .
قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه بعد كلام لا يخرج عما ذكرناه
فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان
لهم من العصبية والغلب وعلينا أن الشارح لا يخص الأحكام بحيل
ولا عصر ولا أمة ، علينا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه
إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهو وجود
العصبية فاشتربنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم
أولى عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم
وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الأقطار

والآفاق كما كان في القرشية إذ الدعوة الإسلامية التي كانت لهم كانت عامة ، وعصية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وإنما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصية الغالبة ، وإذا نظرت سرّ الله في الخلافة لم تعد هذا لأنه سبحانه وتعالى إنما جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه ، اهـ .

أقول ولا نعلم الآن عصية كافية لحماية الأمة أقوى من عصية القائمين بأمور المسلمين الآن وهم بنو عثمان بالقسطنطينية وفقهم الله للعمل بدينه القويم والسير بسيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين

شروط الخليفة

لا بد لمن يتولى هذا المنصب العظيم أن يكون جامعاً لشروط أربعة
(١) العلم : لأنه منفذ لأحكام الله تعالى ومتى كان جاهلاً بها لا يمكنه تنفيذها (٢) العدالة : لأن الإمامة منصب ديني ينظر في سائر الأحكام التي تشترط فيها العدالة فكانت أولى باشتراطها (٣) الكفاية : بأن يكون جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها ، كفيلاً بحمل الناس عليها عالماً بأحوال الدهاء قوياً على معاندة السياسة ليصلح له بذلك ما أسند إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتدير المصالح .

(٤) أن يكون سليم الحواس والأعضاء مما يؤثر فقده في الرأي والعمل ويلحق بذلك العجز عن التصرف لصغر أو أسر أو غيرهما

انتخاب الخليفة

قال الله تعالى في سورة آل عمران مخاطباً لنبيه الكريم ﴿وشاورهم في الأمر﴾ وهذا خطاب للأمة كلها فكانت الشورى بذلك أساساً للأعمال العظيمة التي يعملها المسلمون وأجلها تنصيب الخليفة فلا تنعقد إلا بشورى المسلمين ورضاهم والمعتبر في ذلك أهل الحل والعقد منهم وهم كبار الصحابة رضوان الله عليهم الذين امتازوا بكثرة الصحبة فاستنارت بصائرهم وعرفوا من يصلح للأمة وهذا في العصر الأول وينزل منزلاتهم فيما بعده من العصور من له سابقة خير في الإسلام ولا يلزم إجماع ذوى الحل والعقد على المنتخب بل المعتبر الأغلبية وهي ما زاد على نصف المجتمعين والحجة في ذلك عهد عمر فمضى تم الرضا على واحد بايعوه على السمع والطاعة وعلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبهذه البيعة تجب على المسلمين طاعته وتنفيذ أوامره ما وافق منها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وليست الطاعة للإمام في حياته فقط بل وبعد وفاته فإذا عهد لأحد من المؤمنين بالخلافة انعقدت له ووجبت مبايعته فصار واجب الطاعة وقد فعل ذلك أبو بكر لعمر رضي الله عنهما فأجازه المسلمون وإذا حصر الشورى في عدد مخصوص من ذوى الحل والعقد أجز ذلك وصح انتخابهم كما فعل عمر مع عثمان رضي الله عنهما، وهذه الكيفيات الثلاث في انتخاب الإمام وهي انتخابه بالشورى العامة أو الخاصة التي

يختارها الإمام السابق أو ولاية العهد هي الكيفيات التي عمل بها في العصر الأول وبقبت كيفية رابعة أقر العلماء بعد العصر الأول على انعقاد الإمامة بها وهي كيفية التغلب وتكون حينما لا يكون للمسلمين إمام واختلفوا فيما بينهم فلم يرضوا واحداً منهم فيجوز لمن يعرف من نفسه القدرة على سياسة الأمة بدرايته وعصبيته أن يطلب هذا الأمر فيدخل الناس في طاعته إما طوعاً وإما كرها ومتى هدأت الأحوال وأجيب نداؤه صارت خلافته معمولاً بها وصار واجب الطاعة

طاعة الإمام

قال الله تعالى في سورة النساء ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) وقال عليه السلام (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني) وقال عليه السلام لأبي هريرة (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك) والأثرة هي الاستئثار بالحقوق وقال عليه السلام (لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاستمعوا له وأطيعوا) وقال أبو ذر رضي الله عنه (أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف) وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر

واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا وأن لا تنازع الأمر أهله
وعلى أن نقول بالحق أينما كان لا نخاف في الله لومة لائم) وفي رواية
(بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا
وأثره علينا ولا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا) والبواح
الظاهر المكشوف الذي لا تأويل فيه.

مخالفة الإمام

وهذه الطاعة محدّدة بما حدّ الشرع فإذا أمر بما يطبق على
قواعد الدين ولا يخالف صريح القرآن ولا السنة الظاهرة المكشوفة
فأمره مطاع واجب التنفيذ وكذلك إذا كان باجتهاد من عنده استند
فيه لكتاب أو سنة أما إذا أمر بما خالف صريح القرآن أو السنة
فلا طاعة له، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق) وقال عليه السلام (إذا أمرت بمعصية فلا سمع ولا
طاعة) كما إذا أمر بشرب خمر أو ترك صلاة مثلا فيجب على المرء
المسلم أن لا ينفذ أمره بل ينفذ أمر الله ولا يخاف فيه لومة لائم.

منايذة الإمام

أما إذا خرج هو في أعماله عن حدّ الشرع بأن ظلم أو استأثر
بالحقوق أو فسق بشرب خمر أو ترك صلاة مثلا فالواجب على
المسلمين القيام بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لا تأخذهم في ذلك
لومة لائم عملا بحديث عبادة (وعلى أن نقول الحق أينما كان لا نخاف

في الله لومة لائم) بشرط ألا يؤثر ذلك في طاعته شيئاً فلا يجوز الخروج عليه وإشهار السلاح في وجهه أبداً مهما استأثر أو فعل إلا إذا ظهر منه كفر صريح لا تأويل فيه، ففي حديث عبادة (ولانتازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحا) وهنا لإمامة له ولا طاعة بل يجب على كل مسلم القيام ضده حتى يبوء بالخزى والنكال وقد كان أكثر الصحابة الذين في عهد يزيد على هذا المبدأ فلما شهر يزيد بما شهر به لم يجز أحد منهم الخروج عليه إلا الحسين بن علي رضي الله عنه فإنه رأى لنفسه ذلك لأهليته التي لا يمارى فيها وشوكته التي لم تكن بالحادة فلم يتمكن مما أراد رحمه الله وقد عدله على خروجه أخوه محمد بن الحنفية وابن عمه عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير فلم يرض لنصحهم لأمرٍ أراد الله. وقد كان في ذلك العصر كثير من الصحابة بالهجاز والشام والبصرة والكوفة ومصر وكلهم لم يخرج على يزيد لا وحده ولا مع الحسين ولم يقاتلوا مع يزيد أيضاً بل اعتزلوا هذه الفتنة ولعل الحسين رضي الله عنه تأول قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ وساعد على ذلك أن أرسل له سراة أهل العراق يطلبونه لمبايعته فرأى ذلك له مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان ما كان.

جزاء المحاربين

الإمام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن عصاه

فقد عصى الرسول ومن عصى الرسول فقد عصى الله ومن حارب الإمام فقد حاربهما وأجدد بمن حارب الله ورسوله أن يبوء بأيام عظيم وقد بين الله سبحانه وتعالى جزاء المحاربين في سورة المائدة قال تعالى ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ فجعل المحارب أربعة أنواع محارب قتل فجزاؤه القتل ومحارب قتل وسرق فجزاؤه الصلب ومحارب سرق فجزاؤه القطع ومحارب أخاف السبيل فجزاؤه النفي ، والذي حدد هذه الأنواع السنة المطهرة . وقال بعض الفقهاء إنه لا توزع في هذه العقوبات والإمام الخيار في الحكم بأى واحدة منها حسبما يراه من المصلحة وإن كانت له فئمة يرجعون إليها كانوا بغاة ولهم أحكام تذكر في كتب الفقه ، ثم ذكر سبحانه أن من تاب من قبل القدرة عليه فقد عفا الله عنه ولذلك يلزم الإمام أن يدعوهم إلى طاعته قبل أن يبدأهم بالقتال ، وقد فعل ذلك على ابن أبي طالب مع من خرج عليه من الحروريين ، وأرى أن قليلاً ممن خرج على الأئمة في العصور السابقة لهم مقاصد دينية والغالب عليهم المقاصد الذاتية النفسانية ولذلك قلما رأينا منهم من نجح لأن سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هي النور الذي يستضيء به كل مسلم وهي قد حرمت الخروج تحريماً شديداً مخافة تفريق المسلمين وتشتيت كلمتهم .

واجبات الإمام

قد علمنا أن وظيفة الإمام هي حراسة الدين وكفاية الأمة فالواجب عليه إذاً أن يكون الشرع قائده لا ينحرف يمنة ولا يسرة عما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم العادلة الصحيحة وإجماع أئمة المسلمين في العصر الأول، فإن فعل ذلك واهتدى بهدى من هو خليفة عنه وهدى خلفائه الراشدين كانت مرتبته مرتبة الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وكان من الذين يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله وأما إن انحرف وحاد واتبع شهواته النفسية فهناك يكون الوعيد الشديد والعقاب الأليم، قال عليه الصلاة والسلام (ما من أمير يلبى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة) وقال عليه السلام (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد راحة الجنة) وقال عليه السلام (من ولي من أمر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار) إلى غير ذلك من الأحاديث التي كلها تحذير للأئمة كيلا تهوى بهم أعمالهم في الدرك الأسفل من النار؛ فعوذ بالله من ذلك، اللهم ألهم ولادة أمورنا الرشد وبين لهم السداد ليقتدوا بسيرة نبيك صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء وسيرة خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

القسم الاول من الكتاب

خلافة أبي بكر

لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى اجتمع أصحابه من مهاجرين وأنصار في سقيفة بني ساعدة لإقامة خليفة له وكان الأنصار أهل المدينة يريدونها لأنفسهم لما لهم من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيوائه بطيبتهم ولا يرون اختصاص قريش بالخلافة ، فلما حججهم أبو بكر رضى الله عنه بقوله عليه الصلاة والسلام ، الأئمة من قريش ، أصاخوا له وتركوا ما ذهبوا إليه من أحقيتهم بالخلافة لأن المخالف مادام حائداً عن الهوى سهل إرجاعه إلى الحق ، وهؤلاء كانوا أجلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يهمهم إلا ضم كلمة المسلمين ولم شعرتهم غير ناظرين إلى الدنيا وزخارفها (وكان) بنو هاشم يريدونها لعل بن أبي طالب رضى الله عنه لما يرون من أحقيته بالخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الرأى الغالب كان مع أبي بكر رضوان الله عليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في الصلاة وقت مرضه فقال المؤمنون قد رضيه صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ فبويع بها الثلاث عشرة خلت من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة وأول من بايعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يبايع على بن أبي طالب إلا بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها ، وفي مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت

[٢ - إتمام اوفاء]

إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما آفاه الله عليه بالمدينة وفدك (قرية بنخبير) وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعمل فيها إلا بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئا فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد رسول صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلا ولم يؤذن بها أبابكر وصلى عليها وكانت لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ، ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر بن الخطاب فقال عمر لأبي بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بي والله لا تينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي بن أبي طالب ثم قال إننا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولا نفوس عليك خير أسأفه الله إليك والكنك استبددت علينا بالامر وكنا نحن نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يكلم أبابكر حتى فاضت عيننا أبي بكر فلما بكى أبو بكر قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمرا رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه إلا صنعته فقال لأبي بكر موعدهك
العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقى المنبر فتشهد
وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه ثم
استغفر وتشهد علي ابن أبي طالب فعظم شأن أبي بكر وأنه لم يحمله
علي الذي صنع نفاسة علي أبي بكر ولا إنكار للذي فضله الله به ولا كنا
كنا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبدت به فوجدنا في أنفسنا ، فسر
بذلك المسلمون وقالوا أصبت وكان المسلمون إلى علي قريباً حين
راجع الأمر بالمعروف . ولما قضى الأمر ببيعة أبي بكر صعد
المنبر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أيها الناس قد وليت عليكم
ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن صدفت فقوموني ، الصدق
أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوئى عندي حتى آخذ له
حقه والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء
الله . لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل
أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي
عليكم ، قوموا إلى صلواتكم يرحمكم الله) .

ترجمة أبي بكر

هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر التيمي القرشي
يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه أم الخير
سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . ولد
رضي الله عنه لسنتين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وشب على الأخلاق الفاضلة والسيرة الكريمة وكان ذا يسار يحمل
الكل ويكسب المعدوم وكان مصاحباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل النبوة فلما شرف الله محمداً برسالاته كان أبو بكر أول رجل
أجابه حتى قال عليه السلام : ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت
له كبوة غير أبي بكر ، ثم قام بدعوة إخوانه وأصدقائه من قريش
إلى هذا الدين فأجابه جمع منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام
وطليحة بن عبيد الله وغيرهم . ولما آذى المشركون من أسلم من عبيدهم
كان لأبي بكر اليد الطولى في شرائهم وعتقهم ابتغاء وجه ربه الأعلى
منهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة وغيرهما . وقد أراد الهجرة
إلى الحبشة مع من هاجر فمنعه من ذلك ابن الدغنة سيد القارة
وقال مثل أبي بكر لا يخرج وجعله في حمايته فأقام أبو بكر على
ذلك زمناً ثم ترك هذه الحماية راضياً بحماية الله سبحانه وتعالى إذ
لا يليق بالمسلم القوى الإيمان أن يرضى بحماية غير الله جل جلاله .
ولما أذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى المدينة كان له
شرف الصحبة بنص القرآن الشريف قال تعالى في سورة التوبة
: إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، وزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنته عائشة وسنها إذ ذاك سبع سنوات وبنى بها وهو
في المدينة وسنها تسع سنوات . وشهد أبو بكر مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم مشاعده كلها وكان يحمل رايته العظمى في آخر
غزواته وهي غزوة تبوك . وأمره عليه السلام أن يحج بالمسلمين
في السنة التاسعة ولما مرض عليه السلام أمره أن يصلي

بالناس وهذه أعظم إشارة لاستحقاقه الخلافة من بعده وكان له من الولد عبد الله الذي جرح بالطائف وتوفي في أول خلافة أبيه وأسماء زوج الزبير بن العوام وأم عبد الله بن الزبير وله عبد الرحمن وأم المؤمنين عائشة ومحمد الذي ولي مصر في مدة علي ابن أبي طالب وقتل بها وأم كلثوم التي ولدت بعد وفاته . وكان رضى الله عنه أبيض خفيف العارضين أحنى لا يتمسك إزاره معروق الوجه قليل لحمه ، نحيفاً ألقى غائر العينين يخضب بالحناء والكتم ولما تولى الخلافة كان منزله بالسبع (وهو محلة خارج المدينة) فكان يأتيها كل يوم ماشياً وربما ركب فرسه ثم انتقل إلى المدينة بعياله بعد ستة أشهر من خلافته وترك تجارته التي كان ينفق منها على عياله وقال ما يصلح الناس أمور التجارة وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر في شأنهم وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوماً بيوم وكان يحج ويعتمر ثم فرضت له الأمانة شيئاً معلوماً يقوم بكفايته وقدره ستة آلاف درهم سنوياً ومن ماثره رضى الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه : إن من آمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باباً إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر ، وجاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال صلى الله عليه وسلم ، إن لم تجدني فاتي أبا بكر ، وحدث أبو الدرداء قال : كنت جالسا عند النبي صلى

الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر (ألقى بنفسه في الشدة) فسلم وقال يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن خطاب شيء فأمرعت في الحال إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً ثم إن عمر قدم فأتى منزل أبي بكر فسأل أتم أبو بكر ؟ فقالوا لا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر ويتغير غيظاً ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ مرتين ، فما أودى بعدها .

أعماله في خلافته

أول عمل بدأ به أبو بكر تسيير جيش أسامة بن زيد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم جهزه إلى أبي وللم يثنه عن ذلك ما حصل من الاضطرابات في بلاد العرب عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طلب بعض كبار الأنصار على لسان عمر بن الخطاب من أبي بكر أن يولى إمارة الجيش رجلاً أسن من أسامة فغضب أبو بكر حتى قام وقعد وقال يا عمر استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أعزله ؟ ثم خرج رضى الله عنه وشيع الجيش بنفسه ماشياً وأسامة راكب فقال له أسامة يا خليفة رسول الله لتركن أولاً نزلن فقال والله ما نزلت ولا ركبت وما على أن أغبر قدمي

ساعة في سبيل الله فإن للغازی بكل خطوة یخطوها سبعائة حسنة
تکتب له وسبعائة درجة ترفع له وستمائة سيئة تمحى عنه ثم وصاه هو
وأصحابه فقال (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا
طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا تعزقوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا
شجرة مشمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل وإذا
مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم
له وإذا لقيتم قوما فخصوا أو ساط رؤسهم وتركوا حولها مثل
العصائب فاضربوا بالسيف ما فخصوا عنه فإذا قرب عليكم الطعام
فاذكروا اسم الله ، يا أسامة اصنع ما أمرک نبی الله ببلاد قضاة ثم
أنت قافل ولا تقصر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ودعه
من الجرف ورجع (والجرف موضع قرب المدينة) ورغب أسامة
من عمر بن الخطاب التخلف عن هذا البعث والمقام مع أبی بکر شفقة
من أن يدهمه أمر فأذن أبو بکر لعمر في ذلك وسار أسامة حتى
انتهى لما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الجنود إلى
بلاد قضاة (وكان لبني قضاة ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق
في أيلة وجبال الكرك إلى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية
العرب هنالك وكان أول الملك فيهم في تنوخ منهم ثم غلبهم عليه بنو
سليح وكانت رياستهم في ضجعم بن معد منهم ثم غلبهم على هذا الملك
بنو غسان الذين جاؤهم من اليمن فصار ملك العرب بالشام لبني جفنة
(الذين مدحهم حسان بن ثابت) وأغار أسامة على أبی فسي وغم
ورجع إلى المدينة ظافراً بعد أن غاب عنها أربعين يوماً وكان إنفاذ هذا

الجيش من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين فإن العرب قالوا لو لم يكن بهم
قوة لما أرسلوا هذا الجيش، فكفوا عن كثير مما كانوا عزموا عليه

أخبار الردة

منى الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصيبة
عظمى لو لم تتداركها حكمة أبي بكر رضى الله عنه لضعف الدين
وتشتت شمل المسلمين فإن العرب ما لبثت بعد أن علمت بموت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتدت ولم يبق أحد متمسكا
بدينه منهم إلا قريشاً بمكة وثقيفا بالطائف وقليلاً من غيرهم وكان
الناس فى ذلك على قسمين فمنهم التارك للدين بالمرّة وهم بنو طي
وأسد ومن تبعهم من غطفان الذين اتبعوا طليحة بن خويلد الأسدى
وبنو حنيفة الذين اتبعوا مسيلة وأهل اليمن الذين اتبعوا الأسود
العنسى وكثير غيرهم ومنهم المعطل للزكاة وهم بعض بنى تميم الذين
يرأسهم مالك بن نويرة وبنو هوازن وغيرهم، وكان من رأى أبى بكر
رضى الله عنه قتال مانعى الزكاة كما يقاتل المرتدون لأن تعطيل الزكاة
طعن على الصلاة بل على جميع منازل الدين فقال له عمر بن الخطاب
يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال
لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله،
قال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة
حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو إلا أن

رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق
(رواه البخاري) فشمروا رضى الله عنه عن ساعد الجد غير مبال
بهذه الأهوال الجسام مع قلة جيشه وكثرة عدوه واثقا بوعده
سبحانه وتعالى في قوله « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »
وهنا نحن نسوق لك حروب الردة لتعرف كيف ينجح الإنسان إذا
اعتمد على ربه واستسهل المصاعب وليعلم المسلمون كافة فعل خليفتهم
الأول عندما كان المسلمون كالغنم في الليلة الممطرة لقاتلهم وكثرة
عدوهم وإظلام الجو بفقد نبيهم .

خبر عيس وذيان

أقام أبو بكر ينتظر جيش أسامة فعاجلته عيس وذيان ومنازلهم
بنجد مما يلي وادى القرى وجبل طي فنزل بعضهم بالأبرق ونزل
آخرون بذي القصة (موضعان شمال المدينة الغربي جهة نجد) واجتمع
معهم جماعة من بني أسد ومن انتسب إليهم من كنانة وبعثوا وفدا
لأبي بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة فأبى أبو بكر
وردهم خائبين وخشى على المدينة من البيات فجعل على أنقابها عليا
وطلحة والزير وعبدالله بن مسعود وأمر أهل المدينة بلزوم المسجد
فلما رجع وفد مانع الزكاة إلى قومهم أطمعوهم في المدينة لقلة من
فيها فأغاروا عليها فأرسل من بالأنقاب إلى أبي بكر فخرج بالمسلمين
على النواضح (الإبل التي يسقى عليها) فهرب العدو وتبعهم المسلمون
إلى ذى خشب (واد بقرب المدينة) فخرج عليهم ردء للعدو بقرب
قد نفخوها وفيها الحبال ثم ددهوها (دحرجوها) على الأرض

فنفرت إبل المسلمين ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع أحد منهم
بفضل الله ثم خرج أبو بكر ليلا على بقية وبيت الأعداء فلم يشعروا
إلا والمسلمون على رؤوسهم ولم تطلع الشمس إلا وقد ولوا الأدبار
فاتبعهم أبو بكر حتى وصل ذا القصة فترك فيها النعمان بن مقرن
ورجع إلى المدينة وحينذاك قدم أسامة بن زيد من غزوته فاستخلفه
أبو بكر على المدينة وترك معه جنده ليستريحوا وخرج هو قاصدا
ذا خشب وذا القصة ثم سار حتى نزل على أهل الربذة فقاتل من هناك
من المرتدين وهزمهم ثم غلب على بلاد ذبيان وجعلها حمى لدواب
المسلمين ثم رجع إلى المدينة حتى إذا استراح جيش أسامة وثاب من
حوالي المدينة خرج إلى ذي القصة فعسكر بها وعقد أحد عشر لواء
لأحد عشر قائداً.

تسيير الجيوش إلى أهل الردّة

(١) سيف الله خالد بن الوليد ووجهه إلى طليحة بن خويلد
الأسدي فإذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح (٢) عكرمة بن
أبي جهل ووجهه إلى مسيلة باليمامة (٣) شرحبيل بن حسنة ووجهه
في أثر عكرمة (٤) المهاجر بن أبي أمية ووجهه إلى جنود العنسي
ومعاونة الأبناء (قوم من الفرس سكنوا اليمن) ثم يمضى إلى كندة
(٥) حذيفة بن محصن الغطفاني ووجهه إلى أهل دبا (٦) عرجة بن
هرثمة ووجهه إلى أهل مهرة وأمر هذا ومن قبله أن يجتمعا وكل
واحد أمير على صاحبه في عمله (٧) سويد بن مقرن ووجهه إلى

تهامة اليم (٨) العلاء بن الحضرمي ووجهه إلى البحرين (٩) طريفة
ابن حاجز ووجهه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن (١٠) عمرو
ابن العاص ووجهه إلى قضاة (١١) خالد بن سعيد بن العاص
ووجهه إلى مشارف الشام .

كتاب أبي بكر للأمرء

وكتب للأمرء عهداً هذه صورته :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا عهد من أبي بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من
رجع عن الإسلام وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع في أمره
كله سره وجهه وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه
ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يعذر إليهم
فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه
شن غارته عليهم حتى يقرروا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم
فياخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن
قتال عدوهم فمن أجاب إلى أمر الله وأقر له قبل ذلك منه وأعانته عليه
بالمعروف وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله
فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما
استسره به ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث
بلغ مرغمة لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى إلا الإسلام فمن أجابه
وأقر قبل منه وأعانته ومن قاتله فإن أظهره الله عليه عز وجل قتلهم

فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله إلا الخمس فإنه يبلغناه
ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم
ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يوثق المسلمون من قباهم وأن
يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل
بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسلمين في حسن الصحبة وابن القول،
وكتب إلى المرتدين جميعهم كتباً صورتها واحدة وهذا نصها :

كتب أبي بكر إلى المرتدين

(بسم الله الرحمن الرحيم) من أبي بكر خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على
الإسلام أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى
إلى الضلالة والهوى فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وسلم
عبده ورسوله وأو من بما جاء به (وأما بعد) فإن الله أرسل محمداً
صلى الله عليه وسلم بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى
الله يذره وسراجاً منيراً لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين
يهدى الله للحق من أجاب إليه وضرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرها ثم توفى
رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمة وقضى الذى عليه وكان
الله قد بين ذلك لأهل الإسلام فقال (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال
(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) وقال للمؤمنين

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد حتى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه وإني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصيبيكم من الله وما جاء به نبيكم وأن تهتدوا بهديه وأن تعتصموا بدِين الله عز وجل فإن من لم يهده الله ضل وكل من لم يعرفه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول فمن هداه الله كان مهدياً ومن أضله كان ضالاً (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغتراراً بالله عز وجل وجهالة لأمره وإجابة للشيطان وقال جل ثناؤه (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً) وقال جل ذكره (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وإني قد أنفدت لكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوهم إلى داعية الله فمن استجاب وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانته عليه ومن أبى أن يقاتله على ذلك ولا يبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنيران

ويقتلهم كل قتلة ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا
الإسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد أمرت
رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الأذان فإن أذن
المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فسألوهم بما عليهم فإن
أبوا عاجلوهم وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم) وسير
هذه الكتب قبل مسير الأمراء ثم خرجت الأمراء معهم العهود كل
إلى وجهته والله ناصره .

خبر طليحة

كان طليحة بن خويلد الأسدي رجلا كاهنا ادعى النبوة في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعه أفريق من بني إسرائيل ونزل
سميراء من بلاد بني أسد شرقي نجد مما يلي العراق فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور الأسدي لمقاتلته فسار إليه
ولما هم بمناجزته جاءت الأخبار بوفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستطار أمر طليحة واجتمعت إليه غطفان وهوازن وطبي
فرجع ضرار إلى المدينة وحينئذ سير أبو بكر خالد بن الوليد
لقتال طليحة ومن معه وكان في جيش خالد عدى بن حاتم الطائي
فاستأذن خالدا في أن يتعجل حتى يدعوه وقومه بني طي إلى
الرجوع لدين الله فسار إليهم ودعاهم فأجابوه لذلك وتركوا
طليحة وانضموا إلى جيش المسلمين ودعا عدى أيضا من
مع طليحة من بني جديلة فأجابوه ثم سار خالد حتى التقى

بالمتردين بنزاحة فقاتلهم قتالا شديدا . ولما رأى طليحة أن لا قبل له بالحرب هرب هو وزوجته على فرسين كان قد أعدهما لذلك ولحق بالشام فانهزم جيشه . وقد أسلم طليحة بعد ذلك حينما علم باسلام بنى أسد وغطفان وله ذكر جميل في فتح العراق ثم اجتمعت قبائل غطفان إلى سلمى بنت مالك بن حذيفة بالحواب وكانت سلمى هذه قد سبت في مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقتها أم المؤمنين عائشة وقال لها عليه السلام يوما وقد دخل عليها وهي في نسوة في بيت عائشة إن إحدانا كن تستنجح كلاب الحوآب فكان فعلها هذا مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (عن ابن خلدون) ولما علم بذلك خالد سار إليها وقاتل جيشها وهي راكبة على جمل قتل دونه نحو مائة رجل ثم قتلت هي أيضا فانهزم جيشها .

أما بنو عامر فانهم لما رأوا ما حل بأسد وغطفان أتوا خالدًا وقالوا ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله فقبل منهم وبايعهم على أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويبايعوا على ذلك أبناءهم ونساءهم . ثم طلب من أحدثوا حدثا في الإسلام فأتى بهم وجازاهم بمثل ما فعلوا . (أما بنو سليم) فقد كان الفجاءة بن عبد ياليل سار إلى أبي بكر وطلب منه المعونة ليقاتل أهل الردة فأعطاه أبو بكر وأمره فلما رجع إلى قومه ارتدوا وأرسل نجبة بن المثني ليشن الغارة على المسلمين فسار إليه طريفة بن حاجز أحد أمراء جيوش الردة وقاتله فقتل نجبة وهرب الفجاءة فأدرك وأرسل إلى أبي بكر فقتله ورجعت بنو سليم للإسلام .

خبر مالك بن نويرة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر على بنى تميم خمسة أمراء وهم الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة فلما توفى عليه السلام سير الزكاة إلى أبي بكر صفوان بن صفوان والزبرقان بن بدر ومنعها قيس بن عاصم ومالك بن نويرة فقام من بقى على إسلامه في وجهه من ارتد ومنع الزكاة وبينما هم على اختلافهم إذ جاءتهم امرأة اسمها سجاح من أرض الجزيرة ثم من بنى تغلب وكانت نصرانية فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة فتبعها كثير من أوباش العرب فقصدت بهم غزو أبي بكر فلما وصلت بلاد تميم (وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة) أرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب موادعته فوادعها وردّها عن غزو المدينة وأغراها على المسلمين من تميم ففروا أمامها أما هي فسارت تريد المدينة حتى بلغت النجاج (قرية بالبادية) فاعترضها قوم من تميم فخاربوها وأسروا بعض رجالها ثم تحاجزوا على أن تطلق أسراهم ويطلقوا أسراها وترجع فلا تجتاز عليهم فيئست بذلك من الذهاب إلى المدينة وانقلبت تريد اليمامة. أما بنو تميم فإنهم راجعوا الإسلام وندموا على ما فعلوا إلا مالك بن نويرة فإنه ظل متحيرا واجتمع إليه قومه بالبطاح فسار إليه خالد بعد أن انتهى من أمر طليحة فلما علم مالك بمسيره أمر قومه فتفرقوا في المياه فبث خالد سرايا في أثرهم فأتى بكثير منهم أسرى وبينهم مالك

ابن نويرة فأمر بقتلهم وتزوج امرأة مالك . وقد نقم عليه عمر بن الخطاب قتل مالك وزواج امرأته لأن جماعة شهدوا عنده أن مالك كان قد راجع الإسلام فطلب من أبي بكر أن يقتص منه فقال أبو بكر تأول فأخطأ فرفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين .

خبر مسيلمة

كان بنو حنيفة ممن وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وفيهم مسيلمة بن ثمامة أحد بني عدى بن حنيفة فلما ورد المدينة جعل يقول إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته فأقبل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقال لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها لكها وإن أتعدى أمر الله فيك وإن أبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيك ما أريت وهذا ثابت يجيبك عنى ثم انصرف فسأل ابن عباس أبا هريرة عما رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى إلي في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأرلتهما كذا بين يخرجان من بعدى فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة صاحب اليمامة (رواه مسلم) فلما رجع مسيلمة ومن معه إلى منازلهم (وهي اليمامة بين نجد والبحرين كالحجاز بين نجد وتهامة) ادعى مسيلمة النبوة وأنه أشرك مع محمد في الأمر فاتبعه قومه وكتب إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم من مسيئة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك
فإني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش
نصف الأرض ولكن قریش قوم لا يعدلون . فكتب إليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم « من محمد رسول الله إلى مسيئة الكذاب : سلام
على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده والعاque للمتقين » قال الطبري وذلك بعد منصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع فلما توفي عليه السلام عقد
أبو بكر لواء لعكرمة بن أبي جهل وسيره لقتال مسيئة وسير على
أثره شرحبيل بن حسنة مدداً له فلم ينتظر عكرمة مدده حتى يكون
اجتماعهما أشد على عدوهما بل تعجل ليكون له الفضل خاصة فتقدم
ولاقي جيش مسيئة فنكب ولما علم بذلك أبو بكر غضب عليه ونهاه
عن العودة إلى المدينة وأمره باللاحاق إلى اليمن ليكون مع حذيفة
وعرجة على قتال أهل مهرة فإذا انتهوا ساروا إلى المهاجر بن
أبي أمية لقتال جنود الأسود العنسي . وبعث أبو بكر لخالد بن
الوليد يأمره بالمسير إلى مسيئة وأمره بجيش كثيف من المهاجرين
والأنصار وأرسل إلى شرحبيل يأمره بانتظار خالد حتى يجتمعا
على جنود مسيئة التي تبلغ عدتها أربعين ألفاً فلما علم مسيئة وبنو حذيفة
بدنو خالد خرجوا فعمسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنفروا
الناس فنفر إليهم عدد كثير فتقدم خالد وعلى مقدمته شرحبيل ولما
كان على ليلة من معسكر بني حذيفة التقى بسرية منهم راجعة من بلاد
بني تميم وعامر لإدراك ثأر لهم وعليهم جماعة بن مرارة من سادات بني

حنيفة فأمر بهم خالد فقتلوا إلا جماعة فإنه استبقاه لشرفه ثم سار خالد حتى التقى بجيش المرتدين فقاتل الفريقان قتالاً شديداً ولما حوى القتال انكشف المسلمون بادئ الأمر حتى وصل المرتدون إلى فسطاط خالد وأرادوا أخذ زوجته فمنعهم من ذلك جماعة وقال نعم الحرة هي . ثم تداعى المسلمون وأنزل الله عليهم سكينته فحمل خالد في الناس حتى رد المشركين إلى أبعده ما كانوا وتذاصر بنو حنيفة وقاتلوا قتالاً شديداً فعلم خالد أن رحى الحرب تدور على مسيلة فطلبه للبراز فبرز إليه فلما اشتد عليه الأمر أدبر وزال أصحابه فنادى خالد في المسلمين فحملوا حتى هزموا المرتدين شر هزيمة فتحصنوا في بستان لمسيلة كان يسمى حديقة الرحمن فقال البراء بن مالك أحد شجعان الأنصار ألقوني عليهم في الحديقة فألقوه عليهم فقاتل عن الباب حتى فتحه فدخله المسلمون وأكثروا القتل في بني حنيفة حتى قتل مسيلة واشترك في قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب ورجل من الأنصار فانهزم بنو حنيفة وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقال جماعة لخالد والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهيرهم في الحصون فهلم أصالحك على قومي وقد كان خالد التقط من دون الحصون من نساء وصبیان ومال فقال جماعة أصالحك على مادون النفوس وانطلق كأنه يشاورهم فأفرغ السلاح على النساء ووقفهن بالأسوار ثم رجع إليه وقال أبوا أن يجيزوا ذلك فنظر خالد إلى الحصون فوجدها ممتلئة بالجيوش والمسلمون قد نهكتهم الحرب وقتل من الأنصار ما يزيد على ثلاثمائة وستين ومن

المهاجرين مثلهم ومن التابعين لهم مثلهم أو يزيدون وقد فشت
الجراحات فيمن بقي ففتح للسلم فصالحه على الصفراء والبيضاء
ونصف السبي والسلاح وحائط ومزرعة من كل قرية فأبوا فصالحهم
على الربع فصالحوه وفتحت الحصون فلم يجد بها خالد إلا النساء
والمستضعفين فقال لمجاعة خدعتني فقال قومي ولم أستطع
إلا ما صنعت ، وبعد هذا الصلح جاء كتاب من أبي بكر يأمره فيه
بقتل كل محتلم فوفى له بصلحه ولم يغدر ثم أرسل وفداً منهم لأبي بكر
بإسلامهم فلقبهم وسألهم عن أسباع مسيلة فقصوها عليه فقال
سبحان الله هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فأين يذهب بكم
عن أحلامكم وردهم إلى قومهم .

خبر البحرين

كانت أرض البحرين مقراً لكثير من قبائل ربيعة منهم
عبد القيس بن أفصى بن دغيم بن جديلة بن أسد بن ربيعة ومنهم
بنو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى وكان أهل البحرين قد
وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وأسلموا فأمر
عليهم المنذر بن ساوى فلما توفى عليه السلام توفى عقبه المنذر بن
ساوى فارتد أهل البحرين فأما بكر فتمت على ردتها وأما عبد القيس
فراجعت الإسلام بهمة الجارود بن المعلى العبدى فإنه جمعهم
حينما قالوا لو كان محمد نبيا لم يمت فقال لهم أتعملون أنه كان لله أنبياء
فيما مضى قالوا نعم قال فما فعلوا قالوا ماتوا قال فإن محمداً قدم
كما ماتوا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

فأسلموا وثبتوا على إسلامهم فاجتمعت ربيعة بالبحرين على
الردة إلا الجارود ومن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة من بكر بن
وائل فاجتمع إليه كثير من المشركين والمرتين حتى نزل القطيف
وهجر وحصر أصحاب الجارود فأرسل أبو بكر العلاء بن الحضرمي
لأهل البحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي
في مسلمة بن حنيفة وقيس بن عاصم المنقري في قومه وأتاه كثير من
أهل اليمن فسلك بهم الدهناء حتى إذا كانوا في بحبوحتها وسطها ،
نزل وأمرهم بالنزول فنفرت إبلهم بأصحابها فغموا لذلك غما شديداً
فقال لهم العلاء ما الذي حل بكم؟ فقالوا كيف نلام ونحن إن بلغنا
غداً لم تحم الشمس حتى نهلك فقال لن تراعوا أتم المسلمون وفي سبيل
الله وأنصار الله فأبشروا فوالله لن نخذلوا فلما صلوا الصبح دعا
العلاء ودعوا فلمع الماء فمشوا إليه فشربوا واغتسلوا فما تعالی
النهار حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه فأناخوها وسقوها ثم
أرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بالحطم مما يليه وسار هو
فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر فاجتمع المشركون إلى الحطم
 واجتمع المسلمون إلى العلاء وخذق كل على نفسه وكانوا يتراوون
القتال فإذا أمسوار جمع كل إلى خندقه حتى إذا كانت ليلة سمع المسلمون
فيها ضوضاء في عسكر المشركين فأرسل العلاء من يستعلم الخبر فجاء
بأنهم سكارى فبيتهم المسلمون شرّ بيات حتى هربوا فمن بين مقتول
ومأسور وقتل الحطم ثم قصد فلهم دارين ، جزيرة في الخليج
الفارسي قريبة من سواحل البحرين ، فعبر خلفهم المسلمون خوفاً

وقاتلوهم هناك فظفروا بهم وأكثروا فيهم القتل ثم أرسل العلاء إلى أبي بكر بهذا الفتح المبين .

خبر عمان

لما أسلم أهل عمان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى عليهم الأخوين جيفر وعبد ابنى الجلندى وكان يسامى الجلندى في الجاهلية : ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي من رؤساء عمان فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعى لقيط النبوة فتبعه كثير من أهل عمان فخافه ابنا الجلندى فالتجأ إلى الجبال وكاتب جيفر أبا بكر فبعث إليه حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة الأول إلى عمان والثاني إلى مهرة وكل منهما أمير على صاحبه في عمله فإذا قاربا عمان كتبا جيفراً وأرسل في أثرهما عكرمة بن أبي جهل بعد هزيمته في اليمامة فلحقهما قبل أن يصلح عمان فلما قاربوها كتبا جيفراً فأتاهم وعسكروا بصحار (عاصمة عمان) أما لقيط فإنه جمع جموعه وعسكرا بدبا فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا شديداً كاد المسلمون يهزمون فيه لولا أن من الله عليهم بمدد عظيم من بنى ناجية فاستظهروا بهم وهزموا المشركين بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم سبوا الذرية وقسموا الغنيمة وبعثوا إلى أبي بكر بالخمس مع عرفجة وأقام حذيفة بعان يسكن الناس أما عكرمة فسار ومعه جمع من بنى ناجية إلى مهرة ولما وصلها وجد أهلها قسمين مختلفين كل قسم رئيس فكاتب رئيس أحد القسمين فأجابه وراجع الإسلام ولم يجب الآخر فقاتله حتى هزمه .

أخبار الأسود

لما فتحت اليمن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليها
باذان الفارسي الذي كان عاملاً للأكاسرة على اليمن ثم دان بالإسلام
وكان مركزه صنعاء فلما مات قسم عليه السلام عمله فولى على صنعاء
ابنه شهر بن باذان وعلى مأرب أبا موسى الأشعري . وعلى همدان
- وكانوا يقيمون شرقي اليمن - عامر بن شهر الهمداني وعلى عك
والأشعريين الطاهر بن أبي هالة « بنو عك كانوا يقيمون بين زبيد
ورمع ، وعك هو ابن عدنان والأشعريون كانوا يقيمون شمالي
زبيد وينسبون إلى أشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد
ابن كهلان ، وعلى ما بين نجران ورمع وزبيد خالد بن سعيد بن
العاص وعلى نجران عمرو بن حزم وعلى حضرموت زياد بن لبيد
البياضى وعلى السكاسك والسكون « وهما قبيلتان من كندة كانا
شمالي حضرموت ، عكاشة بن ثور وعلى بنى معاوية من كندة المهاجر
ابن أبي أمية أخا أم المؤمنين أم سلمة ولم يذهب إلى عمله حتى توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرض كان به وكان زياد بن لبيد يقوم
بعمله وعلى الجند يعلى بن أمية وكان معاذ بن جبل معلماً ينتقل في
كل بلد فقبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثار باليمن رجل من
عنس اسمه عهلة ولقبه ذوالخمار وشهرته الأسود فادعى النبوة فأجابته
مذحج ووثبوا على نجران فأخرجوا منها عاملها عمرو بن حزم
وأخرجوا عمر بن سعيد بن العاص فلاحقوا بالمدينة ثم توجه الأسود

في سبعمائة من قومه إلى صنعاء فقتل شهر بن باذان واستولى على
المدينة وتزوج امرأة شهر ثم استولى على ما بين صنعاء وحضرموت
من الجنوب إلى أعمال الطائف من الشمال إلى البحرين من الشرق
واستفحل أمره فخرج معاذ بن جبل هارباً وموسى وهو
بمأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت فنزل معاذ في قبيلة السكاسك
ونزل أبو موسى في قبيلة السكون وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلادك
فلما بلغ خبر ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى من
باليمن من الأبناء وأبي موسى ومعاذ والطاهر أن يقوموا بقتال
الأسود وقتله إما غيلة أو مصادمة فقام بذلك من الأبناء فيروز
وداذويه واهتموا بقتله وساعدتهم زوجته التي كانت تحت شهر بن
باذان فقتلوه ليلاً، قتله فيروز فلما أصبح الصبح نادوا بشعائر
المسلمين وهو الأذان فهاج الناس بعضهم في بعض واختطف
بعض أصحاب الأسود صبياناً من أبناء المسلمين وخرجوا من المدينة
تاركين فيها كثيراً من صبيانهم ثم ترأسل الفريقان في أن يرد كل
ما بيده وأقام أصحاب الأسود يترددون بين صنعاء وعدن لا يأتون
إلى أحد وتراجع عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم
واتفقوا على أن يصلي معاذ بالناس في صنعاء لقتل عاملها شهر حتى
يأتيهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثوا إلى المدينة بالخبر
فوصل البريد وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت هذه
أول بشارة أتت أبا بكر فلما شاع خبر الوفاة ارتد قيس بن
عبد يغوث وكاتب المنهزمين من جنود الأسود فاجتمعوا إليه وأراد

أن يتحيل في قتل كبار الأبناء وهم فيروز وداذويه وخشش
فهيأ لهم طعاماً وجمعهم ليغدر بهم فظفر بداذويه ونجا الآخران فخرج
في أثرهما فامتنعاً بقبيلة خولان فرجع قيس إلى صنعاء فاستأثر بها
وعمد إلى عيالات الأبناء فغربهم وأخرجهم من اليمن في البر والبحر
وعرضهم للنهب فلما علم بذلك فيروز هم بحربه واستمد بنى عقيل بن
ربيعة وعك فساروا إليه واستخلصوا عيالات الأبناء التي سيرها
قيس وقتلوا من معها من الرجال ثم توجهوا إلى فيروز فقاتل بهم
قيساً ورجاله حتى هزموهم وحينذاك أتاهم المهاجر بن أبي أمية الذي
عقد له أبو بكر لواء وسيره لقتال جنود الأسود ومعاوية الأبناء
وجاء على أثره عكرمة بن أبي جهل بعد أن انتهى من عمان ومهرة
فساعدوا الأبناء على قتال جنود قيس بن عبد يغوث حتى انهزموا
وأسروا قيساً وعمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي كان ارتد وتبع
الأسود فسيراها إلى أبي بكر فقال أبو بكر يا قيس قتلت عباد الله
واتخذت المرتدين وليجة من دون المؤمنين فأنكر قيس أن يكون
قارف من أمر داذويه شيئاً ولم يكن هناك دليل ظاهر على قتله له لأن
القتل كان خلسة فتجافى له عن دمه وقال لعمر بن معد يكرب
أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور لو نصرت هذا الدين
لرفعك الله فقال لا جرم لأقبلن ولا أعود ورجعا إلى عشائرهما
مؤمنين ثم تتبع المهاجر بن أبي أمية بقية جنود الأسود بكل مكان
وقتلهم بكل سبيل حتى لم تعد لهم قائمة وكانت مدة الأسود إلى أن
هلك قريباً من أربعة أشهر .

أخبار كندة

كانت كندة قد ارتدت في عهد الأسود بسبب ما وقع بينهم وبين زياد في أمر فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بني عمرو بن معاوية من كندة بعد أن وقع عليهم ميسم الصدقة غلطاً فقاتلهم زياد وهزمهم فاتفق بنو معاوية من كندة على منع الصدقة إلا شرحبيل ابن السمط وابنه فإنهما قالا لبني معاوية إنه لقبيح بالأحرار التنقل إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتمكرومون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق إلى الباطل القبيح اللهم إنا لا نمالي قومنا على ذلك وانتقلا ونزلا مع زياد وقالوا له بيت القوم فإن لم تفعل خشينا أن يتفرق القوم عنا فطرقهم في محاجرهم فأصاب ملوكهم فقتلهم وهرب من قومهم من أطاق الهرب وعاد المسلمون بالغنائم والسبي فمروا على بني الحارث بن معاوية في محاجرهم وفيهم الأشعث بن قيس فنزلوا واستخلص السبي منهم فكتب زياد إلى المهاجر يستحثه فاستخلف على جنده عكرمة وتعجل هو في سرعان الناس وقدم على زياد فالتقوا بالأعداء فانهزم بنو الحارث وتحصنوا بالنجير وهو حصن لهم، فحصرهم المسلمون ولما اشتد عليهم الحصار خرجوا فقاتلوا قتالاً لم يغنهم شيئاً فعادوا إلى الحصن ثم أرسل الأشعث في طلب الصلح على تسليم الحصن بمن فيه مشروطاً بالأمان لتسعة نفر من الرؤساء وكتب بذلك كتاباً ولكنه نسي نفسه فدخل المسلمون الحصن وقتلوا

المقاتلة وسبوا وغنموا ثم عرضوا من آمنوا فإذا الأشعث ليس
فيهم فأراد المهاجر قتله ولكن أشار عليه أصحابه أن يرسله إلى
أبي بكر ليرى فيه رأيه فأرسله إليه فعفا عنه أبو بكر رضي الله
عنه وهو بمن أبلى بلاء حسناً في فتح العراق .

وإلى هنا انتهت أخبار أهل الردة ومنها يفهم المسلمون الذين
يريدون الاقتداء بسلفهم الصالح أن المؤمن لا ينبغي أن يهن مهما
كثرت أعداؤه لأن المسلمين لا يغلبون من قلة ولا يخذلون إلا من
اتباعهم الهوى وحيادهم عن الصراط السوى ، هذا أبو بكر أول
خليفة المسلمين كان العرب كلهم أعداءه فصار هو ومن معه كالشجرة
البيضاء في الثور الأدهم فلم يعقه ذلك عن إعزاز دين الله وقتال من
كفر بالله بمن معه من المسلمين بل وثق بوعد الله حيث قال ﴿ إن
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ فجازاه الله على ذلك بالنصر
العظيم والفتح المبين ودانت له أمم العرب ، فهكذا يكون الإسلام
والإيمان .

تلك المكارم لا قعبان من ابن شيبا بماء فعادا بعد أبو الـ

أمر العراق

لما انتهى أبو بكر رضي الله عنه من حروب أهل الردة جمع
العرب كلها للإسلام وألف الله الكلمة وجه همته لتعميم عدل
الإسلام ومساواته بين الأمم الأخرى التي كان ملوكها يعتقدون
في أنفسهم أنهم أرقى درجة من رعيتهم فتصوروهم عبيداً لهم

ليس لهم في أنفسهم شيء فيسومونهم الخسف ويعاملونهم بالجور
والظلم وكانت الممالك العظمى المجاورة للإسلام إذ ذاك مملكة
الفرس في الشرق ومملكة الروم في الشمال فابتدأ بأمر الفرس
وأول ما حصل بين المسلمين وبين هذه الدولة العظمى كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ابرويز يدعو فيه إلى
الإسلام فزقه كسرى استكباراً وهذا يدلك على مقدار الجبروت
والكبرياء اللذين كانا شعاراً للملوك إذ ذاك وجاء الدين الحنيفي
يهدمها وبلغ من استعظام ابرويز لهذا الكتاب أن أرسل لعامله
باذان على اليمن أن يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
برجائين جلدين يأتیان به فتوجهها كما أمر فلما وصل الرجلان إلى
المدينة كليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما في هذا اليوم
قتل ابرويز قتله ابنه وكان الأمر كما أخبر عليه السلام فبن ابنه
شيرويه ثار به بمساعدة كبار الفرس فقتله واستولى على ملك فارس
فلما علم الرجلان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما وبعث
شيرويه إلى باذان أن لا يتعرض للنبي عليه الصلاة والسلام وفي
عهده عليه السلام فتحت اليمن وأسلم باذان فولاه عليه السلام
عليها فكانت أول بلاد تحت حماية الفرس انضمت للإسلام ثم انضم
إليه أيضاً البحرين وعمان وكانتا تحت حماية الفرس أيضاً فلما
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهى أبو بكر من
حروب أهل الردة وانتدب سيف الله خالد بن الوليد ليكون
أول من يضع أساس الدين القويم بالبلاد الفارسية وذلك في

بدء المحرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة وأمره أن يبدأ بالأبلة ، ثغر من ثغور الفرس على الخليج الفارسي عند مصب دجلة ، وأمدته بالقعقاع بن عمرو وانتدب عياض بن غنم ليغزو الفرس من شمال العراق وأمره أن يبدأ بالمضيح ، قرية على الفرات شمالي العراق ، وأمدته بعبد يغوث الحميري وأمرهما أن يستنفرا من قاتل أهل الردة وأن لا يغزونا معهما مرتد لأن رأيه رضى الله عنه كان أن لا يستعان بمن ارتدوا على غزو أبداً .

وقعة الأبلة

فسار خالد بن الوليد حتى قارب الأبلة فقسم جيشه ثلاث فرق على الأولى المثنى بن حارثة الشيباني وعلى الثانية عدى بن حاتم الطائي وجعل الثالثة تحت إمرته وسير الفريقين قبله وواعدهما الحفير « موضع على طريق السائر من مكة إلى البصرة وهو قريب من الأبلة ، وكان صاحب هذا الثغر عظيماً من عظماء الفرس اسمه هرمز وكان مبغضاً عند العرب لكثرة غزوه لهم فكلهم ناقم عليه ولما سمع بخبر خالد وأنه واعد طلائعه الحفير سبقه إليه فقال خالد بالناس إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها فنزل جيش المسلمين على غير ماء فقال خالد جالدوهم على الماء فإن الله جاعله لأصبر الفريقين وتقدم هو وسط الصف يطلب البراز راجلاً فبرز إليه هرمز ونزل عن فرسه فاحتضنه خالد فلما رأى ذلك الفرس أرادوا الغدر بخالد وهجموا عليه فلم يمنع ذلك عن قتله ولما رأى ذلك القعقاع حمل بجيش المسلمين فأزال الفرس عن خالد وحمل القتال فانهزم المشركون

وهذه أول موقعة بين المسلمين والفرس ثم أرسل خالد البشارة
وخمس الغنيمة إلى أبي بكر بعد أن قسم أربعة أخماسها على المقاتلين
للاجل ثلث الفارس وأرسل المثنى بن حارثة في إثر المنهزمين ولم
يتعرضوا للفلاحين بأذى كما أوصاهم بذلك أبو بكر ولما وصل
خبر هذه الهزيمة إلى ملك الفرس واسمه أزدشير ومقامه بالمدائن
وهي مدائن كانت للأكاسرة على نهر الدجلة جنوبي بغداد وهي
شرقية وغربية وكان في الشرقية إيوان كسرى الشهير، أرسل إلى
المسلمين جيشاً آخر يقوده عظيم من عظماء الفرس اسمه قارن فجمع
المنهزمين ورجع بهم حتى وصل الشىء منعطف النهر قرب البصرة،

وقعة الشىء

فنزله فسار إليه خالد ولما التقى الجيشان خرج قارن يطلب
البراز ليترك ثأره رمز فبرز إليه فارس مسلم فقتله وعندئذ حمل
جمع المسلمين على جمع المشركين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة سوى من
غرق منهم في النهر ثم أخذ خالد الجزية من الفلاحين وصيرهم ذمة
وأرسل بالفتح والخمس إلى أبي بكر (أما) ملك الفرس فإنه سير
إلى المسلمين جيشاً آخر يقوده الأندرزعز وفي أثره آخر يقوده
بهمن جاذويه فعسكر الجيشان كلاهما في الوجبة .

وقعة الوجبة

فسار خالد إليهما وقاتلتهما المسلمون قتالاً شديداً حتى هزم عسكر

المشركين ومات القائد الأندرز عز في هزيمته وأصاب خالد أبناء من بكر بن وائل فقتلهم فغضب لهم قومهم من نصارى بكر فاجتمعوا بالليس وكاتبوا ملك الفرس ليدهم بجيش يساعدهم على قتال المسلمين فكتب أزدشير إلى بهمن جاذويه المنهزم من الوجلة يأمره بأن يسير إلى نصارى بكر ليكون معهم على قتال المسلمين فلما جاءت الرسالة سير أمامه جابان وذهب هو إلى أزدشير ليعلم الأخبار ويستشير فوجده مريضاً فتوقف هناك .

وقعة الليس

وأما جابان فإنه وصل إلى جيش البكرين وعسكر معهم بالليس « موضع على الفرات من قرى الأنبار » فأقبل إليهم خالد بكتيبة وتوسط الميدان طالبا البراز فبرز إليه رئيس من رؤساء بكر فقتله ثم حمل المسلمون على الأعاجم فثبت هؤلاء كثيراً لتوقعهم قدوم بهمن وثبت المسلمون لتكون كلمة الله هي العليا فما كان إلا ضحوة نهار حتى ولى الفرس الأدبار بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة فقسم خالد الغنائم وأرسل بالفتح والخمس إلى أبي بكر وكانت هذه الموقعة في صفر من السنة الثانية عشرة .

فتح الحيرة

(ثم) سار قاصداً الحيرة ، هي عاصمة ملوك العرب من قبل الفرس وهي غربي الفرات على قرب من الكوفة ، وكان خالد يسير بحراً في

الفرات فخرج إليه مرزبان الحيرة وهو الازاذبه وعسكر بظاهرها
وأرسل ابنه فقطع الماء عن سفن المسلمين فبقيت على الأرض
(وكانوا يقطعون الماء عن الفرات بإرساله في الترع المتفرعة منه)
فسار خالد على خيل نحو ابن الازاذبه فقتله على فرات بادقلى ثم سار
نحو الحيرة فهرب مرزبانها الازاذبه فحاصر خالد قصورها وهي
القصر الأبيض وقصر الغريين وقصر ابن مازن وقصر ابن ببيعة ودعا
أمراءها إلى الإسلام وأجلهم يوماً وليلة فأبوا وافتتح المسلمون
الديور فصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور يطلبون منهم
مصالحة المسلمين فنادى أمراء القصور قد قبلنا واحدة من ثلاث
الإسلام أو الجزية أو المحاربة فكف عنهم المسلمون ثم جاء الأمراء
إلى خالد يتقدمهم ويتكلم عنهم عمر بن عبد المسيح فقال له خالد
أسلم أنت أم حرب قال بل سلم فقال خالد ما هذه القصور قال
بنيناها للسفينة نحبسها فيها حتى ينهأ الحلیم فصالحهم خالد على الجزية
وقدرت بمائة ألف وتسعين ألفاً وأهدوا له هدايا على عادتهم مع
ملوك الفرس فأرسل خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر فقبل
الهدايا وعدها من الجزية وأمر خالد أن يعدها منها ، فهكذا
الدين دين الإسلام لم يرض خليفتنا الأول أن يأخذ شيئاً كانت
الرعية تدفعه لملوكها ملاطفة بل لا يؤخذ منها إلا ما فرض عليهم .

ما بعد الخيرة

(فلما) رأى دهاقين ما بعد الخيرة فعل خالد صالحوه على ما يلي الخيرة من الفلاليج إلى هر مزجرد على ألف ألف سوى جباية كسرى ثم أرسل خالد أمراءه فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطئ دجلة ثم كتب إلى ملوك الفرس كتاباً هذه صورته :

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد (فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو لم نفعل ذلك كان شراً لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجزكم إلى غيركم وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) وكتب إلى المرازبة كتاباً هذه صورته :

(بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فالحمد لله الذي فض حدتكم وفرق كلمتكم وجفّل حرمكم وكسر شوكتكم فأسلموا تسلموا وإلا فاعتقدوا في الذمة وأدوا الجزية وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر) وفي ذلك الوقت دهي الفرس أمر عظيم لا يزيدهم إلا وهناً ولا يزيد المسلمين إلا قوة وهو اختلافاتهم الداخلية بعد موت ملكهم أزدشير وعدم وجود من يولى من بيت كسرى فلما وصلتهم كتب خالد اتفق نساء كسرى على تولية أحد أمراء فارس وهو الفرخزاد بن البندوان حتى يعثروا على صالح للملك من بيت كسرى .

فتح الأنبار

أما خالد فإنه سار من الحيرة قاصداً الأنبار (مدينة على شاطئ
الفرات شمالي الكوفة) وكان على جيشها شيرزاد صاحب سباط
فأنشب معهم المسلمون القتال ولما رأى شيرزاد ما لا قبل له به
طلب الصلح على أمر لم يرضه خالد فرد رسوله ونحر الضعاف من
إبل الجيش ورمها في خندق المشركين وعدى إليهم فلما رأى
ذلك شيرزاد صالح خالداً على ما أراد فقبل منه خالد وسيره إلى
مأمنه فلاحق بهم من .

فتح عين التمر

ثم سافر خالد قاصداً عين التمر (بلد في بادية العراق على ثلاثة
مراحل من الأنبار) بعد أن استخلف على الأنبار الزبرقان بن بدر
فوصل إلى عين التمر وبها جمع عظيم من الفرس عليهم بهرام بن
بهرام جوبين ومعهم عدد عظيم من العرب من التمر وتغلب الذين
يقيمون بتلك الجهات تحت حكم الأكاصرة فجعل الفرس في المقدمة
العرب لأنهم أدرى بقتال العرب فحمل خالد على رئيسهم وهو يسوى
صفوفه فأسره فانهزم قومه من غير قتال ولما رأى ذلك بهرام
هرب هو وجيشه أيضاً وتركوا الحصن فتحصن به المنهزمون
واستأنوا لخالد فلم يؤمنهم ثم بعث بالخمسة والبشارة إلى أبي بكر

فتح دومة الجندل

ثم سار من عين التمر قاصدا دومة الجندل^(١) ليعين عياض ابن غنم على فتحها وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أرسل خالد بن الوليد إلى دومة الجندل في حياته وكان بها أكيدر بن عبد الملك فأصابه خالد في ليلة مقمرة فأسره وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقت دمه وصالحه على الجزية ورده إلى قريته فلما كان في عهد أبي بكر أرسل عياض بن غنم لفتح العراق من أعلاه فاجتمع عليه وهو بناحية دومة الجندل كثير من نصارى العرب فأرسل إلى خالد بن الوليد كتاباً يستحثه فيه لمساعدته فصادفه الكتاب وهو بعين التمر فأقبل حتى جعل دومة الجندل بينه وبين عياض فخرج الجودي الذي كان يشارك أكيدراً في إمارة دومة إلى حرب خالد وأرسل فرقة تقاتل عياضاً فهزم كل من القائدين من يليه وفتح الحصن عنوة وأقام به خالد. أما أكيدر فإنه قد فارق الجودي لأنه لم يتبع ما أشار عليه به من عدم قتال خالد فأرسل خالد وراه من قبض عليه وقتله لأنه كان نقض ما عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إعطاء الجزية.

وقعة الحصيد والخنافس

أما عرب الجزيرة فإنهم اُثارت حميتهم لمن قتل من العرب بعين

(١) يرى ياقوت أن دومة الجندل هذه ليست هي التي فتحت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هي دومة أخرى أسسها أكيدر مثالها.

التمر فكاتبوا الفرس يطلبون منهم إرسال الجيوش لتكون لهم
عونا فخرج من الفرس عظيمان يريدان الأنبار واتفيا إلى الحصيد
والخنابس (موضعان قرب الأنبار) فسمع بالخبر القعقاع خليفة
خالد على الحيرة فأرسل إليهما سريتين حالتا بينهما وبين الريف ثم
قدم خالد راجعاً إلى الحيرة عند ما بلغه الخبر فسير القعقاع وأباليلى
ابن فدكى إلى لقاء جمع الفرس فساروا حتى التقيا بهم فقتل من الفرس
مقتلة عظيمة وقتل القائدان وغنم المسلمون ما فى الحصيد وانهمزمت
الاعاجم إلى الخنابس وبها المهبودان من الأساورة فسار أبو ليلى
مقتفياً آثارهم حتى هزم المهبودان إلى المضيح وكان به بعض عرب
الجزيرة فكتب خالد إلى القعقاع وأبى ليلى أن يوافياه على المضيح
فى ساعة عينها لهما لقتال من به من عرب الجزيرة ووافاهما هو فى
جيشه فلقياها بها وقاتلوا العرب وهزموهم شر هزيمة ثم توجه خالد
إلى بجزر التغلبى وهو متجمع فى جيشه بالثنى فبئته وهزمه ثم سار
إلى البشر وقد تجمع به عسكر عربى ضخم فبئتهم خالد بغارة
شعواء حتى لم يفلت منهم أحد (ثم) أرسل بالفتح والأخماس
إلى أبى بكر .

وقعة الفراض

وسار إلى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وكان الحر
شديداً والشهر رمضان من السنة الثانية عشرة فأفطر بها هو والمسلمون
وكان بها جمع عظيم من الفرس والروم والعرب اتفقوا جميعاً على

حرب المسلمين وعبروا نهر الفرات فقاتلهم خالد وقاتل المشركون قتالاً شديداً لكنهم لم يلبثوا أن انهزموا (أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) ثم أمر خالد بالرجوع إلى الحيرة وتخلف هو ومظهر أنه أفي الساقاة ويقال إنه توجه إلى مكة فحج ولحق ساقاة الجيش قبل أن تدخل الحيرة وهذا غريب جداً لبعده المسافة

صرف خالد إلى الشام

وفي ذلك الوقت صرف أبو بكر خالد بن الوليد عن حرب العراق وسيره إلى الشام مدداً لجيوش المسلمين هناك فاستخلف علي جيش العراق المثنى بن حارثة الشيباني فأقام بالحيرة وأذكى العيون ووضع المسلحة وكان ملك فارس بعد رحيل خالد شهريران بن أزدشير فوجه إلى المثنى جيشاً عظيماً يقوده هرمز .

وقعة بابل

فخرج إليه المثنى من الحيرة حتى أتى بابل (بلدة قديمة شرقي الفرات أمامها مدينة الحلة الآن) فأقام بها وهناك لاقاه هرمز في جيش الفرس فقاتله جيش المسلمين قتالاً شديداً حتى هزم وبعد هذه الهزيمة مات شهريران وكثرت الاختلافات الداخلية في مملكة الفرس فشغلوا عن المسلمين وأبطأ خبر أبي بكر علي المثنى فاستخلف علي جيشه بشير بن الخصاصية وتوجه إلى المدينة ليستأذن أبا بكر في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فوجده مريضاً فاستحضر

أبو بكر عمر بن الخطاب وقال له إني لأرجو أن أموت يومى هذا فإذا مت فلا تمشين حتى تندب الناس مع المشنى ولا تشغلنكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعتته وما أصيب الخلق بمثله وإذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق إلى عراقهم فإنهم أهلهم وولاه أمرهم وأهل الجرأة عليهم ، هذا ما انتهى إليه أمر فارس فى عهد الصديق رضى الله عنه تقلص ظل ملك الفرس عن كل الأراضى الخصبة التى فى غربى الفرات وهو ما يعبر عنه بريف العراق فصار حد مملكة فارس هو نهر الفرات .

بدء أمر الروم

مملكة الروم هى المملكة الثانية العظمى التى كانت تحدد البلاد العربية من الشمال وأول ما كان عيניה وبين المسلمين كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم يدعو فيه إلى الإسلام (والكتاب وحديث أبى سفيان عنه مذكوران فى كتابى نور اليقين صفحة ٢١١ وما بعدها من الطبعة الثانية) ثم كتب صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان بالبلقاء من أرض الشام وعامل قيصر على العرب يدعو إلى الإسلام فأدركته العزة بالإثم فأراد أن يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه أمر من قيصر ينهيه عن ذلك . وفى السنة الثامنة من الهجرة جهز عليه السلام جيشاً إلى الشام تحت إمرة زيد بن حارثة وهى غزوة مؤتة لجمع لهم الروم جمعاً كبيراً مائة ألف أو يزيدون فاستشهد زيد وجعفر ابن

أبي طالب وعبد الله بن رواحة واستلم سيف الله خالد إمرة الجيش
نخلصه من الهلاك. والكلام في هذه الغزوة مستوفى في نور اليقين،
وفي السنة التاسعة تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم
فبلغ تبوك وأتاه صاحب أيلة يوحنا بن روثبة وصاحب جرباء وأذرح
وأعطوا الجزية فلما بلغ هرقل ما فعله يوحنا أمر بقتله وصلبه عند
قريته. وفي السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز
سرية تحت إمرة أسامة بن زيد بن حارثة لتتوجه إلى أبي وقضاعة
للقصاص من قتلة أبيه فتوفي عليه السلام ولم يخرج أسامة فلما
استخلف أبو بكر جهز السرية فسار أسامة حتى وصل أبي وأوقع
بقبائل من قضاعة ثم رجع فائزاً. فلما عقد أبو بكر الألوية في
ذي القعدة عقد منها لواء خالد بن سعيد بن العاص ووجهه إلى مشارف
الشام ثم أمره أن يكون رداءً للمسلمين بتياء لا يفارقها إلا بأمره
ولا يقاتل إلا من قاتله فبلغ خبره هرقل ملك الروم فجهز إليه جيشاً
من العرب التابعين للروم من بهراء وسليح وكلب ولخم وجذام
وغسان فسار إليهم خالد بن سعيد فلقبهم على منازلهم فافتروا وأرسل
هو لأبي بكر بالخبر فكتب إليه يأمره بالإقدام فتقدم ولقيه بطريق
رومي اسمه ماهان فهزمه خالد وكتب إلى أبي بكر يستمده فعند ذلك
اهتم رضى الله عنه بأمر الشام وكان قد ورد إليه أوائل مستنفرى
اليمين وقدم عكرمة بن أبي جهل فيمن معه من تهامة والبحرين وأرسل
إلى عمرو بن العاص وكان والياً على صدقات سعد وهذيم من قضاعة
كان أبو بكر سيره إليها يوم عقد الألوية في ذي القعدة وقد كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده ولايتها فكتب إليه أبو بكر
(إني كنت رددتك إلى العمل الذي ولاك رسول الله صلى الله عليه
وسلم مرة ووعدك به أخرى إنجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد وليته وقد أحببت أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا
والآخرة إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك) فكتب إليه عمرو
(إني سهم من سهام الإسلام وأنت بعد رسول الله الرامي بها والجامع
لها فانظر أشدها وأخشاهها وأفضلها فارم به) فأمره فقدم عليه فجهز
أبو بكر أربعة جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى
فلسطين (كورة بالشام في جنوبه) وعلى ثانيهما شرحبيل بن حسنة
وكان قدم عليه من العراق ووجهه إلى الأردن (كورة بالشام سميت
باسم نهر هناك يبتدىء من بحيرة طبرية وينتهي بالبحيرة الميتة) وعلى
الثالث يزيد بن أبي سفيان ووجهه إلى البلقاء (بلد بالشام) وأتبعه
بأخيه معاوية وعلى الرابع أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح
ووجهه إلى حمص فسارت الأمراء على بركة الله وكان أبو بكر
يودعهم ماشياً ويوصيهم بما فيه صلاح دنياهم وأخراهم. ومما يؤثر
عنه رضى الله عنه وصيته العظيمة ليزيد وقد أحببت إيرادها برمتها
لما فيها من النصائح التي يلزم كل أمير جيش اتباعها وها هي: إني
قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى
عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك فعليك بتقوى الله فإنه يرى من
باطنك مثل ما يرى من ظاهرك وإن أولى الناس بالله أشدهم تولياً له
وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله وقد وليتك عمل خالد

(هو ابن سعيد بن العاص الذي كان أبو بكر سيره إلى الشام أولاً)
فإياك وعيبة الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها وإذا قدمت على
جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه وإذا وعظت فأوجز
فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً وأصلح نفسك يصلح لك الناس
وصل الصلاة لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها وإذا
قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من
عسكرك وهم جاهلون ولا تريهم فيروا خلك ويعلموا عليك وأنزلهم
في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى
لكلامهم ولا تجعل سرك لعلائيتك فيختلط أمرك وإذا استشرت
فأصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى
من قبلك وأسر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك
الأستار وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك وأكثر مفاجأتهم في
محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه
وعاقبه في غير إفراط وأعقب بينهم بالليل والنهار واجعل النوبة
الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف
من عقوبة المستحق ولا تلحن فيها ولا تسرع إليها ولا تأخذها مدفعاً
ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم
ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلائيتهم ولا تجالس
العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن
الناس واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر وستجدون
أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له «

ولم تنزل الجيوش سائرة حتى وصلت الشام فنزل عمرو بن العاص العربية من فلسطين ونزل شرحبيل الأردن ونزل يزيد البلقاء ونزل أبو عبيدة الجابية فلما بلغ ذلك هرقل ملك الروم قال لقومه أرى أن تصالحوا المسلمين فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على بلاد الشام ونصف بلاد الروم فرفضوا رأيه فسار حتى نزل حمص مدينة شامية في الشرق من نهر العاصي وعلى بعد قليل منه ، وأمر بجمع الجيوش فاجتمع من الروم عدد عظيم فوجه لكل أمير جيشاً يفوق عدة من معه فأشار عمرو بن العاص على الأمراء بالاجتماع فأرسلوا إلى أبي بكر في ذلك فأشار عليهم بمثل رأى عمرو وقال إن مثلكم لا يؤتى من قلة وإنما تؤتون من الذنوب فاحترسوا منها .

وقعة اليرموك

فاجتمعوا باليرموك (وهو واد في الجنوب الشرقي من الشام) وكل واحد من الأمراء أمير على جيشه والروم أمامهم وبين الفريقين خندق فكان الروم يقاتلون باختيارهم وإن شاؤوا احتجزوا بخنادقهم وأقام الفريقان على ذلك صفرًا والربيعين من السنة الثالثة عشرة من الهجرة فأرسل الأمراء إلى أبي بكر يستمدونه فكتب إلى خالد بن الوليد أمير جند العراق يأمره أن يستخلف على جنده بعد أن يأخذ معه نصفه ويتوجه إلى الشام مدداً لأمرائه فسار خالد ينسف الأرض

نفساً حتى وصل إلى المسلمين في ربيع الآخر وصادف وصوله
وصول ماهان بجيش مدداً للروم فتولى خالد قتاله وقاتل كل أمير
من يزائه متساندين فرأى خالد أن هذا القتال لا يجدي نفعا مادامت
كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الأمراء وخطبهم وقال بعد أن
حمد الله وأثنى عليه (إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه البغى
ولا الفخر أخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم فإن هذا يوم له ما بعده
ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية وأنتم متساندون فإن هذا لا يحل
ولا ينبغي وإن من ورائكم من لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا
فاعملوا بما لم تؤمروا فيه بما ترون أنه رأى من واليكم ومحبه) قالوا
هات فما رأى فأشار بأن يؤمر على الجيش كله أمير واحد
ويتناوبوا الإمارة حتى يؤمروا كلهم وأن يؤمر هو في اليوم الأول
فقبلوا مشورته وأمره فخرج رضى الله عنه في تعبئة لم تعبها العرب
قبل ذلك وليس تعبئة أكثر في رأى العين من الكراديس (الفرق)
فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس
وأقام فيها عمراً وشرحبيلا وجعل الميسرة كراديس وأقام فيها يزيد
وجعل على كل كردوس رجلا من الشجعان وكان عدد الكراديس
ستة وثلاثين كل كردوس ألف رجل ثم أمر القعقاع بن عمرو
وعكرمة بن أبي جهل أن ينشبا القتال فأنشبا والتحم الناس
وتطارد الفرسان وأظهر خالد عجائب الشجاعة والحمية الإسلامية
ثم إن الروم حملوا حملة أزالوا بها المسلمين عن مواقعهم فنهض خالد
بالقلب حتى حال بين خيل المشركين ورجلهم فانهمزم الفرسان

وتركوا الرجال فأفرج لهم المسلمون واشتدوا على الرجال فهزموهم
وقتلوا منهم خلقاً كثيراً لاسيما أناساً منهم كانوا قد اقترنوا في السلاسل
لثلاثين يوماً وقاتل نساء المسلمين في ذلك اليوم قتالاً شديداً وأبلين
بلاء حسناً ومن أبل في ذلك اليوم بلاء حسناً أبو سفيان ابن حرب
بسعيه وتحريضه وانتهت هذه الموقعة بهزيمة الروم شر هزيمة
وفي أثناءها جاء بريد المدينة بموت الصديق وخلافة عمر بن الخطاب
وتولية أبي عبيدة رئاسة الجيوش فلم يبلغ هذا الخبر الجيش إلا بعد
أن انقضت الموقعة .

وفاة الصديق

لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة حم أبو بكر
فلما اشتد عليه المرض جمع كبار الصحابة فاستشارهم في العهد لعمر
ابن الخطاب فكلهم قال خيراً فدعا عثمان بن عفان وأهلى عليه :
(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد صلى الله عليه
وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن
فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر إني استعمات عليكم عمر بن الخطاب
ولم آلكم خيراً فإن صبر وعدل فذلك علي به ورأي فيه وإن جار
وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت لكل امرئ ما اكتسب
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ثم أمر بالعهد فقريء
على المسلمين وقد أطل عليهم فقال لهم : أترضون من استخلفت
عليكم فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة وإني قد استخلفت عليكم

عمر فاسمعوا له وأطيعوا فإني والله ما ألوت من جهد الرأي فقالوا سمعنا وأطعنا ثم نادى عمر فقال له (إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر إن لله حقاً بالليل ولا يقبله في النهار وحقاً في النهار ولا يقبله في الليل وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر يا عمر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حق أن يكون ثقيلاً ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا باطل أن يكون خفيفاً ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه . ألم تر يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوا أعمالهم فإذا ذكرتها قلت إني لأرجو أن لا أكون منهم وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيئ فإذا ذكرتها قلت أين عملي من أعمالهم فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه) ثم توفي رضي الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة فكانت خلافته رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ توجهاً بأعماله الجليلة وسيرته الحميدة، فبه كان لم تشتت المسلمين بعد فرقتهم بزدة الكثير من العرب وهو الذي ابتداء تجريد الجيوش على الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاد الإسلام لدعوتيهما إلى الدين القويم

أو الدخول تحت حكمه حتى يكون عدله ومساواته عامين لجميع
الأمم الذين رزثوا بملوك يعدون أنفسهم آلهة ويعدون رعيتهم
عبيدا ويسرون وراء لذاتهم وشهواتهم مهما عاد من ضررها على
الرعية ففازت جيوشه بالنصر في جميع مواقعها وكان يقضى له عمر
ابن الخطاب وأمينه أبو عبيدة ويكتب له عثمان بن عفان وعلي ابن
أبي طالب وزيد بن ثابت وكانت ولايات الإسلام في عهده (مكة)
ووالها عتاب بن أسيد الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليها عقب الفتح (والطائف) وعليها عثمان بن أبي الثقفي (وصنعاء)
وعليها المهاجر بن أبي أمية (وحضرموت) وعليها زياد بن لبيد
(وخولان) وهي قبيلة عظيمة باليمن كانت تسكن في جباله
الشرقية وكان عليهم يعلى بن أمية (وزبيد) وعليها أبو موسى
الأشعري (ونجران) وهو موضع شمالي اليمن يقيم به قبائل من بني
الحارث بن كعب بن علة من مذحج وبني ذهل بن مزريقيا من
الآزد وكانت رياسة نجران حين النبوة في بني الحارث بن كعب
ليزيد بن عبد المدان بن الديان ووفد أخوه حجر بن عبد المدان
على النبي صلى الله عليه وسلم على يد خالد بن الوليد. ووالى نجران
في عهد أبي بكر جرير بن عبد الله البجلي (والبحرين) وهي شواطئ
بلاد العرب المطلة على الخليج الفارسي ووالها العلاء بن الحضرمي
(وجرش) وهو مخلاف باليمن. والمخلاف الكورة ووالها عبد الله
ابن ثور (ودومة الجندل) وعليها عياض بن غنم وأمير جند
العراق المثنى بن حارثة الشيباني وقاعدة أعماله الحيرة وأمير جند

الشام خالد بن الوليد القرشي المخزومي . وكان آخر ما تكلم به
أبو بكر (توفى مسلماً وألحقني بالصالحين) وغسلته زوجته أسماء
بنت عميس وابنه عبد الرحمن وكفن في ثوبه كما أوصى . وصلى
عليه خليفته من بعده عمر بن الخطاب ودفن ليلاً في حجرة عائشة
وجعل رأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل
قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف
وطلحة بن عبيد الله .

ترجمة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله
ابن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر
العدوى القرشى يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب
ابن لؤى وكنيته أبو حفص ولقبه الفاروق وأمه حنتمة بنت هشام
ابن المغيرة المخزومية بنت عم خالد بن الوليد؛ ولد رضى الله عنه في
السنة الثالثة عشرة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى
على الشهامة والنجدة والحمية الجاهلية ولما جاء الإسلام كان من
أكبر المعارضين له فلما هاجر المسلمون إلى أرض الحبشة خوف
الفتنة من الله عليه بالإسلام ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واللهم أعز الإسلام بعمر، فأتى دار الأرقم بن أبى أرقم عبد مناف
ابن أبى جند أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم التي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستخفياً فيها ودان بالإسلام وأشار على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك الاختفاء وإظهار الدين فخرج
عليه السلام ومعه المسلمون صفين يقدم أحدهما عمر بن الخطاب
ويقدم الآخر حمزة بن عبد المطلب ولا تسل عما نال مشركى قريش
من الكآبة إذ ذاك حتى تعصبوا على عمر وأرادوا قتله فخاه العاصى
ابن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم والد عمرو بن العاصى وصار
بعد ذلك عمر ينصر هذا الدين بما آتاه الله من قوة البطش حتى
قال عبد الله بن مسعود (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) رواه البخارى .
فلما أذن الله بالهجرة إلى المدينة كان المسلمون يتسللون إلى الهجرة

خفية إلا عمر رضى الله عنه فإنه لما عزم عليها جاء قريشاً في ناديهم
وأخبرهم بعزمه وقال من أراد أن تشكله (تفقده) أمه فليلقني وراء
هذا الوادى فلم يجسر أحد على اتباعه وحضر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مشاهدة كلها من بدر إلى تبوك وزوجه ابنته أم المؤمنين
حفصة بعد أن توفي عنها زوجها خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى
ابن سهم من جراحة أصابته بأحد . ومن مآثره قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم شربت - يعنى اللبن - حتى أنظر إلى الرى
يجرى فى ظفري - أو أظفارى - ثم ناولته عمر قالوا فما أولته يا رسول الله
قال العلم » وقوله عليه السلام « رأيت فى المنام كأنى أنزع بدلو
بكرة على قليب (بئر) فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً (دلوا) أو ذنوبين
نزعاً ضعيفاً والله يغفر له ثم جاء عمر فاستحالت غرباً (دلوا عظيمة)
فلم أر عبقرى (سيدا) يفري فريه (يأتى بالعجب فى عمله مثله) حتى
روى الناس بعطن » (أى أناخوا حول الماء بعد السقى) وفى هذا
الحديث إشارة إلى مدة خلافة الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله
عنهما . وقال عليه السلام مخاطباً لعمر : « والذى نفسى بيده ما لقيك
الشیطان سالكا فجاً قط إلا سلك غير فجك ، وقال عليه السلام
« لقد كان فيما قبلكم محدثون لهمون فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر ،
وقال عليه السلام « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعلیهم
قميص فمنها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر
وعليه قميص اجتره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين ، وكان عمر
كثيراً ما يشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشياء ينزل بها
[٥ - إتمام الوفاء]

القرآن كمسألة أسرى بدر ومسألة الحجاب ولما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم جزع عمر جزعاً شديداً على صلابته وشدته حتى
قال والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أم المؤمنين
عائشة قال عمر والله ما كان يقع في نفسى إلا ذاك وليبعثنه الله
فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم فلما جاء الصديق وذكرهم خشع
ورجع إلى الصواب وكان الله سبحانه وتعالى أراد ألا يكون من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء ليس فيه فائدة فلقد خوف
عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك ثم لقد بصر أبو بكر
الناس الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم هكذا قالت أم المؤمنين من
رواية البخارى وكان لعمر فضل عظيم يوم السقيفة حيث سارع إلى
بيعة الصديق قبل أن تحدث فرقة ولما ولي الصديق كان له عمر أعظم
مشير حتى أن أبا بكر لم ير غيره أهلاً للخلافة بعده فعهد له بها ونعمافعل .
وكان رضى الله عنه طويلاً أصلع أعسر أيسر يعمل بيديه ككتيها
وكان أطوله كأنه راكب شديد البياض تعلوه حمرة وكان أشيب
يضفر لحيته ويرجل رأسه وكان له من الأولاد عبد الله وعبد الرحمن
الأكبر وأم المؤمنين حفصة وعبيد الله وقتل بصفين مع معاوية
ومن ولده فاطمة وعاصم ورقية وزيد وعبد الرحمن الأوسط وكان
عمر رضى الله عنه يلقب بالفاروق ؛ بويع بالخلافة صبيحة وفاة
أبي بكر رضى الله عنه ولما بويع صعد المنبر وقال إنما مثل العرب
مثل جمل أنف اتبع قائده فلينظر قائده أين يقوده أما أنا فورب
الكعبة لأحملنكم على الطريق .

أمر العراق في عهد عمر

توفي الصديق رضي الله عنه والمثنى بن حارثة أمير جيش العراق مقيم بالمدينة يطلب المدد فلما ولي عمر ندب الناس مع المثنى فكان أول منتدب لذلك أبو عبيد بن مسعود الثقفي وسعد بن عبيد الأنصاري وسليط بن قيس فامر عليهم أسبقهم انتداباً أبا عبيد ابن مسعود وقال له (اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعاً بل اتئد فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة ولا يمنعني أن أوامر سليطاً إلا سرعته إلى الحرب والسرعة إلى الحرب إلا عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمرته) ثم قال (إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون واحرز لسانك ولا تفشين سرك فإن صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكره وإذا لم يضبطه كان بمضيعة) ثم أمر المثنى أن يتقدم إلى أن يلحقه الجيش وأمره أن يستنفر من حسنت توبته من المرتدين فسار مسرعاً حتى وصل الحيرة في عشر وكان الفرس قد شغلوا عن المسلمين باختلافاتهم الداخلية على من يلي ملكهم ثم اتفقوا أخيراً على ولاية بوران بنت كسرى وأن يقوم بأمرها رستم حتى يجدوا رجلاً من بيت كسرى يصلح للملك فاستعد رستم لقتال المسلمين وجهاز لذلك الجيوش فأرسل جيشاً إلى فرات بادقلى وقائده جابان

وجيشاً آخر إلى كسكر (بلد على الشاطئ الغربي لدجلة بين بغداد
والبصرة على آثارها الآن مدينة واسط) وقائده ترسي وجيشاً آخر
لمصادمة المثنى وأرسل إلى الفلاحين أن ينتفضوا على المسلمين ففعلوا
ولما بلغت هذه الأخبار المثنى خرج من الحيرة حتى نزل خفان
(مأسدة قرب الكوفة) وانتظر أبا عبيد حتى وصل بعد شهر من
مقدم المثنى وكان قد اجتمع من الفرس جمع عظيم وعسكروا بالتمارق
(بلد شمالى واسط) والزاب (نهر بين سورا وواسط ونهر آخر بقربه
وعلى كل منهما كورة وهما الزابان وتجمع بما حواليه من الأنهار
فيقال الزوابي ونهر جور كذلك من الأهر المتشعبة في جنوبي
الجزيرة) فهزمت السرايا من تجمع في هذه الجهات من الفرس
وطلب أمراؤها الصلح فأجيبوا ودفعوا الجزاء معجلاً ثم جاءوا إلى
أبي عبيد بأنواع الأطعمة المحبوبة عند الفرس فقال لهم هل أكرمت
الجند بمثلها فقالوا لم يتيسر ونحن فاعلون فقال أبو عبيد (لا حاجة
لنا فيه بنس المرء أبو عبيد إن صحب قوما من بلادهم استأثر عليهم
بشيء ولا والله لا آكل ما أتيتم به ولا بما أفاء الله إلا مثل ما يأكل
أوساطهم) فليتأمل المسلمون كيف كان سلفهم رضى الله عنهم ثم
سار حتى لقي الجالينوس بياقشيانا من باروسما فقاتله حتى هرب
وانهزم جيشه فأرسل أبو عبيد إلى عمر بالبشارة والأخماس وفيها
تمر كان لترسي لا يأكله إلا ملوك الأعاجم أو من أكرموه بشيء
منه أو لا يفرسه غيرهم وكتب إلى عمر (إن الله أطعمنا
مطاعم كانت الأكاسرة تحميها وأحببنا أن تروها لتشكروا

إنعام الله وإفضاله) ولما رجع الجالينوس إلى رستم منهزماً مجهز جيشاً عظيماً تحت قيادة بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب ومعه الراية العظمى لفارس واسمها (درفش كايان) عرضها ثمانية أذرع في طول اثني عشر من جلود النمر فلما بلغ ذلك أبا عبيد رجع إلى الحيرة وأقبل الجالينوس حتى نزل قس الناطف على الفرات وأقبل أبو عبيد فنزل عدوته مقابلاً لجيش الفرس وبين الفريقين نهر الفرات فنصب الفرس جسراً عليه .

وقعة الجسر

وخير بهمن المسلمين في أن يعبروا هم أو يعبر الفرس إليهم فاختر أبو عبيد العبور فنهاء ذوو الرأي منهم فلم يقبل وقال لا يكون الفرس أجراً على الموت منا فعبروا واشتد القتال وكانت الفيلة كثيرة في جيش الفرس فهابتها خيل المسلمين واشتد الأمر عليهم فقال أبو عبيد احتوشوا الفيلة وانطعوا بطانها واقلبوا عنها أهلها ووثب هو على الفيل الأبيض ففعل به ذلك ولمكن الفيل خبطه بيده فوق فوطئه الفيل حتى مات فأخذ الراية بعده ثنيه فقاتل عن جسثه حتى تمكن من أخذها ثم قتل فتتابع الراية سبعة نفر من ثقيف كلهم يأخذ الراية ويقتل ثم أخذ الراية المثنى فرأى أن الأمر اشتد على المسلمين وابتدأ بعضهم بالهزيمة فرأوا الجسر مقطوعاً قطعه أحد المسلمين لئلا يفروا فلم يعقهم ذلك بل نزلوا في الفرات فغرق بعضهم ونجا آخرون فنادى المثنى من عبر وأمرهم بعقد الجسر فعقدوه وأمر المسلمين

بالعبور وقال اعبروا على هينتكم فإنا دونكم ولا تدعشوا ولا تفرقوا
نفوسكم وبقى هو حتى عبر من عبر ثم عبر آخرهم وكان آخر من قتل
على الجسر سليط بن قيس ومات من المسلمين في هذه الواقعة ما يزيد
عن أربعة آلاف بين قتيل وغريق وقد ذهب كثير ممن عبر عن المثنى
استحياء مما فعلوه من الهزيمة فبقى المثنى جريحاً في قلة من جيشه
ومنع الله بهم من العبور خلف المسلمين بما بلغه من اختلاف
الفرس وانقسامهم قسمين قسم يريد رستم وقسم يريد الفيرزان فرجع
عن قصده ولما بلغ عمر خبر هذه الهزيمة وأن كثيراً من الناس ذهبوا
في البلاد استحياء قال (اللهم إن كل مسلم في حل مني أنا فئة كل
مسلم يرحم الله أبو عبيد لو كان انحاز إلى لـكنت له فيئة) ثم أمد
المثنى بجيوش كثيرة فيهم جرير بن عبد الله البجلي وقومه وعصمة
ابن عبد الله الضبي وقومه واستنفر من حسنت توبته من المرتدين
فكلما أتاه أحد منهم وجهه إلى المثنى (أما) رستم والفيرزان
الذان يتنازعان إمرة الفرس فإنهما لما علما بذلك وجها جيشاً
بقيادة مهران الفارسي إلى الحيرة فكذب المثنى إلى جرير وعصمة
ومن معهما أن يوافوه بالعذيب (بما يلي الكوفة الآن) وسار المثنى
حتى التقى بهم هناك فلقوا جيش مهران وبينهما نهر الفرات فاختار
المثنى أن يعبر إليه الفرس لأن المسلم لا يلدغ من جحر مرتين فأبلغ
الفرس ذلك فعبروا أما المثنى فسوى صفوفه وصار يحرض
المسلمين ويعظهم ويقول إني لأرجو ألا تؤتى الناس من قبلكم اليوم
والله ما يسرنى اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرنى لعامتكم وأنصف

الناس من نفسه في قوله وفعله وخلطهم في المحبوب والمكروه وقال
إني مكبر ثلاثا فإذا كبرت الرابعة فاحملوا فلها كبر الأولى أعجلتهم
الفرس فرأى خلافا في صفوف بني عجل فأرسل إليهم الأمير يقرئكم
السلام ويقول ليكم لا تفضحوا المسلمين اليوم فاعتدلوا فضحك فرحا
ثم اشتد القتال وحمل المثنى على قلب المشركين وفيه مهران والمجنبتان
تقتلان لا تستطيع إحداهما أن تفرغ النصر لأميرها لا المسلمون
ولا المشركون فتغلب قلب الإسلام على قلب الشرك وأوجع فيه
حتى قتل مهران فلما رأى ذلك مجنبتا المسلمين مالوا على من أمامهم
ميلة واحدة فردوهم على أعقابهم مدحورين فتسابقوا إلى الجسر
يريدون العبور فسبقهم إليه المثنى وحال بينهم وبين ما يشتهون فافترقوا
مصعدين ومنحدرين وكان المثنى رضى الله عنه يذكر هذا العمل من
زلاته ويقول (لا ينبغي إخراج من لا يقوى على امتناع) ثم سير
سرية لتعقب الفرس فبلغت سباط (موضع بالمداين) وافتتحها وصار
بعد ذلك طريق المسلمين من الحيرة إلى شواطئ دجلة آمننا ثم سار
قاصداً سوق الخنافس (موضع قرب الأنبار) وسوق بغداد بعد أن
خلف على الحيرة بشير بن الخصاصية فأغار عليهما وسار حتى نزل
نهر السالحين بالأنبار ثم سرح سرية لقتال جمع من العرب بصفين
(موضع غربي الفرات من جهة الشمال وهي الآن في ولاية حلب
الشهباء) فسارت إليهم وهزمتهم وبذلك صار سواد العراق المسلمين
يأخذون الجزية من أهل الذمة ويستغلون ما فتحوه عنوة ولم تبق
للفرس سلطة ما غربي الفرات وضعفت في بلاد الجزيرة فتأثر من

ذلك عامة الفرس ورأوا ملكهم آخذ في الاضمحلال فالزوال
إن لم يتلافوا الأمر فيسعوا أولا في إزالة هذه الاختلافات التي
كادت تقضى على حياتهم فاجتمع كبارهم عند رستم والفيرزان وقالوا
لها إنه لم يساعد العرب ويكسبهم الظفر علينا إلا تفرقكم وتخاذلكم
فإن لم تحسموا هذا النزاع وتلتفتوا لعدوكم بدأنا بكم فاشتفتينا قبل
أن يضيع ملك فارس فانهى الأميران إلى قول العظماء وبخشا عن رجل
من آل كسرى يصلح لولاية الملك وبعد الجهد وجدوا ابنا له اسمه
يزدجرد فتوجه بتاج الملك وفرح به الأمراء وجميع الرعية وأطاعه
الكل فسمى جيوشا لحماية ثغور البلاد واسترداد ما فقد منها فسير
جيشا للأبلة وجيشا للهيرة وجيشا للأنبار وكانت هذه أعظم ثغورهم
من الجهة الغربية فبلغت المشى هذه الأخبار فأرسل عمر بها فقال
عمر والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيسا ولا
ذراى أو شرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا إلا رامهم به وكتب
إلى المشى يأمره بالانسحاب من أرض العجم والتفرق في المياه حتى
تجتمع الجيوش وأمره ألا يدع في ربيعة ومضر أحدا من أهل النجدات
ولا فارسا إلا أحضره طوعا أو كرها فأنزل المشى جيشه على حدود
بلاد الفرس أولهم بالحلة وآخرهم بفضى (وهو جبل البصرة) متناظرين
يغيث بعضهم بعضا وكتب عمر إلى عماله أن يبعثوا من كانت له نجدة
أو فرس أو سلاح أو رأى وخرج إلى الحج سنة ثلاث عشرة فخرج
ورجع فجاهته أفواجهم إلى المدينة ومن كان أقرب إلى العراق انضم

إلى المثنى فلما اجتمع عند عمر جيش عظيم خرج بهم من المدينة بعد أن استخلف عليها علي بن أبي طالب ونزل بضرار (موضع قرب المدينة) فعسكر به والمسلمون لا يعلمون قصده أيسافر إلى العراق أم يقيم فسأله عثمان بن عفان عن حركته فأعلمهم واستشارهم أقيم ويولى قيادة الجيش غيره أم يقود الجيش بنفسه فقال العامة سر وسر بنا معك وأشار خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمقام وتولية رجل من أهل الشهامة والنجدة أمير أعلى الجيش فتبع رأيهم وانتخب لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي خال رسول الله صلى الله عليه وسلم فولاه ووصاه وكان فيما قال له (يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس في دين الله سواء وهم عباده يتفاضلون عنده بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر إلى الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه) ثم سرحه بأربعة آلاف وأتبعه بمثلها وأرسل إليه عهداً هذه صورته .

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم وعدتنا ليست كعدتهم فإن

استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في التوبة وإلا ننصر عليهم
بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله
يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في
سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا قرب قوم سلط
عليهم من هو شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بالمعاصي
كفكار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً وسلوا الله
العون على أنفسهم كما تسألونه النصر على عدوكم وأسأل الله ذلك لنا
وإيكم . وترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر
بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر ولم ينقص من قوتهم
فإنهم سائرون إلى عدوهم مقيم حامى الأنفس والكرام وأقم بمن معك في
كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون بها الأنفس ويرمون
أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا
يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحد من أهلها
شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها
فما صبروا لكم فتولوهم خيراً ولا تنتصروا على أهل الحرب
بظلم أهل الصلح وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك
وبينهم ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو
من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الكذوب
لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعض والغاش عين عليك وليس
عينك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع
وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم

وتتبع الطلائع عوراتهم واختر الطلائع أهل البأس والرأى من أصحابك وتخبر لهم سوابق الخيل فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة واجعل أهل السرايا من ذوى الجهاد والصبر على الجلال لا تخص بها أحداً بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حايت به أهل خاصتك ولا تبعث طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكابة فإذا عاينت العدو فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم بالمناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم أذك حراسك على عسكريك وتيقظ من البيات جهديك ولا تأت بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان) ولما وصل سعد زرود بلغه أن المشى توفى من أثر جراحة أصابته وأنه ولى على جيشه بشير بن الخصاصية فجمع سعد إليه جيش المشى وكان ثمانية آلاف وعسكر بشراف وعبي الجيش وأمر الأمراء وعرف على كل عشرة عريفاً وجعل على الرايات رجلاً من أهل السابقة أيضاً ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع فجعل على المقدمة زهرة ابن الحوية فانتهى إلى العذيب وعلى الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط الكندى وخليفته خالد بن عرفطة وعلى الساقة عاصم بن عمرو وعلى الطلائع سواد بن مالك وعلى المجردة سلمان بن ربيعة الباهلى وعلى الرجلة جمال بن مالك الأسدى وعلى

الركبان عبد الله بن ذى اليمين الحنفي وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن
ابن ربيعة الباهلي وكاتب الجيش زياد بن أبي سفيان ورائده وداعيه
سلمان الفارسي وكل ذلك بأمر من عمر ثم سار حتى نزل القادسية
(قرية قرب الكوفة ينزل بها حاج الكوفة الآن) بين العتيق والخذق
(هو حفير لسابور ملك الفرس بيرية الكوفة) والعتيق من فروع
الفرات بحيال القنطرة (وهي قرية بها قنطرة على فرع من فروع الفرات
فعرفت القرية بها) وكتب عمر إلى سعد (إني ألقى في روعي أنكم إذا
لقيتم العدو غلبتموهم فمضى لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان
أو إشارة أو لسان كان عندهم أماناً فأجروا له ذلك مجرى الأمان
والوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر هلكة وفيها وهنكم
وقوة عدوكم) وأقام سعد بالقادسية شهراً لا يأتيه من الفرس خبر
فبث سراياه بين كسكر والأنبار فأغارت على من ليس لهم ذمة
ومن غدر من أهلها فأرسل أهل السواد إلى يزيد جرد ملك الفرس
يخبرونه بما صنع المسلمون وأعلموه أنه إن تأخر القوا بأيديهم فأرسل
يزيد جرد إلى رستم وأمره بالاستعداد والتأهب ليكون قائد الجيش عظيم
يحارب المسلمين فامتلئ كرهاً لأنه كان من رأيه مطاردة المسلمين حتى
يهنوا وخرج فعسكر بساباط وبلغ خبر سعد أبلغه عمر فأرسل إليه عمر
(لا يكره بك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث رجلاً
من أهل المناظرة والرأي والجلديد عونه فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً
لهم) فأرسل سعد جماعة من الأشراف دعاة إلى يزيد جرد منهم النعمان

ابن مقرن وقيس بن زرارة والأشعث بن قيس وفرات بن حيان
وعاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبة فلما وصلوا
المدائن أدخلوا على يزيد جرد فسألهم بواسطة ترجمانه ما جاء بكم ودعاهم
إلى غزونا والولوغ ببلادنا أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا
فتكلم عنهم النعمان بن مقرن فقال (إن الله رحمتنا فأرسل إلينا رسولا
يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على إجابته خيري الدنيا
والآخرة فلم يدع قبيلة إلا قاربه منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة ثم
أمر أن نبتدىء بمن خالفه من العرب فبدأنا فدخلوا معه على وجهين
مكره عليه فاغتبط وطائع فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على
الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمر أن نبتدىء بمن جاورنا
من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين
حسن الحسن وقبيح القبيح كله فإن أبيتم فأمر من الشر أهون من آخر
شر منه الجزية فإن أبيتم فالمناجزة فإن أجبتهم إلى ديننا خلفنا فيكم
كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم
وبلادكم وإن بذلتم الجزاء قبلنا منكم ومنعناكم وإلا قاتلناكم) فقال
يزيد جرد إني لا أعلم أمة في الأرض كانت أشقى ولا أقل عددا ولا
أسوأ ذات بين منكم فقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونا
أمركم ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فإن كان غرور لحقكم
فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتنا إلى خصبكم وأكرمنا
وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم . فقام قيس بن
زرارة فقال أما ما ذكرت من سوء الحال فيكما وصفت وأشد ثم ذكر

من عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبي صلى الله عليه وسلم مثل
مقالة النعمان ثم قال (اختر إما الجزية عن يد وأنت صاغر أو السيف
وإلا فنج نفسك بالإسلام) فقال يزدجرد لولا أن الرسل لا تقتل
لقتلتكم لا شيء ليكم عندي ثم استدعى بوقر من تراب وقال لقومه
احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن فقام
عاصم بن عمر وقال أنا أشرفهم وأخذ التراب فحمله وخرج إلى راحلته
فركبها ولما وصل إلى سعد قال له أبشر فوالله لقد أعطانا الله أقاليد
ملكهم ثم إن رستم خرج بجيشه الهائل مائة ألف أو يزيدون من
ساباط فلما مر على كوئي (قرية بين المدائن وبابل) لقيه رجل من
العرب فقال له رستم ما جاء بكم وماذا تطالبون منا قال جئنا نطلب
موعد الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا قال رستم فإن
قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقي أنجزه الله وعده
فنحن على يقين قال رستم قد وضعنا إذا في أيديكم قال العربي أعمالكم
وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تجادل
الإنس وإنما تجادل القدر فغضب منه رستم وقتله فلما مر بجيشه
على البرس (قرية بين الكوفة والحلة) غضبوا أبناء أهله وأموالهم
وشربوا الخمر ووقعوا على النساء فشكى أهل البرس إلى رستم
فقال لقومه والله لقد صدق العربي والله ما أسلمنا إلا أعمالنا والله
إن العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم ثم سار حتى
نزل الحيرة فعنف عظاءها على الاستسلام للمسلمين فقال له ابن ببيعة
لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلو منا على الدفع عن أنفسنا

(ولما) علم سعد أمير جيش المسلمين خبر رستم أرسل عمرو ابن معد يكرب الزبيدي وطليحة بن خويلد الأسدي يستكشفان خبر الجيش مع عشرة رجال فلم يسيرا إلا قليلا حتى رأوا سرح العدو منتشرا على الطفوف فرجعوا إلا طليحة فإنه ظل سائرا حتى دخل جيش العدو وعلم ما عليه فرجع إلى سعد وأخبره خبره .

وقعة القادسية

ثم إن رستم سار بجيشه من الحيرة حتى نزل القادسية على العتيق (جسر القادسية) أمام عسكر المسلمين يحول بينهم وبين النهر ومع الفرس ثلاثة وثلاثون فيلا ولما نزل أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلا نكلمه فأرسل إليه ربيع بن عامر فجاهه وقد جاس على سرير من ذهب وبسط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب فأقبل ربيع على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدود بعصب فلما انتهى إلى البساط وطئه بفرسه ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما ثم أخذ عبادة بعيره فاشتتملها فأشاروا عليه بوضع سلاحه فقال لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم وإنما دعوتوني ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه حتى أفسد ما مر عليه من البساط ثم دنا من رستم وجلس على الأرض وركب رمحه على البساط وقال إنا لانقعد على زينتك فقال له رستم ما جاء بكم قال (الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه

ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ومن أبي قاتلناه حتى نفى إلى الجنة
أو الظفر . فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا
الأمر حتى ننظر فيه فقال نعم (وإن مما سن لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألا نـمـكن الأعداء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم
ثلاثاً فانظر في أمرك واختروا حدة من ثلاث بعد الأجل : الإسلام
وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وإن احتجت إلينا
نصرناك أو المنابذة في اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا وأنا كفيل بذلك
عن أصحابي) فقال رستم أسيدهم أنت قال لا (ولكن المسلمين كالجسد
الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم) ثم انصرف فخلا
رستم بأصحابه وقال رأيت كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل فأروه
الاستخفاف بشأنه فقال رستم ويلكم إنما أنظر إلى الرأي والكلام
والسيرة والعرب تستخف اللباس وتصون الأحساب فلما كان
اليوم الثاني من نزوله أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا هذا الرجل
فأرسل إليه حذيفة بن محصن الغطفاني فلم يختلف عن ربي في العمل
والإجابة ولا غرابة فهما مستقيان من إناء واحد وهو دين الإسلام
فقال له رستم ما قعد بالأول عنا قال (أميرنا يعدل بيننا في الشدة
والرخاء وهذه نوبتي) فقال رستم والمواعدة إلى متى قال إلى ثلاث من
أمس وفي اليوم الثالث أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلاً فأرسل
إليه المغيرة بن شعبه فتوجه إليه ولما كان بحضرته جلس معه على
سريره فأقبلت إليه الأعوان يجذبونه فقال لهم (قد كانت تبلغنا عنكم

الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه فظننت أنكم تواسون قوماً كما تتواسى وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم وإني لم آتكم ولكنكم دعوتوني اليوم علمت أنكم مغلوبون وإن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول (فقالت السوقة صدق والله العربي وقالت الدهاقين (زعماء الفلاحين) لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا تنزع إليه قاتل الله سابقينا حيث كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ثم تكلم رستم بكلام عظيم فيه شأن الفرس وصغر شأن العرب وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وضيق العيش فقال المغيرة (أما الذي وصفنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره والدنيا دول والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلاً على ما أوتيتم وقد أسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال وإن الله بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل ما تقدم وختم كلامه بالتخيير بين الإسلام أو الجزية أو المنازعة ثم رجع فخلاً رستم بأهل فارس وقال ابن هؤلاء منكم ألم يأتكم الأولان فجسراكم واستخرجاكم ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقاً واحداً ولزموا أمراً واحداً هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين والله إن بلغ من أدبهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم إن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء فلبجوا ولم تنتفع الفرس بهذه الدعوة بل تمادوا في غيرهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً فأجمع القائدان على المناجزة [٦ - إتمام الوفاء]

وأفرا على أن يعبر الفرس نهر العتيق فعبروا وعبأ رستم جيشه
العمرم وجعل بينه وبين يزدجرد بريداً يخبره بالحوادث في أوقاتها
وعبأ أمير المسلمين جيوشه وكانت صفوفهم مع حائط قديس والخندق
فكان الجيشان بين العتيق والخندق وأرسل سعد رجلاً من ذوى
المنطق الفصيح يحرضون على الجهاد وأمر القراء بقراءة سورة
الأنفال فقرئت ولما أتموا قراءتها شهت قلوب الناس وعيونهم
وعرفوا السكينة بقراءتها ثم قال لهم سعد الزموا مصافكم فإذا صليت
الظهر فإني مكبر فإذا كبرت الأولى فكبروا واستعدوا وإذا كبرت
الثانية فكبروا والبسوا عدتكم وإذا كبرت الثالثة فكبروا ونشطوا
الناس فإذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا
(لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) وكان ذلك فى المحرم من السنة
الرابعة عشرة فلما كبر سعد تكبيرته الأخيرة خرج أهل النجدات
فأنشبوا القتال ثم حمل الجيشان ولم يكن أشد على المسلمين من القبيلة
وكادت بجيلة أن تهلك لنفار خيلها فأرسل سعد إلى بنى أسد أن يدافعوا
عن بجيلة فقام رئيسهم طليحة بن خويلد بما عهد إليه خير قيام فلما
رأى الأشعث بن قيس ما يفعله بنو أسد قال لقومه يا بنى كندة لله در
بنى أسد أى فرى يفرون وأى هذ يهدون أغنى كل قوم ما يليهم وأنتم
تنتظرون من يكفيكم أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم من العرب ثم نهد
فهدوا معه وأزالوا من يقاتلهم ووجه الفرس قوتهم إلى بنى أسد لما
رأوا من شدتهم على القبيلة فدارت رحى الحرب على بنى أسد والقبيلة

تضربهم كثيرا فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو وزعيم بني تميم أن ينظر
حيلة للقبيلة فنأدى رماة قومه وقال لهم ذبوا ركبنا القبيلة عنهم بالنبل
وقال لآخرين استدبروا القبيلة ففقطعوا ورضنها (الوضين بطان عريض
منسوج من سيور أو شعر ولبطان حزام القتب) ففعلوا فعوت القبيلة
وقتل أصحابها فنفس عن أسد بعد أن قتل منهم خاصة في هذه الموقعة
نحو خمسمائة ولم يزل القتال ناراً تلظى إلى أن غربت الشمس فانفصل
الجيشان وهذا هو اليوم الأول من أيام القادسية ويسمى يوم أرماث
وتسمى ليلته ليلة الهدأة لأنه لم يحصل فيها قتال فلما أصبحوا وكل سعد
بالجرحي من يداويهم وبالقتلى من يدفونهم وعبي الجيش كما كان بالأمس
وبيناهم مصطفىون إذ قدم على المسلمين مدد من الشام بعثه بأمر عمر
أبو عبيدة عامر بن الجراح وعليه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الملقب
بالمرقال (لقبه بذلك علي ابن أبي طالب يوم صفين لأنه أعطاه الراية
فصار يرقل بها أي يسرح) وكان علي مقدمته القعقاع بن عمرو وفوصل
أولا لأنه تعجل فقدم صبيحة اليوم الثاني من أيام القادسية فقويت
به قلوب المسلمين ولم يلبث حتى خرج يطلب البراز فبرز إليه
ذو الحاجب صاحب وقعة الجسر فعرفه القعقاع ونأدى بالثرات
أبي عبيد وسليط وأصحاب الجسر ثم تضاربا فقتل ذا الحاجب وأفرح
قتله المسلمين بقدر ما أحزن المشركين ثم حمى القتال وفي هذا اليوم
شعر المسلمون بالظفر لأن القبيلة كانت تكسرت توأيتها فاشتغل
الفرس بإصلاحها وحمل بنو عم القعقاع عشرة عشرة على إبل قد

ألبسوها وهي مجللة مبرقة وأطافت بها خيولهم تحميمهم وأمرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالقبيلة فلقبت منها خيل الفرس أعظم مالاقت خيل المسلمين بالأمس وأظهر القعقاع في هذا اليوم شجاعة عظيمة واستمر القتال إلى نصف الليل فانفصل الجيشان ويسمى هذا اليوم يوم أغوات وهو اليوم الثاني من أيام القادسية وتسمى ليلته ليلة السواد ثم أصبحوا في اليوم الثالث وهو يوم عماس على مصافهم وبين الصنفين من جرحى المسلمين وقتلاهم ألفان فنقلهم إخوانهم الجريح للمداواة والقتيل للدفن وكان النساء هن اللاتي يداوين الجرحى أما قتلى المشركين الذين يزيدون على عشرة آلاف فلم يعتن قومهم بنقلهم وفي هذا اليوم أقبل هاشم المرقال في بقية جيشه وقد احترس الفرس في هذا اليوم على القبيلة فجعلوا وراءها رجالا يحملونها لئلا تقطع وضنها ولو لكان خيل المسلمين لم تنفر منها لأن الفيل إذا كان وحده كان أوحش وإذا أحاط به الرجال كان آنس ولأن الخيل أيضا تعودت رؤيتها ثم ابتداء القتال وحمل وطيسه فانتدب سعد القعقاع ومعه آخر لقتل الفيل الأبيض وهو كبير القبلة وانتدب آخرين لقتل الفيل الأجرى فذهب القعقاع ورفيقه وأشرع كل منهما رمحه فوضعه في عين الفيل فوق جنبه ثم قتلا ساسته وذهب الآخران فطعن أحدهما الفيل في عينه فأقعى (تساند إلى ما وراءه) ثم استوى فضربه الثاني فأبان مشفره فولى الفيل لا يلوى على شيء حتى رمى نفسه في العتيق وتبعه القبيلة فخرجت صفوف الأعاجم وعبرت العتيق وظل القتال مستمرا حتى جاء المساء فانفصل الجيشان

قليلاً ثم أمر سعد بمعاودة القتال متى أعلن بشعار القتال وهو (الله أكبر) فأعجلتهم الفرس عن انتظار تكبير سعد فحمل القعقاع ولم ينتظر فقال سعد اللهم اغفر له وانصره فقد أذنت له وإن لم يستأذن لأن المسلمين قد جربوا نتائج العصيان في وقعة أحد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف سعد أن يعاقبوا فأذن في القتال وإن لم يستأذنه ثم حمل بنو أسد فقال سعد اللهم اغفر لهم وانصرهم فقد أذنت لهم وهكذا كان يقول رضى الله عنه كلما حمل قوم قبل إعلانه التكبير فلما صلى العشاء كبر فحمل المسلمون كلهم وكانت ليلة ليلاء صوت الحديد فيها وكان كصوت القيون . وترك المسلمون الكلام وإنما كانوا يهرون هريراً ولذلك سميت هذه الليلة ليلة الهرير رأى فيها العرب والفرس ما لم يروا مثله قبلها فالمسلمون يحامون عن دينهم والفرس يحامون عن دوائهم ولكن أين من يحارب عن الدنيا ممن يحارب لتكون كلمة الله هي العليا ؟ واستمر القتال إلى الصباح فقال القعقاع إن الدائرة تكون لمن صبر ساعة فاصبر واساعة فإن النصر مع الصبر فانضم إليه جماعة من الرؤساء واستمروا يقاتلون حتى قام قائم الظهيرة فابتدأ الفرس بالتقهقر وكان أول من زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا عن مواقفهما ثم حمل هلال بن علفة أحد فرسان المسلمين فقتل رستم فلما رأى ذلك الفرس ابتدأوا بالانهزام فقام الجالينوس على الردم وأمر الجيش بالعبور فعبر من نجا منهم فتبعهم زهرة بن الخوية وأدرك الجالينوس وهو يجمع المنهزمين فقتله وأخذ ضرار بن الخطاب الفهرى الراية العظمى لفارس

وهي (درفش كايان) ويسمى هذا اليوم يوم القادسية وبعد تمام الهزيمة أمر سعد بجمع الأسلاب والغنائم وكانت شيئاً كثيراً فقسّمها كما أمر الله سبحانه وتعالى وهنا جنوده بهذا النصر المبين وبعث بالخمسة والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان رضى الله عنه يخرج كل يوم من المدينة يتنسم الأخبار حتى يردده حر الظهيرة فلما جاء البشير لاقاه عمر وهو يسير سيرا حثيثاً فسأله عمر من أين فأخبره الرجل أنه أت من قبل سعد فقال يا عبد الله حدثني قال هزم الله المشركين وعمر يخب وراءه والرجل لا يعرفه حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين فقال البشير هلا أخبرتني رحمك الله فقال عمر لا بأس عليك يا أخى .

وهذه الموقعة كانت أعظم وقعات المسلمين مع فارس قتل فيها مشاهير الفرس وكبار قوادهم وقتل من الجيش كثير غرقاً وقتلاً وقاتل فيها أغلب رؤساء العرب لأن عمر لم يترك أحداً من ذوى النجدات يتأخر عنها وكان المسلمون لا يذكرون ما بعدها من الوقائع وأقام سعد بالقادسية شهرين ينتظر أمر عمر حتى جاءه بالتوجه لفتح المدائن وتخليف النساء والعيال بالعتيق مع جند كفيف يحوطهم وعهد إليه أن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم ففعل وسار بالجيش لأيام بقين من شوال وكان فل المنهزمين لحق بيابل وفيهم بقايا الرؤساء مصممين على المدافعة .

فتح البرس

فلما وصلت مقدمة المسلمين برس قابلهم فيها بعض عساكر
الفرس فقاتلوا ثم انهزموا ولما أدركهم سعد أخبروه الخبر فسر
واستمر سائراً حتى وصل بابل .

فتح بابل

وهناك عبر الفرات وقاتل من تجمع ببابل فلم يلبث الفرس
إلا ساعة من نهار وانهمزوا مدحورين في أسرع من لفت الرداء
وناهيك بقتال من ملئ قلبه رعباً وهذا مصداق قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم (نصرت بالرعب) وهرب الفيرزان إلى نهاوند وهرب
المهرمزان إلى الأهواز (إقليم بالجنوب الغربي من بلاد فارس بين
البصرة وإقليم فارس وهي تسع كور وقاعدتها السوس ومن مدنها
تستر) وقصد بقية المنهزمين المدائن (مدينة كسرى جنوبي بغداد على
الذجلة وسميت المدائن لكبرها وهي غربية وشرقية وفي هذه
إيوان كسرى وهي قاعدة الملك) وتبع زهرة المنهزمين فلحقهم بين
الدير وكوثى فطردهم وقتل منهم جمعاً عظيماً .

فتح كوثى

ثم سار حتى وصل كوثى فخرج إليه أميرها مقاتلاً فقتل
وانهزم جيشه وانتظر زهرة هناك سعداً .

فتح ساباط

وبعد أن وصل سار زهرة حتى ورد ساباط فصالحه أهلها

على الجزية وانتظر سعدا فلما جاء سار الجيش كله قاصدا بهر سير وهي
المدينة الغربية فرأى المسلمون إيوان كسرى أمامهم وتذكروا وعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ روى مسلم عن جابر بن سمرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت
الأبيض بيت كسرى أو آل كسرى) فقويت قلوبهم وعظمت هممتهم
وهؤلاء جديرون بنصر الله لهم لأهم على يقين من دينهم فكلما
سنحت لهم فرصة تقربهم إلى الله بادرُوا إليها ﴿ إن في ذلك لآيات
لقوم يعقلون ﴾ ونادى ضرار بن الخطاب : الله أكبر هذا أبيض كسرى
هذا ما وعد الله وصدق رسوله وكبر وكبر معه المسلمون وحاصر
سعد المدينة في ذى الحجة من السنة الرابعة عشرة وأرسل الخيل لفتح
القرى المجاورة واستشار سعد عمر في أسرى الفلاحين فجمع عمر
أصحاب شورا وخطبهم فقال (إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط
حظه ولا يضر إلا نفسه ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع ويلزم
السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة أصاب أمره وظفر بحظه
وذلك بأن الله عز وجل يقول ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم
ربك أحدا ﴾ وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم وجلا أهله
وأتاهم من أقام على عهدهم فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره
وحشر وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم وجلا وفيمن أقام ولم يدع
شيئا ولم يجل وفيمن استسلم) فأجمعوا على الوفاء لمن أقام وكف
لم يزد غلبه إلا خيرا وأن من ادعى فصدق أو وفى فبمنزلتهم
وإن كذب نبذ إليهم أو أعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من

جلا إليهم فإن شاؤا دعوهم وكانوا لهم ذمة وإن شاؤا تموا على منعهم
من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال وأن يخبروا من أقام واستسلم
بين الجزاء والجلاء فكتب عمر إلى سعد بما أقر عليه علماء المسلمين
ورجال شوراهم نخلى سعد عن الفلاحين وأرسل إلى الدهاقين
ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة فتراجعوا ولم يبق غربى
دجلة سوادى إلا دخل فى ذمة المسلمين واغتبط بملكهم ؛ كيف
لا وقد رأوا قوما أساس دينهم المساواة فأميرهم كأصغر الرعية
أمام الحق . لا كبر ولا ظلم ، لا فساد فى الأرض ، خفت عنهم وطأة
الكبرياء والعبودية التى كانوا يسامونها فصاروا عباد الله وحده
(ولما) اشتد الحصار على المدائن الغربية ترك يزدجرد المدينة وعبر
إلى المدينة الشرقية فعزم سعد على العبور ولكن الفرس كانوا
أجمعوا المعابر فدلله فارسى على مخاضة تصالح للعبور فقال سعد لرؤساء
الجيش إنى قد عزمت على قطع هذا البحر فقالوا جميعا عزم الله
لنا ولك على الرشد فافعل فانتدب منهم من يعدى أولا ويحمى
الفراض حتى يعبر المسلمون فأجابه لذلك ذو البأس والنجدة عاصم
ابن عمرو سيد بنى تميم فعبر فى ستين فارسا من قومه فلما رأهم
الاعاجم قصدوهم فشرعوا نحوهم الرماح فلم يصبر الفرس ولما رأى
سعد أن الفراض محمية أمر المسلمين بالعبور فعبروا وهم يقولون
نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان يساير سعدا سلمان الفارسى
فعامت بهم خيولهم وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله

لينصرن الله وليه وليظهن دينه وليهزمن عدوه إن لم يكن في
الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان : الإسلام
جديد ذلت لهم البحور كما ذلل لهم البر أما والذي نفس سلمان
بيده ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فأبر الله قسمه وخرجوا ولم
يفقد أحد منهم شيئا ولم يغرق منهم أحد غير أن رجلا زال عن
ظهر فرسه فثنى القعقاع عنان فرسه إليه فأخذ بيده وأخرجه سالما
فانظر رعاك الله كيف لم تشغل القعقاع نفسه وهو في أخرج
المواقف بل أثر رقيقه على نفسه وبذلك تتجلى لك مظاهر الإسلام
والأخوة الإسلامية في أعلى درجاتها . وكان هذا اليوم يسمى
يوم الجرائم لا يعي أحد إلا تبينت له جرثومة يربح عليها (ولما)
رأى الفرس عبور المسلمين سقط في أيديهم ورأوا أن لا قبل لهم
بالمدافة فترك يزدجرد المدينة وهرب قاصدا حلوان (بلدة بينها
وبين بغداد أربعة مراحل وهي منتهى العراق من جهة الشرق وتعد
من كور الجبل وهي مبنية على شاطئ نهر متفرع من دجلة وتقابل
طبرستان) وكان قد قدم إليها أهله وولده فدخل المسلمون المدينة
من غير معارض ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ مصلى وقرأ
قوله تعالى ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴾ وابتدأ
يجمع الغنائم والأسلاب وكانت شيئا عظيما وأرسل وراء الهاربين
بالأموال والذخائر فأتى بهم ولم يفلت منهم أحد وكان أول من
دخل المدائن من جيوش المسلمين كتيبة القعقاع بن عمرو وتسمى

الخرساء وبعدها كتيبة عاصم بن عمرو وتسمى كتيبة الأهوال ثم
قسم سعد الغنيمة فأصاب الفارس اثنا عشر ألفاً وقسم المنازل بين
الناس وأحضر العيالات من العتيق فأنزلهم الدور وصارت المدائن
قاعدة لأعمال العراق يقيم بها أميره وكانت أول جمعة جمعت بالمدائن
في صفر من السنة السادسة عشرة وأرسل سعد الأخماس إلى عمر
ومعها كل شيء أراد أن يعجب منه العرب وكان فتح المدائن في
أواخر السنة الخامسة عشرة ولما قدم البشير على عمر بذخائر كسرى
قال إن قوماً أدوا هذا لذو وأمانة فقال له علي (إنك عففت فعفت
الرعية) ومما بعث به إليه بساط لكسرى يسمى القطف وكان ستين
ذراعاً في ستين فاستشار عمر أصحابه فيما يفعل به فكلهم أشار عليه
بأخذه لنفسه إلا علياً فإنه قال له يا أمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم
يبق إلا التروية إنك إن تقبله علي هذا اليوم لم تعدم في غد من
يستحق به ما ليس له قال صدقتي ونصحتي فقسمه بينهم وولى عمر
سعد بن أبي وقاص صلوات ما غلب عليه وحربه وولى علي الخراج
النعمان بن مقرن علي ما سقت دجلة ، وسويدا أخاه علي ما سقت
الفرات ثم استعفيا فولى عملهما حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو
المزني ثم ولى عملهما بعد حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف .

فتح جلولاء

ولما انهزم الفرس ورحلوا عن المدائن اتجهوا شمالاً حتى وصلوا
جلولاء شرقي دجلة (بلدة على شاطئ دجلة شمال المدائن وهي من

أعمال بغداد فافترقت بهم الطرق ، أهل أذربيجان يريدون الشمال
وأهل إقليم فارس يريدون الجنوب فقالوا إن افترقنا لم نجتمع فهلم
فلنحتشد لحرب العرب هنا فإن كانت لنا كان ما أردنا وإن كانت
علينا كنا شفينا أنفسنا وولوا أمرهم مهران الرازي وحفروا
حولهم خندقاً أحاطوه بحسك الحديد إلا طرفهم فبلغ ذلك سعدا
فسرح إليهم ابن أخيه هاشم بن عتبة في اثني عشرة ألفاً وجعل على
مقدمته القعقاع حسباً أمر عمر فساروا في صفر من السنة السادسة
عشرة حتى أتوا جلولاء فانحصر الفرس في خنادقهم ثمانين يوماً
ولا يقدر عليهم المسلمون وبعد هذه المدة انكشف لهم طريق من
الخندق كان المشركون أعدوه لسير خيلهم فهجموا منه وقتلوهم قتالاً
شديداً شبيهاً بقتال ليلة الهريز إلا أنه كان أسرع فقتل من المشركين
مقتلة عظيمة وانتهى القتال بهزيمتهم إلى خانقين فتبعهم إليها القعقاع
والمسلمين وهزمهم منها . أما يزيد جرد فإنه لما بلغه امتلاك جلولاء ترك
حلوان وتوجه إلى الري فسار القعقاع إلى حلوان وامتلكها ثم أرسل
سعد إلى عمر يخبره بهزيمة الفرس ويستأذنه في اتباعهم إلى
داخل بلادهم فلم يرض عمر وقال وددت أن بين السواد والجليل
صداً حصيناً من ريف السواد فقد آثرت سلامة المسلمين على
الفيء والأخماس ولما قدمت عليه الأخماس قال والله لا يجنحها سقف
حتى أقسمها فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم
يحرسانها في المسجد فلما أصبح الصبح جاء عمر فنظر إلى ما في
الأخماس من جوهر ودر فيسكى فقال عبد الرحمن ما يبكيك

يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكرك فقال عمر والله ما ذلك
يبكيني وباللّٰه ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ولا
تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد وهو ما بين
حلوان شرقاً إلى القادسية غرباً وكان فتح جلولاء في ذى القعدة من
السنة السادسة عشرة وفي جمادى الأولى من السنة السادسة عشرة
بلغ سعداً أن الإنطاق ملك الموصل سار منها إلى تكريت (بلد على شاطئ
دجلة الشرقى شمال بغداد) ومعه جمع كثير من الروم والعرب فسير
إليه عبدالله بن المعتم حسباً أمر عمر فسار عبد الله إلى تكريت وحصرها
أربعين يوماً وفي نهايتها أرسل إلى العرب الذين مع الإنطاق يستميلهم
إليه ويدعوهم لنصرته وخذلان الفرس والأروام الذين ليسوا من
جنسهم فأجابوه لذلك وأنهم معه فأرسل إليهم إن كنتم صادقين
فأسلموا فهداهم الله للدين القويم وأسلموا فأرسل إليهم إذا سمعتم
تكبيرنا فاعلموا أننا قد أخذنا أبواب الخندق فخذوا الأبواب التي
تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ثم حمل عبدالله وكبر فكبر
العرب فظن المشركون أن المسلمين جاؤهم من خلفهم مما يلي دجلة
فقصدوا أبواب الخندق فأخذتهم سيوف المسلمين فلم يستطيعوا
مدافعة وهرب منهم من أطاق الهرب ودخل المسلمون المدينة .

فتح نينوى والموصل

ثم أرسل عبدالله سرية لفتح نينوى والموصل (بلدان على دجلة

بعد الدرجة السادسة والثلاثين من العرض الشمالى الأولى على الشاطئ الشرقى والأخرى على الغربى) وأرسل فى هذه السرية جمعاً من العرب الذين كانوا مع الفرس فسبقوا إلى البلدين أخبروا بفتح وظفر الفرس ففتحت لهم الأبواب ولم يلبث المسلمون أن جاؤا فدخلوا من غير معارض فطلب أهلها الأمان على الجزية فأمنوا وصاروا ذمة ثم قسم عبد الله الغنائم وأرسل الخمس إلى عمر .

فتح ماسبذان

ثم بلغ سعداً أن جمعاً عظيماً من الفرس تجمعوا بسهل ماسبذان فأرسل إليهم ضرار بن الخطاب الفهرى فشنت شملهم وقام بماسبذان مرابطاً لأنها كانت ثغراً تؤتى المدائن من قبلها .

فتح هيت

ثم أرسل سعد عمر بن مالك بجيش إلى هيت (ناحية من نواحي بغداد) لفتحها فجاء وقد خندق حولها المشركون فحاصرها وفى أثناء الحصار فتح قرقيسيا (بلد على شاطئ الفرات شمالى الأنبار بينها وبين الرقة وهذه واسطة ديار ربيعة التى مركزها نصيبين) ولما رأى أهل هيت أن لا قبل لهم بالحرب أجابوا إلى دفع الجزية وصاروا ذمة .

تخطيط الكوفة

مكثت المدائن قاعدة أعمال العراق منذ فتحت إلى السنة السابعة عشرة فرأى عمر بن الخطاب فى وجوه العرب الذين نزلوا بها تغيراً

في ألوانهم وضعفأ في أبدانهم فكتب إلى سعد أن ابعث سلمان
الفارسي وحنيفة بن اليمان رائدين فليرتاذا منزلا بر يا بحري ليس بيني
وبينكم فيه بحر ولا جسر فأرسلهما سعد كل واحد من جهة فاجتمعا
بالكوفة - ومعناها الرملة الحمراء المستديرة أو كل رملة تخالطها حصباء -
فاستحسنها وصليا بها ودعوا الله أن يجعلها منزل الثبات ثم رجعا
إلى سعد وأخبراه فأرسل إلى القعقاع وعبدالله بن المعتم أن يستخلفا
على جيوشهما ويحضرا ثم سار من المدائن حتى وصل أرض الكوفة
فعسكر بها في المحرم من السنة السابعة عشرة ثم استشاروا عمر في
البناء بالقصب فأذن لهم ولما حصل فيها الحريق عقب تخطيطها
استأذنوه في البناء باللبن فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم عن ثلاثة
آيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة . وكان
مخطط الكوفة أبو هياج ابن مالك فجعل النهج (الشارع الأعظم)
أربعين ذراعا وما يليه ثلاثين وما بين ذلك عشرين والأزقة سبعة
أذرع ليس دون ذلك شيء وجعل القطائع ستين ذراعا وأول شيء
أسس فيها المسجد وبنى بحيا له داراً لسعد وهي قصر الكوفة والمدينة
مبنية على الشاطئ الغربي لنهر الفرات بينها وبينه نحو نصف فرسخ
كله حدائق نخل ملتفة يمتد سوادها امتداد البصر والمسافة بينها وبين
بغداد ثلاثون فرسخاً أي عرض الجزيرة من هناك ، وبعد أن تم
تخطيطها نقل إليها العرب الذين بالمدائن بعد أن خيروهم فمن شاء
الإقامة بالمدائن تركه ومن شاء الرجوع إلى الكوفة رجع وصارت
قاعدة أعمال العراق من ذلك الحين . وفي هذه السنة على ما عليه

أكثر المؤرخين أسست مدينة البصرة وهي قريبة من خليج فارس على مجتمع الدجلة والفرات أسسها عتبة بن غزوان بأمر عمر وصارت قاعدة ثانية للعراق لأن عمر قسمه قسمين أعلى وقاعدته الكوفة وواليها سعد وأسفل وقاعدته البصرة وواليها عتبة وقد كان يتبع الكوفة من ولايات الفرس بعد افتتاحها الباب وأذربيجان وهمدان والرى وأصبهان وماه والموصل وقرقيسياه وكلها في الجهة الشمالية وكان يتبع البصرة خراسان وسجستان ومكران وكرمان وفارس والأهواز .

غزو الفرس من البحرين

كان المسلمون في العصر الأول يتنافسون فيما يقربهم إلى الله فلما رأى العلاء بن الحضرمي أمير البحرين نكايه سعد في الفرس أراد أن يؤثر فيهم أثراً مثله فانتدب أصحابه لذلك فأجابوه فقسمهم ثلاث فرق على إحدائها الجارود بن المعلى العبدى وعلى الثانية سوار بن همام وعلى الثالثة خايد بن المنذر بن ساوى وهو الرئيس العام وأجازهم الخليج الفارسي لفتح تلك الجهات ولكن مما يؤسف له أن هذا العمل كان بغير استشارة أمير المؤمنين وخصوصاً أن الغزو من البحر كان مما لا يراه عمر بن الخطاب وكثيراً ما كان ينهى عنه خوفاً من الغرق فعبر جيش العلاء البحر وسار حتى أتى اصطخر (وسط إقليم فارس وهي المدينة العظمى فيه) فخرج إليهم جمع عظيم من الفرس وحالوا بينهم وبين مرابكهم فلما علم بذلك خليد خطب أصحابه فقال (أما بعد فإن

القوم لم يدعوكم إلى حربهم وإنما جئتم لهم والسفن والأرض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ، ثم عبأ جيشه وحمل فقتل من المسلمين الجارود وسوار وقتل من الفرس كثير . ولما رأى المسلمون أن مكثهم قليلون وسط بلاد الفرس تغرير بهم أرادوا الرجوع إلى البصرة من طريق البر لأنه لا سبيل لهم إلى السفن فأخذ الفرس عليهم الطريق فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر فعلة العلاء وحصر المسلمين أرسل لعتبة بن غزوان أمير البصرة أن يجهز جيشاً كثيفاً لتخليص المحصورين قبل أن يهاكوا فجهز لهم جيشاً فيه اثنا عشر ألف مقاتل فساروا حتى التقوا بالمسلمين وقد جمع لهم الفرس جمعاً عظيماً فقاتلوهم حتى هزموهم وخلصوا إخوانهم من شر عمل لم يستشر فيه أمير المؤمنين وهذه أول غزوة شرفت بها نابتة البصرة وكان عقاب عمر للعلاء أن صرفه عن إمارة البحرين وسيره إلى الكوفة ليكون تحت إمرة سعد .

فتح الأهواز

قدمنا أن الهرمزان لما انهزم من القادسية قصد الأهواز وملك خوزستان (من كور الأهواز وهي الآن اسم لأقليم في بلاد الفرس قاعدته تستر) وكان يغير على أهل ميسان (كورة بين البصرة وواسط) يأتي إليها من منازر ونهر تيرى (من تغور الأهواز فأرسل عتبة بن غزوان إلى عمر يخبره بخبر الهرمزان فأرسل عمر إلى سعد أمير الكوفة أن يمد عتبة فأمدته بنعيم بن مقرن ونعيم بن [٧ - إتمام الوفاء]

مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان حتى يكونا بين البصرة وثغور
الأهواز وأرسل عتبة سلمي بن القين وحرملة بن مريبط فنزلا على
ثغور البصرة بميسان ودعوا من يقيم هنالك من العرب ليكفونوا مع
المسلمين على قتال الفرس فأجابهم بنو العم وكانوا ينزلون قبل
الإسلام بخوزستان فاتعد الأميران مع رئيسين من هؤلاء العرب
على أن يشورا أحدهما بمناذر والآخر بنهر تيرى في يوم عيناه لهما فلما
كان هذا اليوم أنشب جيشا البصرة والكوفة القتال مع الهرمزان
وبينما هو يقاتل إذ جاءه الخبر بأخذ مناذر ونهر تيرى فأنكسرت
نفسه وانهمزم جيشه فأتبعهم المسلمون إلى شاطئ دجيل (شعب من
دجلة بالأهواز) وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وطلب الصلح
فصوّلح على ما دون مناذر ونهر تيرى المأخوذين عنوة وأقيمت
فيهما حامية وكان فتح الأهواز في السنة السابعة عشرة ورجع باقى
المسلمين إلى البصرة ومعهم بنو العم الذين هدوا للإسلام فأرسل
عتبة وفداً منهم إلى عمر وفيهم الأحنف بن قيس فلما وصلوا إليه
طلب من كل منهم أن يرفع إليه حاجة فطلب كل واحد منهم خاصة
نفسه إلا الأحنف بن قيس فإنه قال (يا أمير المؤمنين لقد يعزب
عنك ما يحق علينا إنهائه إليك مما فيه صلاح العامة وإنما ينظر
الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ويسمع بأذانهم) ثم ذكر حال
البصرة وحال الكوفة وبين ما امتاز به الكوفيون عن إخوانهم
البصريين وقال فى آخر كلامه (وقد وسع الله علينا وزادنا

في أرضنا فوسع علينا أمير المؤمنين وزدنا طبقة تطوف علينا
ونعيش بها) فلما سمع قوله أحسن إليهم وأقطعهم مما كان لأهل
كسرى ثم قال إن هذا الفتى سيد قومه وكتب إلى عتبة أمير البصرة
أن يسمع منه ويرجع إلى رأيه .

انتقاض الهرمزان

(ثم) إن الهرمزان انتقض بعد الصلح لخلاف حصل بينه وبين
حامية مناذر ونهر تيرى في تحديد التخوم واستعان بالأكراد فكتب
عتبة إلى عمر يخبره بذلك فأجابه بأن يقصده وأمد المسلمين بحرقوص
ابن زهير السعدى وأمره على القتال وعلى ماغلب عليه فسار وسار
معه جيش البصرة حتى أتى جسر سوق الأهواز وعبره وقاتل
الهرمزان وهزمه وبعث في أثره جزين معاوية ففتح سوق الأهواز
وأعجزه الهرمزان فمال إلى مدينة سوق (قاعدة كورة بالأهواز)
وفتحها ودعا من هرب للرجوع ودفع الجزية فأجابوا وأقام هناك
والياً فعمر البلاد وشق الأنهار وأحيا الموات (ثم) إن الهرمزان
راسل حرقوصا في طلب الصلح فأجابه بعد استئذان عمر وأقام
الهرمزان والمسلمون يمنعونه من الأكراد ونزل حرقوص جبل
الأهواز فشق ذلك على المسلمين وأهل الذمة فكتب إليه عمر أن
انزل السهل وألا تشق على مسلم ولا معاهد وأن لا تدر كك فترة ولا
عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك وفي هذا الوقت ولي عمر البصرة

المغيرة بن شعبة بعد وفاة أميرها عتبة بن غزوان رضي الله عنه ثم عزله وولى عليها أبو موسى الأشعري وأعانه بتسعة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أنس بن مالك وعمران ابن حصين وهشام بن عامر (وفى) عهد أبي موسى كان يزدجرد ملك الفرس يمدعو الفرس للأخذ بناصره واسترداد ما كان لهم فتحركوا وكاتبوا أهل الأهواز الذين صالح عليهم الهرمزان فبلغ ذلك ولاية الأهواز فأرسلوا إلى عمر بالخبر فكتب إلى سعد أمير الكوفة أن يسير إلى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وأرسل إلى أبي موسى أمير البصرة أن يسير إليها جنداً كثيفاً مع معد بن عدى وأن يكون قائد الجيشين أبو سبرة بن أبي برهم فسار النعمان بن مقرن مع جيشه حتى وصل رامهرمز (بلد بخورستان) والهرمزان بها عاصم فقاتله النعمان حتى هزمه فلاحق بتستر (من مدن الأهواز قريبة من السوس) فملك النعمان رامهرمز.

فتح تستر

ولما وصل جيش البصرة إلى الأهواز نزلوا أسواقها وكانوا يريدون رامهرمز فبلغهم خبر الواقعة وأن الهرمزان لحق بتستر فقصدتها وكذلك النعمان وولاية الأهواز ونزل الجميع عليها والفرس مخندقون حولها فأقام المسلمون على حصارها وبنى أبلى فيه بلاء حسنا البراء ابن مالك ومجزأة بن ثور وعدة من أهل البصرة والكوفة ولما اشتد الحصار على أهل تستر خرج منهم رجل فاستأمن المسلمين على أن يدهم

على مدخل يدخلون منه المدينة فأمنوه فدلهم على مدخل الماء فانتدب قائد الجيش من يسير مع الرجل فأجابه عدة من أهل البصرة والكوفة ودخلوا من هذا السرب والمسلمون ينتظرون تكبيرهم فلما وصلوا المدينة كبروا فكبر المسلمون وفتحت الأبواب ومن قاتل قتل وتحصن الهرمزان بقلعة المدينة فأطافوا به فطلب منهم النزول على حكم عمر فقبلوا ذلك منه وقتل في هذا الحصار البراء بن مالك ومجزأة بن ثور

فتح السوس

ثم سار الجيش حتى بلغ السوس (قاعدة كورة بالأهواز) وفتحها صلحاً ثم سير الأمير سرية لفتح جند يسابور فصالح أهلها وبعد تمام الفتح سير أبو سبرة إلى عمر وفداً فيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك ومعهم الهرمزان.

وفود الهرمزان

فلما قدموا المدينة ألبسوا الهرمزان كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللاً بالياقوت وحليته إيراة عمر والمسلمون ثم توجهوا إلى عمر في المسجد فوجدوه نائمًا والدرة في يده فقال الهرمزان أين عمر فقالوا ها هو قال فأين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب قال فينبغي أن يكون نبياً قالوا بل يعمل بعمل الأنبياء فاستيقظ عمر وأخبر بالهرمزان فنظر إليه وقال (الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباهه) ثم أمر بنزع ما عليه وأن يلبس ثوباً صفيقاً ثم قال له عمر كيف رأيت عاقبة الغدر

وعاقبة أمر الله فقال يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا فقال له عمر (إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتنا) ثم قال عمر ما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى فقال أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك فقال لا تخف ذلك واستسقي ماء فأتى به في قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم استطع أن أشرب في مثل هذا فأتى به في إناء يرضاه فقال أخاف أن أقتل قبل أن أشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر أعيديوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش فقال لا حاجة لي في الماء وإنما أردت أن أستأمن به فقال له عمر إني قاتلك قال قد أمنتني فقال عمر كذبت فقال أنس بن مالك صدق يا أمير المؤمنين قد أمنتته قال عمر يا أنس أنا أو من قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبك قال قلت لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه وقال من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتني والله لا أنخدع إلا للمسلم فأسلم الهرمزان وصار من التابعين بإحسان ففرض له عمر العطاء على الفين وكان يترجم بينهما المغيرة بن شعبه ثم قال عمر للوفد لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة فلذلك ينتقضون قالوا ما نعلم إلا وفاء قال فكيف هذا؟ فقال الأحنف بن قيس يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وإن ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج

أحدهما الآخر وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاشهم
وغدرهم وأن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى
تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم فهناك ينقطع
رجاؤهم فقال عمر صدقتني والله وصمم على اتباع مشورته .

وقعة نهاوند

أما ملك الفرس فإنه لما اجتمعت له الجموع بنهاوند (من بلاد
الجيل جنوبي همدان) سار إليهم من مرو وقام بمساعدته الملوك بين
الباب والسند وخراسان وحلوان (هذه حدود المملكة الفارسية
من الشمال والجنوب والشرق والغرب) فكتب سعد إلى عمر بالخبر
وفي هذا الوقت اشتكى سعداً جماعة من أهل الكوفة واتهموه بأنه
لا يعدل فقال عمر والله لا يمنعني ما نزل بالمسلمين عن النظر في
شكواهم واستقدم سعداً فخلف على عمله عبد الله بن عتيان وتوجه إلى
المدينة وحقق عمر ما نسب إلى سعد بواسطة محمد بن مسلمة الذي
كان يقتص آثار من شكا من العمال فوجده بريئاً ولكن عمر كان
يحب ألا يكون بين الرئيس والمرءوس بغضاً لأن ذلك يؤدي إلى
الفشل والخيبة فعزله وولى على الكوفة النعمان بن مقرن المزني وكان
قد اقتحم جنديسابور والسوس في جمع من أهل الكوفة فأرسل
إليه عمر عهد الولاية وهذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى
النعمان بن مقرن سلام عليك : فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو

أما بعد فإنه قد بلغنى أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا تواطئهم وعرأ فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلهم غيضة فإن رجلاً من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار والسلام عليك (من ناربخ الطبرى) وأمره بالمسير إلى ماه لتجتمع عليه الجيوش هناك ثم يسير بهم إلى نهاوند وكتب إلى عبد الله ابن عتبان خليفة سعد على الكوفة يأمره باستنفار الناس للتوجه إلى النعمان وأرسل إلى جندالاهواز يأمرهم بالمقام به ليكونوا حائلاً بين أهل إقليم فارس وبين المجتمعين بنهاوند فلما اجتمعت الجيوش عند النعمان أرسل عمر بن ثنى وعمر بن معد يكرب وطليحة بن خويلد يكتشفون الطريق بين ماه ونهاوند . فأما عمر بن ثنى فرجع من ليلته فقيل له ما أرجعك فقال لم أكن بأرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرض عالمها وأمر عمرو بن معد يكرب فرجع صبيحة اليوم الثانى فسئل عما رآه فقال سرنا يوماً وليلة فلم نر شيئاً وأما طليحة فلم يزل سائراً حتى رأى جيش الفرس وعرفه فرجع وأخبرهم أن ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهونه فسار النعمان بالجيش وعلى مقدمته أخوه نعيم بن مقرن وعلى مجنبيه أخوه سويد بن مقرن وحذيفة بن اليمان وعلى المجردة القعقاع وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وجاءهم مدد من المدينة عليهم المغيرة بن شعبه فلما وصلوا نهاوند كبر النعمان فكبر الجند ثم حطوا الأثقال وضرب فسطاط

النعمان أكبر الكوفة حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن
شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة الكاتب وجريير بن عبد الله
والأشعث بن قيس وغيرهم فلم ير بناء فسطاط بالعرب كهؤلاء ثم
أنشب المسلمون القتال فقاتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس وفي يوم الجمعة
انحجز الفرس في خنادقهم يخاف المسلمون أن يطول عليهم الانتظار
فتشاوروا فيما يفعلون ثم أقروا على أن يأمرُوا القعقاع بإنشأب
القتال فإذا قاتله الفرس أظهر الهزيمة أمامهم فإذا تبعوه وصاروا بين
المسلمين قاتلوهم ويقضى الله ما يشاء فأمر النعمان القعقاع أن ينشب
القتال ففعل فخرج الفرس من خنادقهم فأظهر القعقاع الهزيمة أمامهم
فتبعوه فرحين لم يروا مثل ذلك من المسلمين قبل الآن ولم يزالوا
حتى قاربوا الجيش فأمر النعمان جنده ألا يحاربوا حتى يأذن لهم
وانتظر الساعة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن لا يقاتل
فيها إذا زالت الشمس فلما حانت حمل وكبر فتبعه المسلمون وقال إن
قتلت الأمير بعدى حذيفة وقاتل المسلمون والفرس قتالا لم يروا
مثله ولا يوم القادسية وفي أثناء القتال استشهد النعمان فسجاه أخوه
نعيم وكنتم موته عن الجند لئلا يهنوا وأخذ الراية حذيفة واستمر
القتال إلى آخر النهار ولما أظلم الليل انهزم الفرس وعمى عليهم
الطريق فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا يعبدونه فوقع فيه كثير
منهم ولم يفلت إلا الشريد ونجا الفيرزان من بين الصرعى فذهب
شمالا نحو همدان فتبعته فصيلة من الجيش وقتلوه بثنية همدان وفتحوا
همدان صلحا ولما بلغ المهاجرين هذا الحبي بادروا إلى طلب الصلح

فأجيبوا وهذا نص كتاب عهدهم عن الطبرى :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل
ماه بهراذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضهم لا يغيرون
عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما أدوا الجزية في
كل سنة إلى من وليهم على كل حال في ماله ونفسه على قدر طاقته
وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقرروا جنود المسلمين بمن
مر بهم فأوى إليهم يوماً وليلة ووفوا ونصحوا فإن غشوا وبدلوا
فدمت منهم بريئة) شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرن وسويد بن
مقرن وكتب في المحرم سنة ١٩ ثم عادت السرية وجمع المسلمون
من الغنائم والأسلاب شيئاً كثيراً وكان الذى يحسب لهم ويكتب
السائب بن الأقرع فأرسله حذيفة بالخمسة والبشارة فلما قارب
المدينة وجد عمر خارجاً يتنسىم الأخبار لأنه قدر الواقعة قبلها
فبات يتعلم فلما رأى السائب قال ما وراءك قال خيراً يا أمير
المؤمنين فتح الله عليك وأعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن
قال عمر (إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم بكى فنشج حتى بان
فروع كتفيه فوق كتفه: فلما رأى السائب ذلك قال يا أمير المؤمنين
ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال أولئك المستضعفون
من المسلمين ولكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم
وأنسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر. وكان سهم الفارس
بهاوند ستة آلاف وسمى المسلمون فتح نهاوند فتح الفتوح لأنه لم يقم
للفرس بعده قائمة ومما يستحق الذكر أن المسلمين عثروا فى غنائم

نهاوند على سفطين مملوئين جوهر آ نفيساً من ذخائر كسرى فأرسلهما
حذيفة أمير الجيش إلى عمر مع السائب فلما أوصلهما له قال ضعهما
في بيت المال والحق بجنديك فركب راحلته ورجع فأرسل عمرو وراءه
رسولا يخب السير في أثره حتى لحقه بالسكوفة فأرجعه فلما رآه عمر
قال مالي والسائب ما هو إلا أن نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت
الملائكة تسحبني إلى السفطين يشتعلان ناراً يتوعدوني الكي إن
لم أقسمهما فخذهما عني وبعهما في أرزاق المسلمين فبيعا بسوق الكوفة
فرضى الله عنك يا عمر لقد سرت بسيرة نبيك فعززت وأعززت
بالإسلام والمسلمين اللهم ألهمنا الاتباع واكفنا شر الابتداع (ثم)
رجع حذيفة بجيشه بعد وقعة نهاوند فائزاً منصوراً .

فتح همدان

وبينما هو راجع بلغه أن أهل همدان انتقضوا بعد الصلح فأبلغ
الخبر عمر فأمره أن يسير إليها نعيم بن مقرن فرجع إليها من الطريق
على تعبئة واستولى على بلادها جميعاً وحاصرها هي فطلب أهلها الصلح
فصولحوا على الجزية ثم توجه إلى واج روذ حيث تجمع الديلم وأهل
أذربيجان وأهل الري فقاتلهم نعيم قتالاً شديداً حتى هزمهم وأرسل
إلى عمر بالخبر فأمره بقصد الري (بلد قرب طهران في جنوبها الشرقي)
فسار حتى قدمها فخرج إليه رئيس جندها أبو الفرخان طالباً الصلح
ومخالفاً لملكها فاستمد الملك من جاوره فأمدوه والتقى معهم نعيم في

سفتح جبل الري قريباً من المدينة وقاتلهم قتالاً شديداً ولما رأى أبو الفرخان أن الأمر سيطول طلب من نعيم أن يعطيه فصيلاً من الجيش يدخل بها المدينة من حيث لا يشعر الفرس فسير معه جماعة دخل بهم المدينة كما قال . أما نعيم فبيت القوم فقاتلوه ولكنهم لما سمعوا التكبير من ورائهم انهزموا شر هزيمة وأفاء الله على المسلمين في الري نحواً مما حازوه في المدائن وجعل نعيم أبا الفرخان والياً على المدينة وكتب إلى عمر بالفتح فأرسل إليه أن سير أخاك سويدا إلى قومس (صقع بين خراسان وبلاد الجبل) فسيره إليها فلم يقف في وجهه أحد فأخذها سلماً وعسكر بها ثم كتب إليه أهلها في الرجوع إلى بلادهم ودفع الجزية فأجابهم وكتب لهم كتاباً هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشروا من الأمان ، على أنفسهم ومللهم وأموالهم على أن يؤدوا الجزية عن كل حالم بقدر طاقته وعلى أن يدلوا وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم وإن بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة وكتب وشهد وسار إلى جرجان (بلد شمالي بلاد الفرس) وعسكر قريباً منها فراسله ملكها على الصلح ودفع الجزية فأجابه فخرج إليه الملك وتلقاه خارج المدينة ثم دخل معه وعسكر بها وجبى الخراج : وفيها راسله صاحب طبرستان (إقليم في الشمال) في الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد فأجابه وكتب له كتاباً هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من سويد بن مقرن
للفرخان اصهبند خراسان على طبرستان وجيلان من أهل العدو .
إنك آمن بأمان الله عز وجل على أن تكف بصوتك وأهل حواشي
أرضك ولا تؤوى لنا بغية وتتقى من ولي فرج أرضك بخمسمائة
ألف درهم من دراهم أرضك فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير
عليك ولا يتطرق أرضك ولا يدخل عليك إلا بإذنك سبيلنا عليكم
بالأذان آمنة وكذلك سبيلكم ولا تؤوون لنا بغية ولا تسلون لنا إلى
عدو ولا تغلون فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم . شهد سواد بن قطبة
التميمي وهند بن عمرو والمرادي وسماك بن مخزومة الأسدي بن عبيد الله
العبيسي وعتيبة بن النهاس البكري .

ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن عبيد الله بن عتبان
أمير البصرة قبل المغيرة يأمره أن يسير إلى أصبهان وأمر أبا موسى
الأشعري أن يكون مدداً له فسار عبد الله حتى وصل أصبهان (في العراق
العجمي) وعلى جندها الأسبيذان فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً انتهى
بهزيمة المشركين فطلبوا الصلح فصولحوا ثم سار عبد الله إلى مدينة
جى وهى قاعدة أصبهان فحاصرها ثم صالحه الفاذوستان وهو أمير
أصبهان عليها مشروطاً الجزية على من أقام وأقام على ماله وأن يجرى
من أخذت أرضه عنوة مجراه ومن أبى وذهب كانت لكم أرضه

الانسياح في بلاد العجم

ولما رأى عمر رضى الله عنه أن شوكة الفرس قد ضعفت فلم يعد يخاف على المسلمين من انسياحهم في بلاد الفرس صمم على اتباع مشورة الأحنف بن قيس فأرسل إلى أبي موسى الأشعري الذى قدّمنا أن عمر ولّاه البصرة بعد المغيرة بن شعبه وأمره أن يسير منها غير بعيد ويقوم حتى يأتيه أمره ثم بعث إليه مع سهيل بن عدى بألوية الأمراء الذين يسيحون في بلاد العجم : لواء للأحنف بن قيس ووجهته (خراسان) ولواء لمجاشع بن مسعود السلمى ووجهته (أزدشير خره وسابور) ولواء لعثمان بن أبي العاص الثقفى ووجهته (اصطخر) ولواء لسارية بن زعيم الكنانى ووجهته (فساودرا بجرد) ولواء لسهيل بن عدى ووجهته (كرمان) ولواء لعاصم بن عمرو ووجهته (سجستان) ولواء للحكم بن عمير التغلبى ووجهته (مكران) وكان مبدأ الانسياح في مبدأ السنة الثامنة عشرة .

فتح أذربيجان

فسار بكير بن عبد الله إلى أذربيجان (ولاية في الغرب من بحر الخزر وقاعدتها الآن تبريز) وكتب عمر إلى نعيم بن مقرن فاتح الرى أن يمدّه بسماك بن خرشة فلما طلع بكير بجبال جرميدان قابله المنهزمون من واجر ووذو عليهم اسفنديار أخورستم قتيلى القادسية فقاتلوا بكيرا واكلنهم انهزموا وأسر اسفنديار فقال لبكير السلم أحب إليك أم

الحرب قال بل السلم فقال لا تقتلني وأمسكني معك فإن أذربيجان لا
يصالحونك ما لم أصالحك فأمسكه بكبير وبعد قليل وصل إليه مدد
نعيم فسار الجميع إلى أذربيجان فصالح أهلها على الجزية وكتب
بكبير إلى عمر بذلك فأمره أن يولي عتبة بن فرقد على أذربيجان
ويتقدم هو مددا لجيش الباب فكتب عتبة لأهل أذربيجان
كتابا هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشها
وشعابها وأهل مللها كافة على الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم
وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبي ولا
امرأة ولا زمن ليس في يديه شيء من الدنيا، ولا متعبد ولا متخلى ليس
في يديه من الدنيا شيء، لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم
من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته ومن حشر منهم في سنة وضع
عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ومن خرج
فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه وكتب جندب .

فتح الباب

وسار سراقه بن عمر إلى الباب (تغر بالخزر وهو الفاصل بين
الفرس وأرمينية والروس) وعلى مقدمته عبد الرحمن بن أبي ربيعة
وقد سبقه بكبير إليها وانتظره فلما أطل عبد الرحمن بن أبي ربيعة أمير
المقدمة على الباب والملك بها يومئذ شهريراز، كاتب عبد الرحمن في

الصلح فأجابه إليه فجاءه وقال له إني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة
ليست لهم أحساب ولا ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعينهم ولست
من الفتح ولا الأرمين في شيء وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى
فأنا فيكم ویدی فی أیدیكم وجزیتی إلیکم والنصر لکم والقیام بما
تحبون فلا تسومونا الجزية فتضعفونا بعدوكم فأرسله عبد الرحمن
إلى سراقه فكلمه بمثل ما كلم عبد الرحمن فقال له سراقه لا بد
من الجزية على من أقام ولم يحارب العدو فأجابه إلى ذلك وصدق
عليه عمر فكتب لهم سراقه كتابا هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى سراقه بن عمر وعامل
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهريراز وسكان أرمينية والأرمين
من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم أن لا يضاروا
ولا ينقصوا وعلى أهل أرمينية والأبواب الطراء منهم والثناء ومن
حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم
ينب رآه الوالى صلاحا على أن توضع الجزاء عن أجاب إلى ذلك
إلا الحشرو الحشرو عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منه وقعد فعليه
مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا فإن
حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به ولما فرغ سراقه من
الباب سير السرايا إلى الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكير بن عبد الله
إلى موقان (كورة بأرمينية) وحبیب بن مسلمة إلى تفليس (بلد في
القوقاز من أملاك الروس الآن) وحذيفة بن أسيد إلى جبال اللان
(أمة وبلاد في طرف أرمينية) وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر

فافتتح بكير موقان وصالح أهلها وكتب لهم هذا الكتاب :
(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل
موقان من جبال الفتح الأمان على أموالهم وأنفسهم وملكهم وشرائعهم
على الجزاء دينار عن كل حالم أو قيمته والنصح ودلالة المسلم ونزله
يومه وليلته فلهم الأمان ما أوفروا ونصحوا وعلينا الوفاء والله
المستعان فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن
يسلموا الغششة برهتهم وإلافهم متماثلون كتب (سنة ٢١) وكتب سراقه
إلى عمر بذلك ثم توفي سراقه رضى الله عنه واستخلف على جيشه
عبد الرحمن بن أبي ربيعة فأقره عمر وأمره أن يغزو الترك فخرج حتى
قطع الباب فسأله شهريراز عن وجهته فقال أريد بلنجرد (بلد بالخزر
خلف باب الأبواب) والترك فقال إنا لنرضى منهم أن يدعونا من
دون الباب فقال عبد الرحمن لكننا لا نرضى حتى نغزوهم في بلادهم
وبالله إن معنا أقواما لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الردم
فقال شهريراز ومن هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودخلوا في هذا الأمر بنية ولا يزال هذا الأمر فيهم حتى
يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فسار حتى بلغ بلنجرد فلما
رآه أهلها قالوا ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة ولم يقفوا في وجهه
ولم يزل حتى أبلغ خيله البيضاء على مائتي فرسخ من بلنجرد ورجع
ولم يصب أحد من جيشه وأقام هناك والياً على جيش الباب .

فتح خراسان

وسار الأحنف بن قيس إلى خراسان ليلاقي يزيد جرد ملك الفرس
الذي أقام بمر و يشير الفرس على المسلمين فلما بلغ هراة (بلد من إقليم
خراسان وهي الآن من بلاد الأفغان) افتتحها ثم سار نحو مرو
الشاهجان فخرج منها يزيد جرد ولحق بمر و الروذ (كلاهما بين هراة
وبليخ) وكتب إلى خاقان الترك وإلى ملك الصغد وملك الصين
يستمدهما فملك الأحنف مرو والشاهجان واستخلف عليهما ثم سار نحو
مرو الروذ وخرج منها يزيد جرد ولحق بليخ (بلد قريب من نهر
جيجون وهي الآن تحت حماية الروس) فملك الأحنف مرو الروذ
وهنا أتته أمداد أهل الكوفة فسيرهم أمامه إلى بليخ فساروا حتى التقوا
بيزد جرد هناك وقاتلوه فهزموه حتى عبر النهر ولم يدرك الأحنف
ومن معه الموقعة حيث أتى بعد الهزيمة فرجع إلى مرو وأقام بها وأرسل
إلى عمر بالفتح والأخماس وأخبره بعبور يزيد جرد النهر فنهاه عمر عن
العبور خلفه. أما يزيد جرد فجاءته بعد عبوره أمداد الترك وعليهم
خاقان وأمداد أهل فرغانة والصغد فعدى بهم النهر راجعاً وترك
الترك أمام الأحنف وجيشه بمر و الروذ وقصد يزيد جرد مرو
الشاهجان فحصر حاميتها واستخرج منها خزائنه وأراد أن يرحل بها
إلى فرغانة أو الصين فيقيم بإحدهما فلم يمكنه من ذلك أهل خراسان
قائلين ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فصالحهم فإنهم أوفياء
وأهل دين وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا من عدو يلينا

فی بلادہ ولا دین لهم ولا ندری ما وفاؤهم فلم یقبل فأخذوا منه الخزائن قهراً فلحق بنخاقان ملك الترك الذی لم یتمكن من الوقوف أمام المسلمین وجاء الخراسانیون إلى الأحنف فصالحوه ودفعوا إليه خزائن كسرى وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم علی أفضل ما كانوا علیه زمن الأکاسرة واغتبطوا بملك المسلمین حیث أن الرجل منهم لم یکن مكلفاً إلا بدفع شیء قلیل جزاء حمايته وبعد ذلك ماله وعرضه ودمه کمال المسلم وعرضه ودمه محرم کحرمة الیوم الحرام فی الشهر الحرام فی البلد الحرام وناهیک بمن اعتبره المسلمون فی ذمة الله فكیف تخفر وایس علیه بعد ذلك إلا النصیحة للمسلمین وعدم المبالاة علیهم فإن فعل شیئاً من ذلك فقد غدر وایست له ذمة فدمه حلال وماله حلال وهذا شیء یرى علی الإنسان ما دامت له الحریة فی دینه وعمله وهذا ما قرره دین الإسلام .

وأصاب الفارس یوم یزدجرد کسهمه یوم القادسیة ثم سار الأحنف إلى بلخ وأنزلها أهل الکوفة لأنها من فتوحهم وکتب بكل ذلك إلى عمر وأقام هو والی خراسان . وتتمه حدیث یزدجرد ستأتی فی خلافة عثمان بن عفان رضی الله عنه .

وسار عثمان بن أبی العاص الثقفی إلى اصطخر فالتقی هو وأهلها بجور (هی مدینة فیروزاباد قریبة من أصبهان ینسب إليها الورد الجوری) فهزمهم ثم رجع من فروانهم طالبین البقاء فی بلادهم مع دفع الجزیة فأجابهم ثم فتح کازرون والتوبندجان (قاعدة کورة بفارس اسمها سابور) واشترك هو وأبو موسی الأشعری فی فتح

شیراز (قصبة بلاد فارس) وأرجان وسینیز وقصد عثمان جنابة
(بلد بفارس تحاذی جزيرة خارك بالبحر الفارسی وتقرأ الآن
كرك وهو غلط مصدره الترجمة) ففتحها ولقی جمعا من الفرس
بناحية شهرک فهزمهم ثم أقام والياً باصطخر .

فتح فسا ودرابجرد

وسار سارية بن زنيم الكلابی إلى مدينة فسا ودرابجرد والتقی
مع أهلها بصحراء فاقتلوا ثم إن الفرس استمدوا من بقربهم من
أكراد فارس فأمدوهم فدهى المسلمین أمر عظیم وكان عمر رضی الله
عنه قد رأى ليلة الواقعة فيما يرى النائم ما علیه المسلمون فلما أصبح
نادى بالصلاة جامعة حتى إذا كانت الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج
إلى المسلمین وكان سارية ومن معه بصحراء إن أقاموا فيها هلكوا
وإن استندوا إلى جبل خلفهم لم يثوتوا إلا من وجه واحد فقام
عمر فقال يا أيها الناس إنى رأيت هذين الجمعین وأخبر بحالهما ثم صاح
وهو يخطب يا سارية بن زنيم الجبل الجبل ثم أقبل على المسلمین وقال
إن لله جنوداً وأهل بعضها أن تبلغهم فبحول الله وقوته سمع سارية
هذا الصوت فانحاز بمن معه إلى الجبل وقاتلوا العدو حتى هزموهم
فأرسل إلى عمر بالفتح والخمس ومعه سفظ فيه جوهر فلما رآه عمر
لم يقبله ورده لیباع ويقسم على الفاتحين وسأل من فى المدينة رسول
سارية هل سمعتم شيئاً يوم الواقعة قال نعم سمعنا يا سارية الجبل الجبل
فلجانا إليه وقد كدنا نهلك وأقام سارية والياً على درابجرد .

فتح کرمان

وسار سہیل بن عدی إلى کرمان وولاية تلي إقليم فارس من الشرق وقصبتها کرمان، وأمدته عمر بعبد الله بن عبيد الله بن عتبان فلما وصلها وجدانها جمعاً عظيماً من الفرس فقاتلهم حتى فض الله جمعهم وقتل مرزبان کرمان فدخلها المسلمون ظافرين ووجدوا فيها كثيراً من البعير والشاء .

فتح سجستان

وسار عاصم بن عمرو إلى سجستان وولاية شرقی کرمان أغلبها الآن في أيدي الأفغان وقصبتها زرنج ، فاستقبله أهلها بحرب انتهت بهزيمتهم فتبعهم المسلمون حتى حصرهم بزرنج فطلبوا الصلح على زرنج وما احتازوه من الأرضين واشترطوا أن فداها حتى فأجيبوا وكان المسلمون يتجنبون هذه الفدافد خشية أن يصبوا منها شيئاً فيكونوا قد خفروا الذمة وهو أمر نهوا عنه .

فتح مکران

وسار الحكيم بن عمير التغلبي إلى مکران وطلقه سہیل بن عدی فاتح کرمان و عبيد الله بن عبد الله بن عتبان الذي كان مددا لسہیل فساروا حتى انتهوا إلى دوين النهر (على الحدود بين الفرس والسند) والمشركون من مکران على شاطئه وأمدهم ملك السند بجيش كثيف فقاتلهم المسلمون حتى هزموهم وأوصلوهم النهر ثم جمع المسلمون إلى

مكران وكتب الحكيم بالفتح والخمس إلى عمر مع صحار العبدى فسأله
عمر عن مكران فقال يا أمير المؤمنين هي أرض سهلها جبل وماؤها
وشل وثمرها وقل وعددها بطل وخيرها قليل وشرها طويل
والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماوراءها شر منها فقال عمر
أسجاع أنت أم مخبر لا والله لا يغزوها جيش لي أبدا وكتب إلى الحكيم
بأمره بالوقوف عند ما فتح وألا يجوز مكران

هذا ما فعله المسلمون من الأفعال العظيمة مدة عمر في البلاد
الفارسية ذات الشوكة والعظمة ابتداء سنة اثنتي عشرة من الهجرة
في فتح أول بلد من بلادهم وهي الأبله واستمر واعي الفتوحات إلى
أن مات عمر رضى الله عنه . تمموا فتح بلاد تبتي من حدود بلاد
العرب غرباً وتنتهى إلى ماوراء النهر وبلاد السند شرقاً والخليج
الفارسي جنوباً وبحر الخزر وأرمينية والروس شمالاً . اجتمعوا مع
الفرس في كثير من الوقائع أشهرهاوقعة الأبله لخالد بن الوليد ووقعة
القادسية لسعد بن أبي وقاص ونهاوند للنعمان بن مقرن ووقعة يزدجرد
للأحنف بن قيس وكثير غيرها . لم تنكس لهم راية ولم يفل لهم جيش
لم ير المسلمون في ووقعة من الوقائع مساوين أقرانهم من الفرس في العدة
والعدد بل كان الفرس في كل ووقعة أضعافهم لم يكن العرب أعلم من
الفرس بتعبية الجيوش ولا بإحكام معدات الدفاع ، لم يكن المسلمون
أكثر من الفرس مالا حتى يمكّنهم أن يستميلوا به أعداءهم ليكونوا
معهم بل حالهم من الشظف وضيق العيش لا تخفى ، لم يكن المسلمون

أعلم من الفرس بطرق الدسائس والخديعة حتى يستعملوها في حروبهم فلم إذا هذه الانتصارات الباهرة والفتوحات العظيمة؟ اللهم ما ذلك إلا بالتأييد الإلهي اكتبوه باتحاد وائتلاف قلوبهم حتى صاروا أجساماً متعددة لهم قلب واحد ورأى واحد وهو تعميم الدين الإسلامي بين الأمم الحائدة عن الصراط السوى والمنهج القويم ، انظر رعاك الله إلى ما كان يجيب به رسل سعد ملوك فارس وقواده تره جواباً واحداً وهو أن الله أرسلنا لنخرج العباد من ظلمات الجهالة وجور الملوك إلى نور الإيمان وعدل الإسلام كلهم في ذلك سواء حتى الأعرابي الجاني الذي كان قبل الإسلام لا هم له إلا النهب والغارة . لم تكن خلفاؤهم بالجبناء الذين يخشون تهديداً أو يخافون وعيداً ولم تكن قوادهم بالدخلاء الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ولم تكن الأمة بالمختلفة الأهواء المتشعبة المذاهب تشتغل بسفسف الأمور وتترك عظيمها أو تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخوف أو جبن ولم تكن علماءهم يشتغلون بالزهو والكبرياء والعجب والتفاني في حب الدنيا وتقليد المناصب والمفاخرة بذلك حتى تدب بينهم العداوة والبغضاء ولم يكن الدين قد بليت جدته بل كانت مظاهره تتجلى على أقوالهم وأعمالهم لا يخشون في الله لومة لائم فلا عجب أن انتصروا وافتحوا وملكوا في زمن يسير ما لا يتصور أن تعمله أمة عظيمة عندها بسطة في القوة والمال والعلم . اللهم ألهم المسلمين وولاية أمورهم ما فيه السداد فإن الطريق واضح والحق

بين . فإذا انتبهت البصائر . رشدت إلى ما فيه خيرى الدنيا والآخرة
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فتح بلاد الشام

تركنا المسلمين فائزين منصورين باليرموك بعد موقعها الهائلة
وأمر الجند أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح العامرى
القرشى بعد سيف الله خالد بن الوليد المخزومى القرشى وحينئذ بلغ
الأمير أن فل الروم لحقوا بفحل وأن مدداً عظيماً من قبل ملك الروم
أتى دمشق فكتب إلى أمير المؤمنين يستشير به أبى البلدين يبدأ فكتب
إليه أن سير إلى فحل فرقة تشغل بها وسر أنت إلى دمشق فإنها حصن
الشام وبيت ملكه . فسير أبو عبيدة فرقة من جيشه إلى فحل
فحاصرتها وسير أخرى لتكون بين حمص ودمشق لتمنع الأمداد عنها
وأخرى لتكون بين دمشق وفلسطين وتوجه هو و على مقدمته خالد بن
الوليد إلى دمشق واستخلف على فلسطين والأردن عمرو بن العاص

فتح دمشق

فلما وصل إلى دمشق تحصن أهلها فحصرهم المسلمون أبو عبيدة
من جهة وخالد بن الوليد من أخرى ودام الحصار سبعين ليلة وبينما
خالد على حصاره ليلة سمع جلبة فأرسل من يستعلم الخبر لأنه كان
يتحسس أحوال عدوه فلا يخفى عليه منها شيء لينتهاز الفرصة فعلم أنه
ولد لبطريق المدينة ولد فصنع ولبة سكر فيها الجند سكرأ شديداً فاتخذ

خالد حبالا على هيئة السلام وأوهاقاً ثم نهض هو ومن معه من
أرباب النجدة وهو أمامهم ومعه القعقاع (قبل أن يتوجه للعراق)
وأمثاله وقال خالد لمن معه إذا سمعتم تكبيرنا على السور فاقصدوا
الأبواب ولما وصل خالد ومن معه إلى السور ورما الحبال فعلق
منها حبلان فصعدوا عليهم ما وتبعهم كثيرون ولما صاروا فوق السور
قصدوا الباب ففتحوه وكبروا فدخل الجيش مكبراً حتى أزعج
تكبيره أهل المدينة فصحوا من سكرتهم مذعورين لا يقدر على
شيء فذهب وفد منهم إلى أبي عبيدة يطلبون الأمان فأمّنهم ودخل
معهم المدينة ليؤمن الناس فالتقى بخالد وسط البلد هذا سلباً وذاك
حرباً ، فأخبره أبو عبيدة بالصلح فكف وأجروا ما فتح عنوة مجرى
الصلح فصارت كلها صلحاً وبعث أبو عبيدة إلى عمر بالفتح ثم
استخلف على المدينة يزيد بن أبي سفيان ففتح سواحلها : (صيدا
وعرقة وجبيل وبيروت) وسير أخاه معاوية لفتح قيسارية ففتحها
أما أبو عبيدة فسار إلى فحل وعلى مقدمته خالد وعلى الخنبتين عمرو
ابن العاص وأبو عبيدة وعلى الخيل ضرار بن الأزور الأسدي
وعلى الرجال عياض بن غنم وعلى الناس شرحبيل بن حسنة فنزل
شرحبيل بالناس فخلاً وحاصرها . وفي ليلة خرج الروم يريدون
بيات المسلمين وكان شرحبيل حذراً لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة
لكثرة ما كان عمر بن الخطاب يحذرهم البيات فقاتلهم قتالاً شديداً
تلك الليلة كلها ويومها كله فلما أمسى المساء خمدت همّة الروم فانزمو

وحيل بينهم وبين المدينة بمياه كانوا فجروها ووحلوا بها الأرض
لتكون خندقاً حول المدينة فأخذهم المسلمون من كل جهة واستولوا
على المدينة فأرسل الأمير إلى عمر بالفتح والخمس . ثم فصل من
جيشه فرقتين أمر على إحداهما شرحبيل بن حسنة ووجهه إلى بيسان
ووجه الأخرى إلى طبرية (قصة الأردن) ففتح كل منهما مدينته
على مثل صلح دمشق . أما أبو عبيدة فسار ومعه خالد إلى حمص فلما
وصل مرج الروم التقى بجيشين بعثهما هرقل لقتال المسلمين أحدهما
برياسة بطريق اسمه توذر والثاني برئاسة شنش الرومي فوقف خالد
أمام الأول وأبو عبيدة أمام الثاني فلما أصبح خالد لم يجد لتوذر
ولا لجيشه أثر لأنه ترك خالداً وتوجه إلى دمشق ليفتحها ظاناً أن
ليس بها حامية فعلم خالد قصده فتبعه وعلم به يزيد بن أبي سفيان
أمير دمشق فاستعد للقاءه فأنحصر توذر بين الجيشين فأخذ هو
وجنوده ولم يفلت منهم إلا القليل . أما أبو عبيدة فإنه لاقى شنش
وهزمه فرجع خالد وقد قضى الأمر .

فتح حمص

فسار مع أبي عبيدة إلى حمص ولما بلغ ذلك ملك الروم أرسل إلى
بطريق حمص يأمره بالمسير إليها وسار هو إلى الرها أما المسلمون
فروا ببعليك ففتحوها ولما وصلوا حمص حاصروها فتحصن أهلها
منتظرين مدد هرقل ولكن لما طال عليهم الأمر راسلوا أبا عبيدة
في صلح مثل صلح دمشق فأجيبوا واستخلف عليها عبادة بن الصامت

وسار هو قاصداً حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية
والخراج ثم سار نحو شيزر (بلد قرب حماة) ففتحها صلحاً وقصد
بعدها المعرة (بين حماة وحلب) ففتحها كذلك ثم اللاذقية (من
أعمال حلب) فلما كها عنوة وهرب سكانها ثم طلبوا الأمان على أن
يرجعوا إلى بلادهم ويقيموا فيها ففقطعوا على خراج يؤدونه وبني
فيها المسلمون مسجداً جامعاً ثم أرسل أبو عبيدة خالد الفتح قنسرين
(كورة بالشام) فلما بلغ الحاضر قابله جمع عظيم من الروم عليهم قائد
اسمه ميناس فقاتلهم خالد حتى هزمهم وقصد قنسرين فتحصن أهلها
منه فقال لهم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لانزلكم إلينا
فنظروا في أمرهم وما لقيه أهل البلدان الأخرى من المسلمين فرأوا
أن لا قبل لهم بالحرب ولا الحصار فطلبوا الصلح على مثل صلح
دمشق فلم يرض إلا على تخريب المدينة فخربت حصونها ثم أدرب
خالد وراء هرقل من الشام وأدرب وراءه عياض بن غنم من
الروم فترك ملك الروم الشام وودعها الوداع الأخير وسار إلى
القسطنطينية. ولما بلغ عمر فعل خالد قال أمر خالد نفسه يرحم الله
أبا بكر كان أعلم بالرجال مني (ثم) سار أبو عبيدة إلى حلب فتحصن
أهلها ثم طلبوا صلحاً بأمان على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم
وحصنهم فأجيبوا واستثنى عليهم موضع المسجد ثم سار إلى أنطاكية
فصالحه أهلها على الجلاء لمن أراد والجزية على من أقام وكانت أنطاكية
أعظم ثغور الروم فأرسل عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب لها جماعة من
المسلمين يرابطون بها ثم سار إلى معرة مصرين ففتحها صلحاً وبث

السرايا لما جاورها من القرى والبلدان ففتحت لهم ثم سار أبو عبيدة إلى قورس (كورة بنواحي حلب وهي الآن خراب) ففتحها وفتح تل عزاز ثم سار إلى منبج من بلاد الروم على الفرات فصالح أهلها على مثل صلح حمص واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بأخبار الروم وولى أبو عبيدة على كل كورة فتحها عاملا وشحن الثغور المخوفة بالمرابطين وسار إلى بالس (بلد بشط الفرات) وبعث سرية مع حبيب بن مسلمة إلى قاصر بن فصالح أهلها وتم للمسلمين فتح الشام من هذه الناحية إلى الفرات ، ثم عاد أبو عبيدة إلى فلسطين وسير جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسي وأمهه بمالك بن الحارث الملقب بالأشتر فسلكوا درب بفراس (بلد بلحف جبل اللكام وهو جبل يسامت حماة وشيزر وأفامية ويمتد شمالا إلى صهيون والشغر وبكاس وينتهي عند أنطاكية) إلى بلاد الروم فلقوا هناك جمعا للروم معهم عرب من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقعوا بهم . وسير أبو عبيدة جيشا آخر إلى مرعش (قرب أنطاكية) ورئيسه خالد بن الوليد ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وأخر بها .

أما عمرو بن العاص الذي كان على الأردن فإنه سار إلى أجنادين وقد تجمع بها جيش عظيم من الروم عليهم داهية منهم اسمه أرطبون فحاصره عمرو حصارا شديدا ثم لم يزل يتجسس حتى عرف مأخذه فخاربه وهزمه فانهى في هزيمته إلى إيلياء (بيت المقدس) فسار وراه عمرو وحصره ثم طلب أهله الصلح على أن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمرو إليه

بذلك فعزم عمر على السفر إلى الشام ليتسلم بيده مفاتيح المسجد الأقصى فسار من المدينة بعد أن ولى عليها علي بن أبي طالب وكتب إلى عماله أن يوافوه بالجابية وهي بلد بدمشق فوافوه بها وكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان ثم أبو عبيدة ثم خالد بن الوليد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما أسرع ما رجعت عن رأيكم إياي تستقبلون في هذا الزى وإنما شبعتم منذ سنتين والله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين إنها يلامعة (هي ما برق من السلاح) وإن علينا السلاح قال فنعم إذا وجاءه وهو بالجابية أهل إيلياء مستأمنين فصالحهم على الجزية وكتب لهم أماناً هذه صورته :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منها فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا ما منهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا ما منهم ومن كان بها من

أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد و عليه مثل ما على أهل
إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن رجع إلى أهله فإنه
لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد
الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية
(اه من الطبري) ولما دخل عمر المدينة دخل كنيسة القمامة وجلس
في صحنها وحان وقت الصلاة فقال للبطريك أريد الصلاة فقال له
صل موضعك فامتنع وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً
فلما قضى صلاته قال للبطريك لو صليت داخل الكنيسة أخذها
المسلمون بعدى وقالوا هنا صلي عمر وكتب لهم ألا يجمع على الدرجة
للصلاة ولا يؤذن عليها ثم قال أرني موضعاً أبني فيه مسجداً فقال
على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب ووجد عليها ردماً كثيراً فشرع
في إزالته وتناوله بيده يرفعه في ثوبه واقتدى به المسلمون كافة فزال
لحينه وأمر ببناء المسجد (ذكر ذلك ابن خلدون في الجزء الثاني من
تاريخه) ثم ولي رضى الله عنه الولاية على الشام بعد أن قسمها أقساماً
وجعل فلسطين ولايتين إحداهما قصبته الرملة والأخرى قصبته
إيلياء ثم رجع رضى الله عنه إلى المدينة فائزاً منصوراً وهذه أول
مرة سافر إلى الشام .

وفي السنة الثامنة عشر حصل في الشام طاعون أتى على كثير من
جند المسلمين وهو طاعون عمواس وبلغ عمر خبره وهو متوجه إلى
الشام المرة الثانية فوافاه الأمراء بسرغ (موضع قرب الشام بين المغيثة

وتبولك) وفيهم أبو عبيدة فأخبروه بالوباء وشدته وكان مع عمر المهاجرون والأنصار فجمعهم مستشيراً يمضى لوجهه أم يرجع فاختلفوا عليه فمن قائل خرجت لوجه الله فلا يصدنك عنه هذا ومن قائل إنه بلاء وفناء فلانرى أن تقدم عليه ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش فلم يختلفوا عليه بل أشاروا بالعودة فنأدى عمر في الناس إلى مصبح على ظهر فقال أبو عبيدة أفرارا من قدر الله فقال نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما مخضبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخضبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فسمع بهم عبدالرحمن ابن عوف فجاءهم وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارا منه) فانصرف عمر بالناس إلى المدينة ومات بهذا الوباء أبو عبيدة خلفه معاذ بن جبل فمات خلفه عمرو بن العاص فخرج بالجيش إلى موضع مرتفع من الجبال نخف عنهم الوباء فاستحسن عمر فعله ومات يزيد بن أبي سفيان أمير دمشق فاستخلف عليها أخاه معاوية واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله ثم رفعه الله عنهم بعد إقامته شهورا فكتب الأمراء إلى عمر بما في أيديهم من الموارد فجمع الناس واستشارهم وقال قد بدالى أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم فأشيروا على وإن موارد أهل الشام قد ضاعت فأبدأ بالشام فأقسم

المواريث وأقيم لهم ما في نفسى ثم أرجع فأقلب في البلاد وأبدي إليهم فسار عن المدينة واستخلف عليها على بن أبي طالب وجعل طريقه على أيلة فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه فلما تلقاه الناس قالوا أين أمير المؤمنين قال أمامكم يعنى نفسه فسار وانتهى هو إلى أيلة فقبل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها فرجعوا. ولما قدم رضى الله عنه إلى الشام قسم المواريث فورث بعض الورثة من بعض وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم ورتب الشراى والصوائف (الشواى جمع الشاىة وهى السرىة التى تغزو فى الشتاء والصوائف جمع صائفة وهى التى تغزو فى الصيف) وسد فروج الشام ومسالحها واستعمل عبد الله ابن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل معاوية على دمشق وعزل شرحبيل عن الأردن وقال للناس إنى لم أعزله عن ريبة ولكن أريد رجلا أفوى من رجل واستعمل عمرو بن عتبة على الأهراء (جمع هرى وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان) ثم قيل لعمر لو أمرت بلالا فأذن فأمره بذلك فمابى أحد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم إلا بكى حتى بل لحيته وعمر أشد الناس بكاء وبكى من لم يدركه لبكائهم كل ذلك لذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع عمر إلى المدينة فى ذى القعدة.

فتح مصر

ولما كان بالشام استأذنه عمرو بن العاص فى فتح مصر وذكر له خيرها وأنها قوة عظيمة لمملكة الروم وكانت إذ ذاك تابعة لهم

عليها وال من قبلهم يقيم بالاسكندرية فسيره عمر بجيش كثيف ثم
أتبعه بالزبير بن العوام فاقتحموا باب اليون وساروا في قرى الريف
إلى مصر وهناك قابلهم الجاثليق أبو مریم ومعه الأسقف بعثه
المقوقس عظيم مصر لحماية البلاد فلما نزل بهم عمرو بدأوه بالقتال
فقال عمرو ولا تعجلوا حتى نعدركم إليكم وليبرز إلى الجاثليق والأسقف
فخرجا إليه فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية وأخبرهما بوصية النبي
صلى الله عليه وسلم بأهل مصر بسبب هاجر أم اسماعيل . روى مسلم
في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنكم ستفتحون
مصر وهي أرض فيها يسمى القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى
أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو ذمة وصهرا ، فقالا قرابة بعيدة لا يصل
مثلها إلا الأنبياء . آمنا حتى نرجع إليك فقال مثل لا يخذع ولا كنى
أؤجلكما ثلاثا لتنظرا فقالا زدنا فزادهما يوما فرجعا إلى المقوقس
عظيم القبط وأرطبون الوالى من قبل الروم فأخبراهما خبر المسلمين
فأما أرطبون فأبى وعزم على الحرب وبيت المسلمين فهزموه هو
وجنده إلى الإسكندرية ونازل المسلمون عين شمس (وهي المطرية
وكانت على فرع من فروع النيل) فحاصروها وبعث عمرو ولحاصر
الفرماة أبرهة بن الصباح ولحصار الإسكندرية عوف بن مالك
وراسله أهل البلاد وانتظروا ما يفعل المسلمون بعين شمس وبعد مدة
من حصارها رضى أهلها بالصلح على إعطاء الجزية وأجروا ما أخذ
قبل ذلك عنوة مجرى الصلح وشرطوا رد السبايا فأرسل ابن العاص إلى
أمير المؤمنين بذلك فاجاب وكتب لهم عمرو بذلك كتابا هذا نصه :

[۹ - إتمام الرواه]

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى عمرو بن العاص
أهل مصر من الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وكنائسهم
وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينقص ولا
يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إن اجتمعوا على
هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف درهم وعليهم
ما جنى أصواتهم فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء
بقدرهم وذمتنا من أبى بريئة وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع
عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل
ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ
مأمنه أو يخرج من سلطاننا عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية
ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله
وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمة المؤمنين وعلى النوبة الذين
استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً على
أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة شهد الزبير
وعبدالله ومحمد أبناء وكتب وردان وحضر (عن الطبرى) فدخل
في ذلك الصلح أهل مصر كلهم. أما المبالغ الذى قرر عليهم فبألف
ألف ومائتين وخمسين ألفاً من دنانير اليوم باعتبار الدرهم قرشين
ونصفاً فلا ينال الشخص الواحد منهم إلا عشر الدينار أو ما يزيد عن
ذلك قليلاً لأن تعداد مصر إذا كان على أقل ما ورد فى كتب
التاريخ عشرة آلاف ثم نزل المسلمون على الفسطاط الذى ضربه
عمرو واختطوا حوله خيامهم فى الموضع الذى كانوا يحاصرون مصر

منه وهجروا المدينة التي كان يسكنها المقوقس وأسس عمرو بمدينته
مسجده المشهور ولما انتهى أمر الصلح سار عمرو إلى الاسكندرية
فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم وأثنى
فيهم ونازل الاسكندرية وطلب من أهلها النزول على صلح أهل
مصر فلم يفعلوا ففتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة وكان الروم
قد أخذوا في وقت الحرب شيئاً كثيراً من الأقباط أهل الأرياف
فأتوا إلى عمرو وقالوا لم نكن محاربين بل أخذت أموالنا قهراً عنا
فرد عليهم ما عرفوه أنه لهم بعد إقامة البينة على ذلك ولما تم فتح
مصر والاسكندرية وارتحل الروم إلى القسطنطينية أقام المقوقس
والقبط على الصلح الذي عقده لهم عمرو وأبقى المقوقس على رئاسة
قومه وكان المسلمون يشاورونه فيما ينزل من المهمات إلى أن توفي
وكان يقيم بالاسكندرية وفي بعض الأوقات بمصر .

وبفتح مصر انتهى ما فعله المسلمون رضوان الله عليهم مع
الروم في مدة عمر وأخذوا ولايتين عظيمتين الشام ومصر وجزءاً
مهما من جنوب بلاد الروم (الأناضول) وبالاجمال فقد أضعفوا
شوكتهم وأدالوا دولتهم ؛ وحيث قد مضى القول فيما كان من
الفتوحات زمن الخليفين رضی الله عنهما وكان من اللازم على
المسلم أن يعرف تلك المنظمات السامية التي كان يتبعها المسلمون
في ذلك العصر حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من خوارق
العادات فنقول :

كان عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الأمة في عهد
الخليفتين من بعده مظهر الإسلام ونظاماته فحق لنا أن نجعل هذا
الوقت أساساً لنظام الإسلام في العصر الأول ونحكم حكماً قطعياً
أن المسلمين إذا اتبعوها عزوا وإذا حادوا عنها ذلوا .

مقام الخليفة

مقام الخلافة هو مقام نيابة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حراسة الدين وسياسة الدنيا وكان الخلفاء الراشدون يستمدون أقوالهم وأفعالهم من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كانت الأمة تنظر إلى الخليفة نظرها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذلون له الطاعة في سرهم وعلانيتهم ممثلين قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ وقوله تعالى ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون﴾ ولا تكونوا كالتى نقضت غزها من بعد قوة أنكاثا﴾ وقوله ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية أجراً عظيماً﴾ فكانوا يرون أن عصيان الخليفة مروق عن الدين وخروج عن حده ولم يكن ذلك نتيجة تكبر أو ترفع من الخلفاء. حاشا لله بل كان أصغر الناس يقف له الخليفة حتى تقضى حاجته اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر يجالس الفقراء والمساكين لا يأنف من ذلك.

هذا كان حال الأمة مع الخليفة أما الخليفة فكان لا يعتقد في نفسه أنه أرقى درجة من الأمة قال أبو بكر في أول خطبة له (قد وليت عليكم ولست بخيركم) ولم يكن يظن لنفسه أدنى تصرف في أموالهم ولا دمايتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع

وأيتها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ولما أرسل خالد بن الوليد لابي بكر
هدية الفرس التي اعتادوا تقديمها لملوكهم عدها من الجزية وأمر
خالد أن يحسبها منها ولما جاءت عمر ذخائر الأكاسرة بعد فتح
العراق ردها لتباع وتقسم على الفاتحين كما أمر الله تعالى ولما عدا جبلة
ابن الأيهم الغساني (آخر ملوك الغساسنة بالشام) على الأعرابي فلطم
وجهه أنى عمر إلا القصاص. وكان عمر يرسل لجميع الأمة في الأمصار
أن من آذاه وال أو أمير فليواف الموسم ليقتص له فيكان الأمراء
والولاية يخشون إيذاء مسلم أو ذمي لئلا يقتص منهم على رؤوس
الآشهاد فينفضحوا فكانت الأمة في نظر الخليفة سواء لا فضل لعربي
على عجمي إلا بالتقوى: قال أبو بكر في أول خطبة له (الضعيف
فيكم قوى عندي حتى أخذ له الحق، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى
أخذ الحق منه) ولم يكن الخليفة محتجب عن الرعية حتى يصعب على
أحد منهم أن يكلمه فكان عمر لا يبالي أن يجلس في المسجد أو في السوق
وكانت الرحمة للأمة ملء قلوبهم تشبها برسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي سماه الله الرؤوف الرحيم فكان أبو بكر وعمر يخرجان بالليل
يتفقدان أحوال البائسين من الأمة حتى لا يكون لأحد عليهما حجة
يوم لا ينفع مال ولا بنون وكان عمر يقول والذي بعث محمداً بالحق لو أن
جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب
يعنى بذلك نفسه وكان إذا ولي عاملاً يقول اللهم إني لم أبعثهم لياخذوا
أموالهم ولا يضر بواً بأبشارهم، من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوني وكان

يحمل الدقيق على ظهره ليوصله إلى الفقراء والمساكين (روى الطبري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم حتى إذا كنا بصرار إذا نار توثرت فقال يا أسلم إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا منهم امرأة معها صبيان لها وقد منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء - وكره أن يقول يا أصحاب النار - قالت و عليك السلام قال أذنوا قالت ادن بخير أو دع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأي شيء في هذه القدر قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال أي رحمك الله ما يدري عمر بكم قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا فأقبل عليّ فقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال أحمله عليّ فقلت أحمله عنك قال أحمله عليّ مرتين أو ثلاثا كل ذلك وأنا أقول أنا أحمله عنك فقال في آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا إليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول ذري عليّ وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج آدم القدر ثم أنزلها وقال ابغيني شيئا فأنته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول أطعمهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام فقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيراً، أنت أولى

بهذا الأمر من أمير المؤمنين فيقول قولي خيراً إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدته هناك إن شاء الله ثم تنحى عنها ثم استقبلها وربض مريض السبع فجعلت أقول له إن لك شأنًا غير هذا وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل عليّ وقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم) بقدر ما كانت رحمتهم كانت شدتهم في جانب الله وحدوده لا يباليون على من أقاموها عليه متبعين ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سرقت المرأة المخزومية وكلموه في أن يعفو عن قطع يدها فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع يدها، وحدث عمر ابنه في شراب له فمات، لم تمنعه رقة الأبوة عن إقامة حد الله؛ وعلى العموم فكان خلقهم القرآن وعالسة لا ينحرفون عنها يمنة ولا يسرة ويجتهدون أن يصيبوا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في أمره كله.

الصلاة

كان المسلمون يعتقدون أن الفارق بين المسلم وغيره هو الصلاة قال تعالى ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ وقال ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أي الأعمال أفضل الصلاة لوقتها فكانوا يحافظون على أوقاتها؛ ولما كان للشرع مقصد سام من تفضيل صلاة الجماعة

لتجتمع القلوب بالتوجه لوجه واحدة كانوا يفضلون صلاة الجماعة على صلاة الفذ (المنفرد) حتى إنهم ليتهمون تاركها بالنفاق وناهيك بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق المتخلفين عنها والذي نفسى بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فؤذن لها ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، وكانت إمامة المسلمين في الصلاة راجعة إلى الخليفة بعدها أرفع وظائفه ولقد استدل الصحابة رضوان الله عليهم على أحقية أبي بكر بالخلافة باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم له في الصلاة بالمسلمين حين مرضه ولم يكن الخلفاء يولكون فيها بل كانوا يباشرونها بأنفسهم كما كان أمراؤهم في الولايات كذلك ومثل إمامة الصلاة الخطبة في أوقاتها والجمعة والأعياد والحوادث لا يقوم مقام الخليفة أو أميره أحد من الناس: وهذا كان يفعل في المساجد الكبرى في الأقطار أما المساجد المختصة بقوم أو محلة فكان الخليفة يعين لها من يقوم بالصلاة فيها كما فعل عليه الصلاة والسلام مع أهل قباء وغيرهم وليس ذلك شأن الخطبة فإنه لم يكن في المصر الواحد إلا مسجد واحد جامع يقوم بالخطبة فيه أمير المؤمنين أو أمير المصر وجعل الشرع عقاب تارك الصلاة كسلا: القتل إن لم يتب حسباراه بعض الفقهاء، ورأى آخرون أنه يعزر فحسب. أما إذا لم يعتقدها فهو مارق من الدين يقتل كفرا.

الزكاة

الزكاة هي أحد أركان الإسلام وقد أمر الشرع بأخذها من الأغنياء وردها على الفقراء وجعل لها نصاباً معلوماً متى ملكه الإنسان حقت عليه في النقدين والنعم وما يخرج من بركات الأرض وعروض التجارة ومن منعها قوتل عليها كما فعل أبو بكر مع مانعي الزكاة ومصارفها مذكورة في قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ والفقراء والمساكين هم العاجزون عن إدراك حاجاتهم بأنفسهم والعاملون عليها هم العمال الذين يعينهم الخليفة لقبضها، والمؤلفة قلوبهم من لم يسلموا وينتظر إسلامهم إن أعطوا أو أسلموا وفي إسلامهم ضعف والإعطاء يقويه وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القسمين بعد فتح مكة، والرقاب هم الميكاتبون الأرقاء الذين كاتبهم ملاكهم على شيء إذا دفعوه عتقوا أو الأسارى أو تشتري الرقاب فتعتق، والغارمون هم الذين ركبهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وسبيل الله الجهاد وابن السبيل المنقطع عن ماله، ومن تأمل إلى نظام الزكاة وجد أنه أبدع نظام لصالح الأمة والحكومة فهي شيء لا يضر الأغنياء ويعود بالنفع العميم على الفقراء فتعم السعادة الأمة بأسرها فلا يشتغل أفرادها بالاحتياج لأخذ أموال الناس بالباطل سلباً أو سرقة ولا تتولد العداوة والبغضاء بين الغني والفقير فيتمنى

هذا هلاك ذاك وتعتست أمة بين أفرادها عداوة وبغضاء .

الحج

الحج من أركان الدين العظمى وقد فرضه الله على كل مسلم مرة في عمره . قال تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ وكان الذى يتولى الحج بالمسلمين خليفتهم وكان الخلفاء الراشدون يكتبون إلى ولايتهم بالأموار أن يوافقوا موسم الحج للاطلاع على أمرهم وسيرهم مع رعيتهم فمن كان لأحد من الرعية عليه شكوى اقتص منه مع ما فى ذلك من رؤية المسلمين فى بقاع الأرض لخليفتهم فيتجدد بذلك عندهم عهد الطاعة وقلما كان الخلفاء يذنبون عنهم من يحج بالناس وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمرين جميعاً فحج بنفسه حجة الوداع وأمر أبا بكر أن يحج بالناس فى السنة التاسعة .

الصوم

الصوم هو الركن الخامس من أركان الإسلام وقد فرضه الله على الأمة شهراً فى السنة لتتهذب نفوسهم وتعطف على الفقراء والمساكين الذين بهم خصاصة فيعطوا الزكاة عن طيب نفس ولذا فرض الله عقبا زكاة الفطر وتارك الصوم يعزر بما يراه الإمام رادعاً . فما أوفق هذه الأركان وما أسعد الأمة لو اتبعتها ولم تتهاون بشيء منها فبكلها لها حكمة باهرة لم يفرضها البارئ عبثاً ، يا عجبا كل العجب لمن يقول إني مسلم ثم هو يترك ركناً من أركان دينه ألا يرى أنه إذا نقض من البناء

رکن تداعی له البناء كله و یوشک أن ینقض من أسه و العیاذ بالله ؟
أهمننا یا الله الصواب و وفقنا لما یرضیک إنک سمیع الدعاء .

القضاء

القضاء من وظائف الخلافة الكبرى لأنه منصب الفصل بين
الناس في الخصومات حسماً للتداعی و قطعاً للنزاع بالأحكام الشرعية
المتلقاة من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
في سورة المائدة ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾
و في آية أخرى ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ و في أخرى ﴿ فأولئك هم
الفاسقون ﴾ و كان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم
ولا يجعلونه لمن سواهم وأول من دفعه إلى غيره كما قال ابن خلدون
هو عمر بن الخطاب فولى أبا الدرداء معه بالمدينة و ولى شريحاً بالبصرة
و ولى أبا موسى الأشعري بالكوفة و كتب له في ذلك الكتاب
المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاة وهذا نصه منقولاً عن
الكامل للبهرد .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عبد الله عمر بن الخطاب أمير
المؤمنين إلى عبد الله بن قيس سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء
فریضة محكمة و سنة متبعة فافهم إذا أدلی فإیه لا ینفع تكلم بحق لا نفاذ
له . آس بین الناس فی وجهك و عدلك و مجلسك حتی لا یطمع شریف
فی حیفك و لا ییأس ضعیف من عدلك ، و البینة علی من ادعی و الیمین
علی من أنکر و الصلح جائز بین المسلمین إلا صلحاً أحل حراماً

أو حرم حلالا لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه عقلك
وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة
الحق خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك
مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس
الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل
لمن ادعى حقا غائبا أو بيعة أمدأ ينتهي إليه فإن أحضر بيئته أخذت له
بحقه وإلا استللت عليه القضية فإنه أنفي للشك وأجلى للعمى ؛ المسلمون
عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور
أو ظنيماً في ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبيئات
والإيمان وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتسكير عند
الخصومات فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن
به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس
ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله فما ظنك
بشواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .
وإنما قلد عمر القضاء لغيره لقيامه بالسياسة العامة وكثرة أشغالها
في الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما
يقوم به غيره لعظم العناية به فاستخف القضاء في الواقعات بين الناس
واستخلف فيه من يقوم به تخفيفاً على نفسه وكان الذين ينتخبون
لهذا العمل العظيم من كثرت صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فسطع عليهم نوره فهم لذلك يقدرون على استنباط الأحكام من

القرآن والسنة المطهرة ويتباعدون عن كل ما يغضب الله ورسوله من جور ورشوة قال تعالى في سورة النساء ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ وقال فيها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ حتى كانوا يتباعدون عن قبول الهدايا وإجابة الدعوة إلى الولايم فكان القضاء إذ ذاك سرجا يهتدى بهم في الظلمات لا يريدون إلا الله بأعمالهم بعد أن قربت منهم الدنيا فابتعدوا عنها لعلهم أنها ظلمات يوم القيامة فرضى الله عنهم أجمعين .

الفتيا

الفتيا في صدر الإسلام كانت مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان نور النبوة إذ ذاك ساطعاً على الأمة فيبينهم كثير ممن روى الأحاديث وحفظها فمن مقل ومن مكثر كأم المؤمنين عائشة وعبد الله بن عباس وابن مسعود وابن عمر وابن عمرو بن العاص وغيرهم ولم يكن هناك أدنى مجال للكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف وقد قال « من كذب على عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فكان الدين خالياً من تلك الشائبة التي أحدثها خلف من بعدهم . وكان الخلفاء يستفتون كبار الصحابة فيما يعرض لهم من الحوادث فقد استفتى عمر عبد الرحمن بن عوف فيمن قتل أرنبا في الحرم . ولخطر الفتيا كان الأصحاب يحيلون على بعضهم فيها وكان المتصدرون لها منهم على كثرتهم سبعة عشر صحابياً وإنما كانوا يتباعدون عنها خوف الخطأ في الأحكام .

الحدود

قد فرض الله عقاباً لكثير من الأعمال التي تنتج الفساد في الأمة وهذا العقاب حاسم وكفيل بعدم العودة إلى الشر وهو أربعة أنواع قتل وجلد وقطع وتعزير فالأول على من قتل نفساً بغير حق أو ارتد أو سعى في الأرض فساداً أو فر من الزحف أو ترك الصلاة كسلاً على رأى أو زنى بعد إحصان لأن الزنا جناية على الأمة كلها حيث يختل نظام البيوت فيخرج الولد ولأب له يريه ويهذبه فهو والحالة هذه أشد خطراً من جناية القتل ، والجلد لمن زنى قبل إحصانه مائة ومن قذف غيره بزنا يجلد ثمانين ومن شرب خمرأ يجلد أربعين أو ثمانين على اختلاف الصحابة في ذلك . والسارق تقطع يده والجاني على ما سوى النفس يقتص منه بمثل ما فعل ، العين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص وجعل الحق في العفو للمجنى عليه أو وليه وهذا حق من حقوق الأمة أخذه الحكام حياً في الإثارة بالسلطان أما إذا كان القتل فما دونه خطأ فقد فرض الشرع لولى المجنى عليه في القتل الدية وله فيما دون ذلك الأرش ليكون بمثابة تعويض عما فقد من نفس أو عضو وهذا العقاب أفيد للمجنى عليهم وأردع للجناة . أما التعزير فهو فيما سوى ذلك من الأعمال التي أنكرها الدين كالغصب وترك الصوم وما شاكل ذلك وهذا فوض الشرع فيه الأمر للولاية ولو كان كتابنا هذا من موضوعه

التكلم في الفروع لاستقصينا أحكام الشرع في الحدود والجنايات
ولكن فيما ذكرناه من أمهات المسائل كفاية في الدلالة على أن نظام
الشرع أرقى وأسمى مما يبتدع من النظمات التي لا تلبث على حال بل
هي كل يوم في تغيير وتبديل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الجهاد

أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين قويم بشيراً ونذيراً أفقام
بما حمل وبلغ رسالة ربه كما أمر ولما كان قومه العرب بدأ بهم عامة
وبقریش خاصة فأرشدهم إلى الحق وأنازلهم الطريق ودعاهم إلى دين
كله مكارم أخلاق فتبعه قوم وجفاه آخرون وقاموا في وجهه بمنعونه
تأدية رسالة ربه فصبر عليهم صبر نبي كريم رؤوف رحيم فلم يزدتهم
الحلم إلا غيافاً فكذبوا صنوفاً من البغى والأيذاء له ولمن اتبعه وازداد
بهم الأمر حتى تآمروا على قتله فأمره الله بالهجرة إلى دار قوم اتبعوا
وآمنوا به وهم الأنصار سكان المدينة الذين بايعوه على القيام دونه حتى
يؤدى رسالة ربه . فواقع قریشاً جملة وقائع أولها غزوة بدر وآخرها
غزوة الفتح فتحت فيها مكة وسقطت دولة الأوثان من البيت الحرام
فدان أكثر قریش بالدين الحنيفي وازدادوا به عزاً على عزهم في الجاهلية
ولما كان أكثر العرب مما لئاهم على ما هم فيه من الطغيان أمره الله
بقتالهم كافة كما قاتلوا المسلمين كافة فكان له معهم جملة مواقع آخرها
وقعة هوازن بحنين التي ذهبت بها دولة الشرك من بلاد العرب ودعا

عليه الصلاة والسلام من يحاوره من أهل الكتاب إلى دينه الذي جاء
مصدقاً لما بين يديه قال تعالى في سورة آل عمران ﴿ نزل عليك
الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من
قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾ فأبوا الدخول في دينه فعاهدتهم
وعاهدوه على ألا يكونوا مع عدوه فلم يفوا بما عاهدوا وما لأوا
الأحزاب فنبتذ إليهم على سواء وواقعهم جملة مواقع آخرها غزوة
خيبر التي انقض بها جمع اليهود وزالت دولتهم .

ولما كانت دعوته عليه الصلاة والسلام عامة بحكم قوله تعالى في
سورة سبأ ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً أو نذيراً ﴾ وراسل
ملوك الأرض الذين كانت لهم السطوة إذ ذاك فكاتب ملك الفرس
كسرى ومن تحت حمايته من ملوك العرب وكاتب قيصر ملك الروم
ومن تحت رعايته وكاتب النجاشي ملك الحبشة ليستضيء العالم بنور
الإسلام ويتساوى الصغير والكبير أمام الحق فلا يطمع الشريف
في الحيف ولا ييأس الضعيف من العدل فتتخلص الأمم من جور
ملوك كانوا يعدون أنفسهم آلهة ورعيتهم عبداً وكان مما فرضه الله
على لسان نبيه أن من أسلم فقد أحرز ماله ودمه وصار للمسلمين
أخاً لا يكلف إلا دفع الزكاة التي بها قوام الأمة ومن أبى الإسلام
لا يجبر عليه بل يرضى بحكم الإسلام ونظاماته في المعاملات ويدفع
مقابل حمايته جزءاً صغيراً حده الشرع ، وبذلك يكون في ذمة الله
ورسوله له مال للمسلمين وعليه ما عليهم فيجب على المسلمين أن يدافعوا
عنه كما يدافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأبنائهم وله الحرية التامة في
[١٠ - إتمام الوفاء]

العمل بمقتضى دينه أما من أبي الأمرين فيقاتل لأن الإسلام دين
قويم جاء مصدقا بجميع الكتب المنزلة قبله واحتوى على مكارم
أخلاق عليها مدار السعادة في الدنيا وآبى الدخول فيه أو الانقياد
لأحكامه الدنيوية مع البقاء على دينه في عبادته لا عذر له . ولما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من واجبات الخليفة بعده تتميم
ما أمر به لأنه خليفته في حراسة الدين وسياسة الدنيا فقام الخلفاء
الراشدون بعده بذلك خير قيام غير هيا بين ولا وكين فجردوا الجيوش
لحرب الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاد العرب - دولة الفرس
ودولة الروم - بعد أن كتبوا لهم الكتب يدعونهم للدخول في الإسلام
أو الانقياد لأحكامه مع إعطاء الجزاء وكانت قيادة الجيوش من
وظائف الخليفة تبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج
بنفسه في الغزوات ولكن لما كان للخلفاء مقاصد كثيرة في بلدان
متعددة يريدون فتحها في آن واحد لم يكن بدمن أن يستعينوا بغيرهم
في إمرة الجيوش ممن لا يقل عنهم في الشجاعة وتدير الحرب فانتخبوا
من إخوانهم من الصحابة من يستحق أن يسند له منصب عظيم كهذا
ولم يكن ينظر فيه لغنى أو شرف قبيلة أو قدم صحبة أو كبر سن فقد
ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إمرة جيش فيه
أبو بكر وعمر وولى أسامة بن زيد إمرة جيش آخرهما بفيه وإنما
كان ينظر في ذلك إلى العلم بالحرب والقدرة على تديرها وإعداد كل
أمر لما يناسبه وكان الخلفاء يأمرؤن أمراء الجيوش بما كان يأمرهم
به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يبدؤا أمة بقتال حتى يعرضوا

عليهم الإسلام فإن أبوه فالجزية فإن أبوهما فالقتال وكانوا يوصونهم بما أوصى به أبو بكر أسامة حين سيره بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم الإفساد في الأرض وعدم التعدي على النساء والصبهان والشيوخ والرهبان وكانوا يقسمون الجيش إلى خمسة أقسام مقدمة وساقة ومجنبتان وقلب ولكل قسم أمير يصدر عن أمر قائد الجيش وكانوا يقسمون الجيش بعد ذلك كراديس (صفوفاً) كل كردوس ألف رجل وعلى كل كردوس رجل من الشجعان يكون فيهم بمنزلة الأمير ثم يقسمون الكردوس إلى عشرات على كل عشرة رئيس يسمى عريفاً وكانوا يقاتلون بالزحف عملاً بقوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ وقال عليه السلام «المؤمن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقاتل الزحف أشد على الأعداء من قتال الكر والفر الذي كان متبعاً عند العرب (أما) غنائم الحرب فكانت تقسم أخماساً أربعة أخماسها للغزاة الراجل ثلث الفارس والخمس الباقي يقسم حسبما أمر الله تعالى في سورة الأنفال ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ وأما الأسرى فحكمهم ما ذكره الله في سورة القتال ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾ والمن أن يعفو الخليفة عن الأسير فيطلقه من غير فداء والفداء يختلف بحال الأسرى غني وفقراً. أما سلب القتيل فحق القاتل لا ينازع فيه ولم يكن في العصر

الأول عدد معلوم للجيش بل كان كل مسلم ملزماً بالاستعداد عند ما ينتدبه الخليفة وإذا كان الاستنفار عاماً وجب على كل مسلم الخروج ومن تخلف ظن فيه النفاق وعوقب أشد العقاب وناهيك ما حصل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتخلفين عن غزوة تبوك حيث نهى المسلمون عن مخالطهم ومخادتهم كأنهم ليسوا منهم إلى أن تاب الله عز وجل عليهم حينما ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وكانت العادة في عصر الخلفاء الراشدين أن من تخلف عن وجهته التي وجه إليها يشهر في الناس حتى يعتبر المعثرون وأول من عاقب بالقتل على التخلف عن الخروج إلى الوجهة التي أمر بها هو الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق في الدولة الأموية وكانوا يقرعون بين الناس إذا احتاجوا لعدد معين وكانت الجيوش تسير ونصر الله يكفلها وعنايته تحوطها لما كان عليه الأفراد من طاعة الرؤساء وما كان عليه الأمراء من الانقياد لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم الاستئثار بشيء من الفياء أو الغنيمة فليس ثم مجال للظنون التي تنزل بالرئيس والمرءوس إلى الدرك الأسفل من الهوان وانظر ما فعله أبو عبيد بن مسعود الثقفي أحد أمراء جيش العراق حينما قدم له الفرس طعاماً خاصاً فإنه سألهم هل أطعتم الجند مثله فقالوا لم يتيسر فامتنع من أكله وقال بثس المرء أبو عبيد إن صحب قوماً استأثر عليهم بالفياء وهكذا كان غيره من الأمراء رضوان الله عليهم أجمعين وكان كل مسلم يعتقد أن الجهاد أول واجباته فترى طفلهم يشب وقد عود الفروسية والظعن والضرب وكان الصبيان

يتسابقون إلى درج أسمائهم في الغزاة ويحزنهم إن ردوا وناهيك
بما كان من رافع بن خديج وسمرة بن جندب حينما استصغرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فردهما ثم أجاز رافعا لما قيل له إنه
رام فبكى سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم
رافعا وردني مع أني أصرعه فلما علم بذلك عليه الصلاة والسلام
أمرهما بالمصارعة فغلب سمرة فأجازها فإذا كبر الطفل ركب الأهرال
وهو عالم بها معتقدا أنه سينال إحدى الحسينين إما ظفر بفتح وإما
ظفر بشهادة وحسبك في ذلك ما أجاب به رسل سعد بن أبي وقاص
رئيس جيش القادسية يزدجرد ملك الفرس ورستم قائد جيشها فإذا
تأملت إلى اتفاق جميعهم في الإجابة لم ترتب في أن أولئك قوم لهم
وجهة واحدة يتجهون إليها في أقوالهم وأفعالهم وهي نصر دين الله
وإعلاء كلمته لا يباليون بما يحول دون ذلك من الأخطار أولئك قوم
جاهدوا في الله حق جهاده فمنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن
الله ذلك هو الفضل الكبير وفي كلام الله سبحانه وتعالى وأحاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من المحرضات على الجهاد ولذلك
أقبل المسلمون عليه غير هيايين ولا وكاين لا تلهيهم الأمانى الكاذبة
ولا تخدعهم الأوهام.

بيت المال

أول من اتخذ بيتاً للمال عمر بن الخطاب وكان يراد منه زكاة
المسلمين وجزية أهل الذمة وخمس الغنائم ومواريت من ليس لهم
وارث من موتى المسلمين فكان مطهر آمن المظالم نقياعما كانت الملوك

تأخذه من أممها ظلما . وأما مصاريف بيت المال فكانت الزكاة تصرف
في مصارفها التي ذكرناها في الزكاة . وجزية أهل الذمة تصرف في
سبيل الله وهو معدات الجهاد وخمس الغنائم في مصارفه المذكورة
في الجهاد ومواريث الموتى تصرف فيما يراه الإمام ولم يكن للمستحقين
شيء مخصوص يعطونه حتى فرض عمر العطاء ودون الدواوين
لمحصر أسماء الغزاة فجعل للعباس خمسة وعشرين ألف درهم في السنة
ولأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف
ولأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ولنسائهم خمسمائة خمسمائة
وأحق بأهل بدر أربعة ليسوا منهم : الحسن والحسين ابني علي
وأبازر وسلمان الفارسي ولمن بعد بدر إلى الحديدية أربعة آلاف أربعة
آلاف ولنسائهم أربعمائة أربعمائة ولمن بعد الحديدية إلى أن انتهى
أربكر من حروب أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ولنسائهم
ثلاثمائة ثلاثمائة ولمن شهد القادسية واليرموك ألفين ألفين ولنسائهم
مائتين مائتين ولأهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة
ولنسائهم مئتين مئتين ولمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا
ولنسائهم مئتين مئتين وللروادف المئتين خمسمائة خمسمائة ثم للروادف
الثلاث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة وفرض للروادف الربيع مائتين وخمسين
مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد مائتين مائتين
سوى كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وللصبيان
مائة مائة ولكل مسكين جريدين في الشهر ثم قال عمر إنى كنت امرءا
تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم هذا فما ترون

أنه يحل لي من هذا المال؟ فقال علي لك ما أصدقك و عيالك بالمعروف
ليس لك غيره فأخذ قوته واشتدت بعد ذلك حاجته فاجتمع نفر من
كبار الصحابة فيهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وقالوا لو قلنا لعمر في
زيادة زبيده إياها في رزقه فقال عثمان هلم فانهعلم ما عنده من وراء
وراء فأتوا أم المؤمنين حفصة بنت عمر فأعلموها الحال وأوصوها
ألا تخبر بهم عمر فلقيت حفصة عمر في ذلك فغضب وقال من هؤلاء
لأسوءنهم قالت لا سبيل إلى علمهم قال أنت بيني وبينهم ما أفضل
ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس قالت ثوبين
ممشقين كان يلبسها للوفد والجمع قال فأى الطعام ناله عندك أرفع قالت
حرفا من خبز شعير فصدينا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة
حلوة فأكل منها قال فأى ميسط يبسط عندك كان أو طأ قالت كساء
ثخين كنا نربعه في الصيف فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا
بنصفه قال يا حفصة فأبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر
فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية فوالله لأضعن الفضول
مواضعها ولا تبغن بالترجية وإنما مثلي ومثل صاحبي كمثل ثلاثة سلكوا
طريقاً ففضى الأول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك
سبيله فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما
لحق بهما وإن سلك طريقاً غير طريقهما لم يلحقهما . فتأمل كيف أن
عمر رضى الله عنه مع إقبال الدنيا على المسلمين وتغير الأحوال عما
كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد لنفسه مسوغاً أن
يزيد عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اتبع هديه وسار

بسيرته ليلقاه آمناً ، وكان رضى الله تعالى عنه يقول أنا كوصى مال
اليتم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف إشارة
إلى قوله تعالى فى حق الوصى ﴿ فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان
فقيراً فليأكل بالمعروف ﴾ وحج رضى الله عنه مرة فلما رجع قال
لابنه انظر كم صرفنا فنظر فإذا هو ستة عشر ديناراً فأخبره فقال عمر
لقد أسرفنا يا بنى ، لا جرم أن أعزه الله ومكن له فى الأرض .

العلم والتعلم

كانت العرب أمة أمية لا تشغل نفسها بالعلم فلما أرسل الله رسوله
بأهدى ودين الحق نص كثيراً على فضل العلم والتعلم والتعلم قال
تعالى فى فضل العلم ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم
درجات ﴾ وقال ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال
عليه الصلاة والسلام « من ىرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه
رشده » وقال العلماء ورثة الأنبياء ، وما قاله سبحانه وتعالى فى فضل
التعلم ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ﴾ وقال
﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وقال عليه السلام ومن
سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وقال ، باب
من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها ، وما جاء فى فضل
التعلم قوله تعالى ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم
يحذرون ﴾ فجعل ثمرة العلم والتعلم وقال ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق
الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ وقال عليه

الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه معلماً لأهل اليمن ، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من الدنيا وما فيها ، وقال : نعم العظيمة نعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة ، وقال : مثل ما بعثني به الله عز وجل كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، الأول مثل للمنتفع بعلمه واثاني مثل للنافع بعلمه والثالث مثل للمحروم منهما فكانت هذه الآيات القرآنية والأحاديث الحمديّة حاضرة الأمة الإسلاميّة على العلم وتعليمه وتعلمه ، والعلم الذي حضّ الشرع على تعلمه هو الذي يوصل الإنسان إلى سعادته الآخروية والزاحة في الدنيا وهانحن نسوق لك العلوم التي كانت تعلم في العصر الأول فنقول :

القرآن

كان أفضل ما يتعلمه المتعلمون في العصر الأول هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما لم يعرفه الإنسان كان مقلداً في إيمانه وهذا نقص لا ينبغي لمسلم الا تصاف به ولا نغني بتعلمه حفظه عن ظهر قلب لأن هذا لا يقيس للكثير من أفراد الأمة بل نقصد قراءته بتدبر وتفهم ليعلم المسلم أو امره وزواجه فيقف

عند حده وكان القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظاً في صدور الحفاظ ولم يكن مجموعاً في مصحف فلما كانت خلافة أبي بكر ومات كثير من حفاظ القرآن في وقعة اليمامة رأى رضى الله عنه أن يجمع القرآن في مصحف بعد أن أشار عليه بذلك عمر بن الخطاب فقال كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل به حتى شرح الله صدره لذلك فندب لهذا العمل العظيم كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الذين جمعوا القرآن في عهده صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن ثابت الأنصاري فقال كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل به أبو بكر حتى شرح الله صدره لما شرح له صدر أبي بكر وعمر فقام بهذا العمل خير قيام وجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ورتبه كما كان مرتباً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان يكتب سورة التوبة رأتى على قوله تعالى ﴿صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ ظنها آخر السورة فجاءه خزيمه بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وقال لقد أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم﴾ فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ فكتبها وحقق الله بعمل أبي بكر ما قاله في سورة الحجر ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ فلما كان في مدة عثمان بن عفان وتفرق القراء في الأمصار كان بينهم اختلاف في الإقراء اختلاف ألفاظ لاختلاف اللغات فرأى حذيفة بن ثابت

أن اختلافاً كهذا بين الأمة يؤدي إلى شقاق وفساد وأنهى ذلك إلى عثمان وحذره من سوء العقبى فرأى عثمان أن يجمع الأمة على مصحف واحد يكتب بلغة قريش فجمع ستة من كبار القراء فيهم زيد بن ثابت وأمرهم بذلك وقال لهم إن اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش فكتبوا عدة مصاحف سيرها إلى الأمصار وأبقى واحداً عنده وهذا المصحف هو الذي بين أيدينا الآن وهو الذي أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فجزى الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ما جازى هداة قوم عن أمتهم وهذا الذي نقلناه في جمع القرآن هو ما ورد في صحيح البخاري والإتقان للسيوطي .

السنة

السنة . ونعني بها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما شرع الله من الدين قال تعالى في سورة الحشر ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقال ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ وكانت محفوظة في صدور رواتها وكانوا يعلمونها أولادهم وخصوصاً ما يتعلق منها بالمغازي ، يقولون تعلموا مجد آبائكم ويعلم الله أن ذلك من أفضل التعليم للناشئ فإنه يثبت في قلبه الحمية فيشرب ولا شيء أحلى عنده من اكتساب مجد يعلى قدره ويرفع ذكره ولم تدون الكتب في الأحاديث حتى زمن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .

الفقه

الفقه كان في عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مراداً به كما قال الغزالي في الإحياء علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب، يدلك على ذلك قوله تعالى ﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا وقال تعالى ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ وأراد به معاني الإيمان وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا؟ بلى يا رسول الله قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه، قال عليه الصلاة والسلام في ضمام بن ثعلبة الأعرابي الذي وفد عليه فآمن به علم أركان الدين وسلم بذلك تسليماً خالصاً من شائبة نفاق أورياء « فقه الرجل » وهو لم يعلم بعد إلا أمهات الدين أما المسائل التي اصطلاح على تسميتها بالفقه في العصر الذي بعدهم فكانت تأتي أحكامها حسب وقائعها ولم يكن في أصحابه من تجرد لاختراع المسائل والإجابة عليها .

التوحيد

التوحيد كان عندهم عبارة عن أن يرى الموحد الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير

والشر إلا منه جل ذكره وكانوا يكتفون في الاستدلال على ذات الله وصفاته بما ورد في القرآن الشريف لا يتعدونه إلى ما سواه إذ كانوا على الفطرة لم تشب قلوبهم شوائب الشك والارتياب فكانوا بعيدين عن صناعة الكلام ومعرفة طرق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات والأموال التي جعلت بعدهم موضوعاً للتوحيد ، كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل عن ذلك بنصر دين الله والاجتهاد في تعميمه في بقاع الأرض ، قال إمامنا المرحوم الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد .

وقد مضى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المرجع في الحيرة والسراج في ظلمات الشبهة وقضى الخليفان بعده ما قدر لهما من العمر في مدافعة الأعداء وجمع كلمة الأولياء ولم يكن للناس من الفراغ ما يخلون فيه مع عقولهم ليبتلوها بالبحث في مباني عقائدهم وما كان من اختلاف قليل رد إليهما وقضى الأمر فيه بحكمهما بعد استشارة من جاورهما من أهل البصر بالدين إن كانت حاجة إلى الاستشارة وأغلب الخلاف كان في فروع الأحكام لا في أصول العقائد ثم كان الناس في الزمنين يفهمون إشارات الكتاب ونصوصه يعتقدون بالتنزيه ويفوضون فيما يوهم التشبيه ويرون أن له معنى غير ما يوهمه ظاهر اللفظ اه .

أما الحكمة التي أثنى الله عليها في قوله (من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) والتي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فی قوله ، کلمة من الحکمة يتعلمها الرجل خیر من الدنيا وما فيها ، والتي
حض عليه السلام علی البحث عنها فی قوله الحکمة ضالة المؤمن ینشدها
أنی وجدها ، فقد كانت منتشرة بین الصحابة وورد عن كثير منهم
حکم لا یخصیها العدم تهذب النفس وتحي القلب وأكثرهم فی ذلك أمير
المؤمنین علی بن أبی طالب رضی الله عنه وهانحن نسوق لك شذرات
منها مما نقلناه من الجزء الثاني من الكتاب المرسوم بنهج البلاغة قال
رضی الله عنه ، البخل عار والجبن منقصة والفقر یخرس الفطن عن
حجته والمقل غریب فی بلده والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة
والورع جنة ، وقال ، نعم القرین الرضى والعلم وراثه کریمه والآداب
حلل مجددة والفکر مرآة صافية ، وقال ، صدر العاقل صندوق
سره والبشاشة جبل المودة والاحتمال قبر العیوب ، وقال ، إذا
أقبلت الدنيا علی أحد أعارته محاسن غیره وإذا أدبرت عنه سلبت
محاسن نفسه ، وقال ، إذا قدرت علی عدوک فاجعل العفو عنه شکراً
للقدرة علیه ، وقال ، إذا وصلت إلیکم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها
بقلة الشکر ، وقال ، من جرى فی عنان أمه عشر بأجله ، وقال ، من
أبطأ به عمله لم یسرع به نسبه ، ویروی هذا عن رسول الله صلی الله
عليه وسلم وقال ، من کفارات الذنوب العظام إعانة الملهوف
والتنفیس عن المکروب ، وقال ، یا ابن آدم إذا رأیت ربک
سبحانه یتابع نعمه علیک وأنت تعصیه فاحذره ، وقال ، الحذر
الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر ، وقال ، فاعل الخیر
خیر منه وفاعل الشر شر منه ، وقال ، کن سمحاً ولا تكن مبذراً

وكن مقدرأ ولا تكن مقترأ، وقال «من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون»، وقال «طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضى عنه الله»، وقال «احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع»، وقال «أولى الناس بالعتو أقدرهم على العقوبة»، وقال «القناعة مال لا ينفد»، وقال «اللسان سبع إن خلى عنه عقر»، وقال «فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها»، وقال «لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه»، وقال «إذا تم العقل نقص الكلام» وقال «من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم» وقال «قيمة كل امرئ ما يحسنه» وقال «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلا، لا يرجون أحد منكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد بغير رأس ولا إيمان لا صبر معه» وقال «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ»، وقال «اعقلوا الخبر عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواية العلم كثير ولكن رعاته قليل»، وقال «لا يترك الناس شيئا من أمر دينهم لا يستصلاح

دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه، وقال، إضاعة الفرصة غصة،
وقال، عجت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى
الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة
حساب الأغنياء وعجت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غدا
جيفة وعجت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله وعجت لمن نسي
الموت وهو يرى الموتى وعجت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى
النشأة الأولى وعجت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء، وقال
«لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته
ووفاته، وقال، تنزل المعونة على قدر المؤونة، وقال، المرء مخبوء
تحت لسانه، وقال، لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان،
وقال، الراضى بفعل قوم كالداخل معهم وعلى كل داخل في باطل
إثم إنهم العمل به وإثم الرضى به، وقال، من استبد برأيه هلك
ومن شاور الرجال شاركها في عقولها، وقال، من كتم سره كانت
الخيرة بيده، وقال، الإعجاب يمنع من الازدياد، وقال، الناس أعداء
ما جهلوا» وقال، «ازجر المسىء بثواب المحسن، وقال، الطمع رق
مؤبد، وقال، من أبدى صفحته للحق هلك، وقال، «لم يذهب من
مالك ما وعظك، وقال، لا يزهديك في المعروف من لا يشكر لك
فقد يشكرك عليه من لا يستمع به قد تدرك من شكر الشاكر
أكثر مما أضاع الكافر والله يحب المحسنين، وقال، «بئس الزاد إلى
المعاد العدوان على العباد» وقال، «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس
عيبه» وقال، «الكرم أعطف من الرحم، وقال، «من ظن بك خيرا

فصدق ظنه ، وقال الحدة ضرب من الجنون فإن صاحبها يندم
فإن لم يندم فجنونه مستحكم . .

وهذا قليل من كثير أوردناه لك لتعلم ما كان عليه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقوالهم وأفعالهم فتعز باتباعهم إن
كان لك في العز حاجة .

وهذه العلوم التي كانت في العصر الأول مشغلة للمعلمين والمتعلمين
لا يعرفها إلا مسلم ولا يتركها إلا منافق وهي التي بها صلاح الأمة
في الدين والدنيا وقد بقيت علوم كفايات لم يتركها المسلمون بل
اشتغلوا بها لصلاح الدنيا ولا بأس أن نذكر لك بعضها لتعلم كيف
كان شغلهم بها .

الكتابة

كانت الكتابة في صدر الإسلام قليلة جدا لأمية العرب ولما
أخذت في الانتشار حينما حض على تعلمها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان ابتداء شيوعها لما جعل عليه السلام فداء بعض الأسرى
في بدر أن يعلم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة وكان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب كثيرون لكتابة الوحي
 والمراسلات أشهرهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن
ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم وفي مدة الشيخين شاعت
الكتابة أكثر .

لغات الأعاجم

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة

[١١ - إتمام الوفاء]

العبرانية لغة اليهود ليكون بينه وبينهم ولا يكتب لهم عنه عليه السلام ما يريد أن يكتبه فلا بأس أن يكون في الأمة من يعرف اللغات الأعجمية متى كان هناك احتياج إلى ذلك وكان في الصحابة كثير ممن عرف لغة الفرس والروم وغيرهم .

الطب

كان الطب مشتهراً بين العرب وله قوم مخصوصون اتخذوه حرفة من أشهرهم الحارث بن كلدة وقد انتدبه عليه السلام ليداوى مرضاً ألم بسعد بن أبي وقاص وبعث عليه السلام إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه . رواه مسلم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث في الحث على تعلم الطب منها « لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله » وفي هذا الحديث حث على معرفة طبائع العقاقير وتشخيص الداء حتى يجعل لكل داء دواء . وورد عنه عليه السلام أحاديث في الطب منها « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء » رواه مسلم ومنها - أو هو أثر - المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة ، ويعجبني هنا ما ذكره الغزالي في الإحياء تنديداً بطلاب العلم الذين جعلوا دأبهم الاشتغال بفروع الفقه الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج لشيء منها ويهدلون ماعداً ذلك من الكفايات قال رحمه الله (فكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة ولا تجوز شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهاون على

علم الفقه لا سيما الخلافات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء
بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يخصص
فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم
به هل لهذا من سبب إلا أن الطب ليس يتيسر به الوصول إلى تولى
الأوقاف والوصايا وحياسة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة
والتقدم على الأقران والتسلط به على الأعداء) ونحمد الله أن أوجد
من غير الفقهاء من يسد هذه الثلمة في الأمة فقام بتعلم الطب وإفادة
الناس منه ومن هنا يعلم أن الأمة في العصر الأول لم تكن تخلو من
قائم بالكفايات التي عليها مدار العمارة والتقدم كالحساب أو الهندسة
وغير ذلك. وإلى هنا انتهى ما أردنا إيراده من نظامات الإسلام
وبقيت في النفس بقية نذكر فيها معاملة المسلمين لبعضهم في العصر
الأول إذ هذا هو الذي تدور عليه سعادة الأمة وشقاوتها وبه عزها
وذها فاسمع وافقه ألهمني الله وإياك الرشيد قال الله تعالى في كتابه
العزیز ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ وقال ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ فكان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم متآخين في الله متحابين وكانت الأخوة
بينهم في أعلى درجاتها وهو الإيثار على النفس قال الله تعالى في وصف
الأنصار ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر
إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة ﴾ فكان الرجل منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه عملاً

بقوله عليه السلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »
فلا يغشه لئلا يدخل تحت قوله عليه السلام « من غشنا فليس منا »
ولا يكذب عليه إذا حدثه ولا يخلفه إذا وعده ولا يخونه إذا انتمنه
لئلا يكون منافقاً ، قال عليه السلام « آية المنافق إذا حدث
كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » وفي حديث آخر
« أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن
كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . إذا أؤتمن خان وإذا حدث
كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » ولا يقصر في معاونته أمثالا
لقوله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ ولا يسخر منه ولا يلزمه
ولا ينازعه بالألقاب ولا يظن به الظنون ولا يتجسس عليه ولا يغتابه
قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا
خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلهزوا
أنفُسكم ولا تنازروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن
لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من
الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتاب بعضكم بعضاً يحب
أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب
رحيم ﴾ وقال عليه السلام « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا
تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ، وقال « لا تحاسدوا ولا تناجسوا ولا
تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله
إخواناً . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا -

ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» وقال «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث» ولا ينم عليه لثلاث يحرم الجنة قال عليه السلام ولا يدخل الجنة نمام، ولا يسبه لثلاث يفسق قال عليه الصلاة والسلام «سباب المؤمن فسوق، ولا يجرد في وجهه سيفاً لثلاث تكون عاقبته النار قال عليه السلام «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه، وقال الله تعالى ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ ولا يرفع عليه لائحة في نسبه أو قلة في ماله قال عليه السلام في حجة الوداع «أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولا يعامله بالربا، كيف وقد نهى الله تعالى عنه أشد نهى فقال وقوله الحق ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم

ولا هم يحزنون • يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرُوا ما بقى من الربا
إن كنتم مؤمنين • فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم
فإنكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون • وإن كان ذو عسرة
فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون • واتقوا
يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿
فليتدبر هذا النهى أولو النهى من المسلمين ليعرفوا كيف آلت حالهم
إلى ما هم عليه الآن . وكان المسلم يرى أن من دينه نصيحة أخيه قال
عليه السلام «الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولرسوله
ولأئمة المسلمين وعامتهم» ، ويمنع عنه أذى يده ولسانه قال عليه السلام
«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله
عنه» وكان الحياء من شعارهم قال عليه السلام «الحياء من الإيمان ،
يطعمون الطعام ويقرئون السلام قال عليه السلام وقد سئل أى
الأعمال أفضل قال «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم
تعرف» يحبون الله ورسوله أكثر من الأموال والأولاد قال عليه
السلام «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن
يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» ومن
المعلوم أن المحبة ليست شقشقة اللسان إنما هي الطاعة في الأقوال
والأفعال قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم﴾ وآداب الإسلام التي كان المسلمون يتمسكون بها
في العصر الأول لا تمل من أن تذكر لك بعضاً منها ليكون لك من نفسك

زاجر قال الله سبحانه ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون
بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ وقال ﴿ ولاتأكلوا أموالكم
بيدكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس
بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ وقال ﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾
وقال ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلو الدين
والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير
فإن الله به عليم ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات
ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ۝ ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن
الله غنى حميد ﴾ وقال ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله
بما تعملون خبير ﴾ وقال وهى من أهم ما يجب على المسلمين
تنفيذه ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ۝ ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب
عظيم ﴾ وقال ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً
وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب
والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب

من كان مختالاً فخوراً ﴿ وقال ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴿ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴿ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴿ وقال ﴿ ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴿ وقال ﴿ قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها وإذا قاتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴿ وقال ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴿ وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴿ وقال ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل

ربارحمهما كما ربياني صغيراً * ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تسكونوا
صالحين فإنه كان للأولين غفوراً * وآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين
وكان الشيطان لربه كفوراً * وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من
ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً * ولا تجعل يدك مغلولة إلى
عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً * إن ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً * ولا تقتلوا
أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيراً *
ولا تقرّبوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً * ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لولائه سلطاناً
فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً * ولا تقرّبوا مال اليتيم إلا بماقى
هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً *
وأوفوا الكيل إذا كتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن
تأويلاً * ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كان عنه مسئولاً * ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن
تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً * كل ذلك كان سيئه عند
ربك مكروهاً * وقال ﴿ قد أفصح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم
خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون
والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمنهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على

صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿ وقال ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم * ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير * يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور * وانصدقني مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴿ وقال تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴿ هذا ولو أردنا استقصاء الآداب الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة لا حتجنا إلى مجلدات ولكننا أردنا بما ذكر أمرين : الأول أنا ذكرنا لك أمهات الفضائل التي كان المسلمون في العصر الأول متخلقين بها ، الثاني أنا لفتنا نظرك أيها المسلم لمذاكرة القرآن لتعرف ما احتوى عليه من الآداب والحكم فتقف عندما حده لك ومذاكرة السنة المطهرة الهادية ولا تكن ممن يضعها في بيته تبركا بأوراقها ونقوشها ، والله الهادي إلى الصراط المستقيم

مقتل عمر

لم يصب المسلمون في العصر الأول بمصيبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : جنى عليه غلام مجوسى اسمه أبو لؤلؤة كان للمغيرة بن شعبة وها نحن نسوق لك ما رواه البخارى في صحيحه عن عمرو بن ميمون في هذا المصاب الجلل قال عمرو إنى لواقف ما بينى وبينه (عمر) إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مرّ بين الصفين قال استووا حتى إذا لم يرفهين خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة فسار العليج بسكين ذا طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برسا فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول (عمر) يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلنى فجاء ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال الصنع قال نعم فقال قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الإسلام وقد

كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثرا العلوج بالمدينة وكان العباس
أكثرهم رقيقا فقال إن شئت فعلت أي إن شئت قتلما قل كذبت
بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبيلتكم وحجوا حجكم فاحتمل إلى
بيته فانطلقنا معه وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول
لا بأس عليه وقائل يقول أخاف عليه فأتى بنبيذ فشر به فخرج من جوفه
ثم أتى بلبن فشر به فخرج من جوفه فعملوا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء
الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين
ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في
الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت أن ذلك
كفأف لا على ولا لي فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال ردوا
الغلام قال يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أتق لثوبك وأتقى لربك
يا عبد الله بن عمر انظر ما على من ملدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين
ألفاً أو نحوه قال إن وفي بذلك مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا
فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قریش ولا
تعدهم إلى غيرهم فأد عنى هذا المال . انطاق إلى عائشة أم المؤمنين
فقيل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم
للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ،
فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدت تبكى فقال يقرأ عمر بن
الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده
لنفسى ولأوثرن به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر
قد جاء فقال ارفعونى فأسنده رجل إليه فقال ما لديك قال الذى تحب

يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شيء أهم إلي من ذلك فإذا
قضيت فأحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت
فأدخلوني وإن ردتنى فردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين
حفصة (بنت عمر) والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فوالت عليه
داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين
استخلف فقال كما في رواية مسلم «أتحمل أمركم حياً وميتاً لو ددت
أنى أحظى منها الكفاف لا على ولا لى وإن استخلف فقد استخلف
من هو خير منى - يعنى أبا بكر - وإن أنركم فقد ترككم من هو خير
منى - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال عبد الله بن عمر فعرفت
أنه - حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم - غير مستخلف ثم قال
عمر ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى علياً وثمان
والزبير وسعداً وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد الله
ابن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة
سعداً فهو ذلك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإنى لم أعزله من عجز
ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن
يدفع لهم حقوقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالانصار خيراً الذين
تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن
مسيئتهم وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم رده الإسلام وجباة
المال وغيظ العدو وألا يأخذ عنهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه
بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يأخذ من

حواشي أموالهم وترد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من وراءهم ولا
يكفوا إلا طاقتهم فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله
ابن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب قال ادخلوا فأدخل فوضع
هناك مع صاحبيه . وهناك قال علي رضي الله عنه كما في رواية البخاري
عن ابن عباس (رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك
لأنى كثير أما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت
وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر
فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما) فلما فرغ من دفنه اجتمع
هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم إلى ثلاثة
منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى إلى علي وقال طاحنة قد جعلت
أمرى إلى عثمان وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن
عوف فقال عبد الرحمن (اعثمان وعلي) أيكما تبرا من هذا الأمر
فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن إلى أفضلهم في نفسه فأسكت
الشيخان فقال عبد الرحمن أفتجعلونه إلى والله علي أن لا آلو عن
أفضلكم قال نعم فأخذ بيد أحدهما (علي) فقال لك قرابة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن
أمرتك لتعدن ولئن أمرت عثمان لتسه عن ولتطيعن ثم خلا بالآخر
فقال مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه وبايع
له علي ووج أهل الدار فبايعوه ولما تمت البيعة صعد عثمان المنبر
نخطبهم فقال (الحمد لله، أيها الناس اتقوا الله إن الدنيا كما أخبر الله

عنها: لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد
كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿ نخير العباد فيها من عصم بالله
واستعصم بالله وبكتابه وقد وكلت من أمركم بعظيم لا أرجو العون
عليه إلا من الله ولا يوفق للخير إلا الله وما توفيقى إلا بالله عليه
توكلت وإليه أنيب) ثم نزل .

ترجمة عثمان

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ولد في السنة الخامسة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشب على الأخلاق الكريمة والسيرة الحسنة حياً عفيفاً ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان عثمان من السابقين إلى الإسلام على يد الصديق رضي الله عنه وزوجه عليه السلام بنته رقية فلما آذى المشركون المسلمين هاجر رضي الله عنه مع زوجته إلى بلاد الحبشة ثم رجع إلى مكة قبل الهجرة إلى المدينة فلما أذن الله بها هاجر إليها هو وزوجه وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مشاهدته وإكنته لم يحضر بدرأ لشغله بتمر يض زوجته التي ماتت عقب انتصار المسلمين فيها وأسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنيمتها ثم زوجه بنته الثانية أم كلثوم وكان ممن عفا الله عنهم في أحد وكان في عمرة الحديبية سفيراً بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلما شاع غدرهم بعثمان بايع النبي أصحابه بيعة الرضوان وقل بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان وكان له في جيش العسرة إلى تبوك اليد الطولى فقد أنفق من ماله أكثر مما جاد به غيره واشترى بئر رومة بماله ثم تصدق بها على المسلمين فكان رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم وقد قال عليه السلام من حفر بئر رومة فله الجنة» ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان للخليفين من بعده تاملاً أميناً ولما أصيب المسلمون

بقتل عمر كانت أغلبية الشورى له فقام بأمر الخلافة خير قيام إلا أن في آخر مدته تغير بعض المسلمين عما كانوا عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين من بعده ودبت إليهم الدنيا وحبها وهو رأس كل خطيئة فقام عليه جماعة من بغاتهم فشتوا شمل المسلمين بشق عصا الطاعة حتى تداعت أركان الخلافة وقتل ظلماً رضى الله عنه وقد جاوز الثمانين من عمره . كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدري . كبير اللحية عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين يصفر لحيته وله من الأولاد عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعمرو وخالد وأبان وعمر ومريم والوليد وسعيد وأم سعيد وعبد الملك وعائشة وأم أبان وأم عمرو ومريم وعنيسة وأم البنين

أعماله في خلافته

في الكوفة

في بدء خلافته استعمل سعد بن أبي وقاص على الكوفة عملاً بوصية عمر وكان معه عبد الله بن مسعود على الخراج فأقام سعد في إمارة الكوفة سنة ثم عزله عثمان لخلاف وقع بينه وبين عبد الله بن مسعود ، سببه أن سعداً اقترض من عبد الله مالا فلما تقاضاه إياه لم يجد له سعد أداء فطلب منه التأجيل فلم يقبل وحصل بينهما في ذلك نزاع فتعصب لهذا قوم ولذلك آخرون وكان هذا أول شقاق حصل

[۱۲ - إتمام الوفاء]

بين أهل الكوفة فغضب لذلك أمير المؤمنين عثمان وعزل سعدا
وولى مكانه الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن
عبد شمس وأمه أم عثمان وعزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان التي
كانت تابعة لولاية الكوفة فانتقض أهلها فغزاهم الوليد فأغار على أهل
موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم ثم طلب أهل كور أذربيجان
الصلح فصالحهم على صلح حذيفة وهو ثمانمائة ألف درهم (ثم)
سير سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أهل أرمينية في اثني عشر ألفاً فشتت
شملهم ورجع إلى الوليد بغنائمهم فرجع الوليد من طريق الموصل
فلما أتى المدينة جاءه وهو بها كتاب من عثمان يأمره أن يمد أهل
الشام بجيش يقوده رجل ذو نبذة فندب الناس مع سلمان بن ربيعة
الباهلي فانتدب له ثمانية آلاف سيرهم معه وأقام الوليد والباهلي على
الكوفة خمس سنين في نهايتها اتهمهم جماعة من أهل الكوفة بأنه شرب
الخمر وشهدوا بذلك عند عثمان فعزله عن إمارتها وجلده حد الشارب
أربعين جلدة كما أفتى بذلك علي ابن أبي طالب وولى مكانه سعيد بن
العاص فلما وصل الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره وللكي لم أجد بدا إذ أمرت أن
أأتمر، ألا وإن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينها ووالله لأضربن وجهها
أو تعيبنى وإني لرائد نفسي اليوم ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف
حالهم وكتب إلى عثمان إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب على
أهل الشرف والبيوتات منهم والغالب على تلك البلاد وادف قدمت
وأعراب لحقت حتى لا ينظر إلى ذي شرف أو بلا من نابتها ولا نازاتها

فكتب إليه عثمان (أما بعد ففضل أهل السابقة والقدم ومن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها من غيرهم تبعاً لهم إلا أن يكونوا تناقلوا عن الحق وتركوه وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس يصاب بها العدل) فأرسل سعيد إلى أهل القادسية والأيام فقال أتم وجوه الناس والوجه يذني عن الجسد فأبلغونا حاجة ذوى الحاجة وأدخل معهم من يحتاج إليه من اللواحق والروادف وجعل القراء في سمره ففشت القالة في الكوفة بالقدح في ولاية عثمان وفيه لتوليته إياهم فكتب سعيد إلى عثمان بذلك فجمع الناس وأخبرهم بما كتب إليه فقالوا أصبت لا تطمعهم فيما ليس له بأهل فإنه إذا نهض في الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها فقال عثمان يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت إليكم الفتن وإنى والله لا تخلصن الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم حتى يأتي من شهد مع أهل العراق سهمه فيقيم معه في بلاده فقالوا كيف تنقل إلينا سهمنا من الأرضين فقال يبيعها من شاء بما كان له في الحجاز واليمن وغيرها من البلاد ففرحوا وفتح الله عليهم أمراً لم يكن في حسابهم وفعّلوا ذلك واشتراه رجل من كل قبيلة وجاز لهم عن تراض : وفي عهد سعيد بن العاص فتحت طبرستان سار إليها ومعه الحسن والحسين ابنا علي وابن عباس وابن عمرو بن العاص وابن الزبير وحذيفة بن اليمان وغيرهم من كبار الصحابة فقاتل أهلها ثم طلبوا الصلح فصالحهم وكان ذلك في السنة الثلاثين ثم سار سعيد وحذيفة ابن اليمان لإمداد عبد الرحمن بن ربيعة الذي كان بالباب فلبا باغا

أذربيجان سير سعيد حذيفة وأقام هو رده له فسار حذيفة وغزا
مع عبد الرحمن ثم رجع إلى سعيد فصبحه بالكوفة وفي السنة الثانية
والثلاثين غزا عبد الرحمن بن ربيعة الترك ثالث مرة وأوغل في سيره
فتجمع عليه الترك والخزر وقاتلوه قتالاً شديداً حتى قتل فتفرق جيشه
فرقتين فرقة سارت نحو الباب فالتقت بسليمان بن ربيعة الباهلي أخى
عبد الرحمن الذى سيره سعيد مدداً لأخيه فنجوا معه وفرقة سارت
نحو جيلان وجرجان فيهم سليمان الفارسي وأبو هريرة الدوسي
واستعمل سعيد مكان عبد الرحمن أخاه سليمان على غزو الباب واستعمل
على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وأمدهم أمير المؤمنين عثمان
بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سليمان بن ربيعة وامتنع
حبيب أن يكون تحت إمرته حتى قال أهل الشام ولقد هممنا أن
نضرب سليمان فقال الكوفيون إذا نضرب حبيباً ونحبسه وإن أبتهم
كثرت القتلى فينا وفيكم وكان هذا أول شقاق حصل بين الكوفيين
والشاميين ودبت البغضاء بينهم بسبب التنافس في الرياسة ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وفي السنة الثالثة والثلاثين حصل
بالكوفة ما يئى بمصيرها من دون إلى أدنى في الشقاق والتنازع
لأن نزالها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلون وأهل
السابقة والفضل من أهلها وزعمهم سعيد ولادة على كور الكوفة
من بلاد فارس وكان يجلس إلى سعيد كثير من أهل الكوفة للسمر
فيكانوا يتذاكرون وقائعهم وحوادثهم وأدى ذلك إلى مشاجرة
بعضهم بعضاً واستخفوا بصاحب الشرطة لما نهاهم عن ذلك

التنازع حتى أنهم ضربوه فطردهم سعيد من السمر عنده فابتعدوا
وأقاموا في مجالس لهم لا هم لهم إلا الوقيعة بسعيد ومن ولاه فكتب
إلى أمير المؤمنين عثمان بنخبرهم فكتب إليه أن يحمل رؤسائهم إلى
معاوية بالشام وكتب إلى معاوية إن نفراً خلقوا للفتنة فأقم عليهم
وانهم فإن آنت منهم رشدا فاقبل وإن أعيوك فارددهم على فلما
قدموا على معاوية أكرمهم وأحسن وفادتهم وأجرى عليهم أرزاقهم
كما كانوا بالعراق فلم تزدتهم النعمة إلا بطرا واستخفوا بمعاوية واعترضوا
على ولايته فقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما
فولاني وأدخلني في أمره ثم استخلف أبو بكر فولاني ثم استخلف عمر
فولاني ثم استخلف عثمان فولاني ولم يولني أحد إلا وهو عنى راض
وإنما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعمال أهل الجزاء من
المؤمنين والغناء وإن الله ذو سطوات ونقبات يمكر بمن مكر به فلا
تعرضن لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظرون فإن الله غير
تارككم حتى يختبركم ويبدى للناس سرائركم، ولما رأهم من ضلوا على
على فلم تقدمهم النصيحة كتب إلى عثمان بنخبرهم فأرسل إليه أن يسيرهم
إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص فلما وصلوا إليه دعاهم فقال
يا آلة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا
أنتم بعد في نشاط خسر، والله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم يامعشر من
لا أدري أعرب هم أم عجم لا تقولوا لي ما بلغني أنكم قلت لمعاوية أنا
ابن خالد بن الوليد أنا ابن من عجمته العاجمات أنا ابن فاقع عين
الردة والله يا فلان لئن بلغني أن أحدا من معي دق عنقك ثم غمضك

لا طيرن بك طيرة بعيدة المهوى فأقامهم شهرا كلبا ركب أمشاهم خلفه
حتى قالوا نتوب إلى الله أقلنا أقالك الله فما زالوا به حتى قال تاب الله
عليكم (ثم) إن سعيد بن العاص أمير الكوفة رحل إلى أمير المؤمنين
في أمور تخص ولايته واستخلف على عمله عمرو بن حريث فقام
جماعة من أهل الكوفة كرهوا ولاية سعيد واتفقوا على التوجه إلى
عثمان واستعفائه منه وكاتبوا من عند عبد الرحمن بن خالد فساروا
إليهم وخرج الجميع لذلك فقابلهم سعيد في الطريق راجعا فأخبروه
خبره فقال كان يكفيكم أن ترسلوا العثمان رجلا وإلى رجلا ثم رجع
إلى عثمان وأخبره بذلك وقال إنهم يريدون البديل بي ويحبون
أباموسى فولاه عثمان عليهم وكتب إليهم (أما بعد فقد أمرت عليكم من
اخترتم وأعفيتكم من سعيد ووالله لأقرضنكم غرضي ولأبذلن لكم
صبري ولا استصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيئا أحببتموه لا يعصى فيه
الله إلا استعفيتم منه أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لا يكون لكم على الله
حجة ولنصبرن كما أمرنا حتى تبلغوا ما تريدون) ثم جاء أبو موسى
ودخل الكوفة وخطب أهلها وأمرهم بلزوم الجماعة ولم يزل واليا
عليها حتى مات عثمان رضى الله عنه.

في البصرة

كان والى البصرة أول خلافة عثمان أبو موسى الأشعري فأقام فيها
إلى السنة التاسعة والعشرين ثم عزله عثمان وولى بدله عبد الله بن عامر
ابن كريز بن ربيعة بن عبد شمس وجمع له جند أبي موسى وجند عثمان

ابن أبي العاص الثقفي من عمان والبحرين (وفى) عهده انتقض أهل فارس بأمرهم عبيد الله بن معمر فسار إليهم عبيد الله ولا قاهم على باب اصطخر فقتل وانهم من معه ولما بلغ ذلك ابن عامر سار إليهم بجيش كثيف فقاتلهم قتالا شديداً حتى هزمهم وفتح اصطخر عنوة وأتى دارا بجرد وقد غدر أهلها ففتحها وبلغه وهو هناك أن أهل اصطخر عادوا إلى غدرهم فرجع إليهم وفتحها ثالث مرة وقتل كثيراً من وجوه أهلها ثم وطئ أهل فارس وطأة لم يزلوا منها في ذل (وفى) عهده قتل يزيد جرد ملك الفرس وهو آخر ملوكهم والأخبار مضطربة في كيفية قتله إلا أنهم اتفقوا على أنه قتل وحيداً طريداً لم يغن عنه هذا الملك الواسع شيئاً واتفقوا على أنه قتل بيد أعجمية وكان يتمنى إذ ذاك أن لو كان وقع في يد العرب المسلمين فإنهم كانوا يبقون عليه فيعيش منعماً في ظل الإسلام الظليل ولكن أنى له ذلك والشقاء متى غلب لا يرد؟ (وفى) السنة الحادية والثلاثين سار عبد الله بن عامر لفتح خراسان التي انتقض أهلها بعد موت عمر فلما وصل الطيبين وهما بابا خراسان تلقاه أهلها بالصلح فسار إلى قهستان فلقى أهلها وقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنهم ولما أقبل على المدينة طلب أهلها الصلح فصالحهم على ستماية ألف درهم ثم قصد نيسابور فصالحه أهلها على ألف ألف درهم ثم وجه الأحنف بن قيس إلى طخارستان ثم على مرو الروز فلقى جمع كثير من جموع المشركين فهزمهم ووجه الأقرع بن حابس التميمي إلى جمع من الفرس بالجوزجان ووصاه هو وقومه فقال (يا بني تميم تحابوا وتباذلوا تصلح أموركم وابدأوا بجهاد

بطونكم و فروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم)
فسار القوم حتى لقوا الأعداء فهزموهم ثم فتح الأحنف الطالقان
صالحا و سار إلى بلخ فصالحه أهلها على أربع مائة ألف درهم ثم سار إلى
خوارزم فلم يتمكن من فتحها فعاد عنها (ثم) رجع ابن عامر بعد أن
فتح هذه البلاد العظيمة مرة ثانية فقبل له ما فتح الله على أحد مثل
ما فتح عليك فارس و كرمان و سجستان و خراسان فقال لا جرم
لأجعلن شكري لله على ذلك أن أخرج معتمرا من موقفي هذا فأحرم
بعمره من نيسابور (و بعد) ثلاث سنين من إمارة ابن عامر بالبصرة
بلغه أن رجلا نزل على حكيم بن جبلة العبدى وله آراء غير مقبولة فطلبه
ابن عامر فسأله من أنت فقال رجل من أهل الكتاب رغبت في
الإسلام و في جوارك فقال ما يبلغنى ذلك أخرج عنى نخرج حتى أتى
الكوفة فأخرج منها فأتى الحجاز و الشام فأخرج منهما فأتى مصر
فعثش فيها ثم باض و فرخ و كان هذا الرجل هو عبد الله بن سبأ
و ابن السوداء و هى أمه كان يهوديا ثم أظهر إسلامه مع ضمير خبيث
و كانت له آراء فاسدة منها أنه كان يقول عجبت ممن يصدق بر جوع
المسيح و لا يصدق بر جوع محمد و كان هذا ابتداء القول بالرجعة و كان
يقول إن عليا وصى محمد و قد غصبه من ولى قبله حقه فالواجب على
المسلمين أن يقوموا لإعادة الحق إلى أهله و قد تبع مذهبه كثير من
طاشت أحلامهم فكان هذا من ضمن الأسباب التى أدت إلى شق
عصا الطاعة و افتراق الأمة الإسلامية التى لا ينفعها إلا الاجتماع
والاتحاد و لا يضرها إلا الافتراق و الاختلاف .

في الشام

في أول ولاية أمير المؤمنين عثمان بن عفان جمع الشام كله لمعاوية
ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية وفي السنة الثانية من ولاية عثمان غزا
معاوية الروم فبلغ عمورية ووجد الحصون التي بين طرسوس
وأنطاكية خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة
ثم رجع وأغزى الصائفة يزيد بن الحر العبسي ففعل مثل معاوية وفي
هذه السنة أمره أمير المؤمنين أن يغزى حبيب بن مسلمة أرمينية
فوجهه إليها فأتى قاليقلا وحاصرها وضيق على أهلها فطلبوا الصلح
على الجلاء لمن أرادوا والجزية على من أقام فأجابهم وأقام حبيب بها
شهرًا ثم بلغه أن بطريق أرمينيا قس قد جاء إلى حربه في ثمانين ألفاً
فأرسل إلى عثمان بالخبر فبعث إلى الوليد بن عقبة أمير الكوفة أن يمدّه
فأمدّه بسليمان بن ربيعة في ثمانية آلاف كما قدمنا وأجمع حبيب ومن
معه رأيهم على تبييت الروم فسمعت امرأته أم عبد الله بنت يزيد
الكلبية فقالت أين موعدك غداً فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل
منهم مقتلة عظيمة ثم أتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته إليه فكانت
أول امرأة عربية ضرب عليها حجاب سرادق ثم عاد حبيب إلى قاليقلا
ثم سار منها ونزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب الصلح الذي
كتبه لهم عياض بن غنم بالأمان فأجراه عليه ثم سار فلقية صاحب
مكس وهي من السفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار إلى ازدشاط
فحاصرها ثم صالح أهلها ثم أتى إليه بطريق السفرجان فصالحه على

جميع بلاده ثم سار إلى تفليس ففتحها وسار سلمان بن ربيعة إلى أران
ففتح البيلقان صلحا على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان
مد يديهم واشترط عليهم الجزية على الروس والخراج على الأرض
ثم أتى مدينة بردعة فعسكر على الثرثور وهو نهر بينه وبينها فرسخ
فقاتله أهلها أياماً ثم صالحوه وفتح رساتيق البلاد ودعا أكراد
البلاتجان إلى الإسلام فأبوا فقاتلهم وظفر بهم فأقر بعضهم على
الجزية ودفع بعضهم الزكاة وهم قليل ثم سار إلى شمكور ففتحها ثم
خربت بعد ثم عمرت في زمن المتوكل على الله العباسي وسميت المتوكلية
ثم صالح جميع سكان البلاد التي هناك ورجع (وفي) السنة الثامنة
والعشرين فتح معاوية جزيرة قبرص وغزاه معه كثير من كبار الصحابة
فيهم أبو ذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام بنت ملحان
التي أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في أول من يغزو
في البحر (روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام
تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يا رسول الله
قال ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج
هذا البحر ملوكا على الأسيرة أو مثل الملوك على الأسيرة (يشك
أيها قال) قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها
ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك

يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله كمال قال
في الأولى قالت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من
الأولين . وكان معهم أبو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية
كثيراً ما يتمنى غزو الروم في البحر زمن عمر بن الخطاب فلا يأذن له
لأن فيه غرراً بالمسلمين ولما كان زمن عثمان أذن وقال لا تنتخب
الناس ولا تفرع بينهم فمن اختار الغزو طائفاً فاحمله وأعنه ففعل وسار
من الشام إلى قبرص وأمدته والى مصر عبد الله بن سعد بنفسه فاجتمعوا
عليها فصالحهم أهلها على سبعة آلاف كل سنة يؤدون إلى الروم مثلها
لا يمنعهم المسلمون من ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم
من ورائهم وعليهم أن يعلموا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم
ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم وفي هذه الغزوة ماتت
أم حرام بنت ملحان الأنصارية سابقة الذكر ألقته بغاتها بجزيرة
قبرص فماتت (واستعمل) معاوية على غزو البحر عبد الله بن قيس
الجاسي فغزا خمسين غزوة من بين صائفة وريشانية في البر والبحر ولم
يغرق أحد من جيشه ولم ينكب ثم خرج مرة في قارب طليعة فانهى
لرفاً من الروم فنذروا به فجاءوا فقتلوه (وفي السنة الثلاثين شكوا
معاوية أباذر لعثمان وكان مذهب أبي ذر أن المسلم لا ينبغي له أن يكون
في ملكه أكثر من قوت يوم وليلة أو شيء ينفقه في سبيل الله أو يعده
للكريم) مستدلاً بقوله تعالى ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار
جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم

فذوقوا ما كنتم تكذبون ﴿ وبميل إلى هذا المذهب مذهب
الاشتراكيين الآن فكان أبو ذر رحمه الله يقوم بالشام ويقول
يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكتزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من النار تكوي بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم حتى أولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء فشكا
الأغنياء ما يلقونه إلى معاوية فكتب في شأنه إلى عثمان فأرسل إليه
أن سيره إلى فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال بشر
أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكور ولما دخل على عثمان قال
له ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك فأخبره فقال يا أبا ذر علي
أن أفضى ما علي وأن أدعو إلى الاجتهاد والاقتصاد وما علي أن
أجبرهم على الزهد . فقال أبو ذر لا ترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا
المعروف ويحسنوا إلى الجيران والإخوان ويصلوا القرابات ثم
طلب من عثمان أن يأذن له بالخروج من المدينة فإن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمره بذلك إذا بلغ البناء سلعا فسيره إلى الرينة فبنى بها
مسجدا وأقطعه عثمان قطعة من الإبل وأجرى عليه العطاء فأقام
أبو ذر منفردا حتى أدركه الأجل المحتوم

في مصر

كان عامل مصر في أول خلافة عثمان (فاتحها) عمرو بن العاص
وفي السنة الثانية من خلافته كاتب الروم بالقسطنطينية إخوانهم
بالاسكندرية داعين إلى نقض الصلح فأجابوهم إلى ذلك . أما المقوقس

فيكان رجلا شريفا لم يخن عهده فسار إلى الاسكندرية في جمع عظيم من الروم فأر سوا بها . ولما بلغ ذلك عمرا سار إليهم وسار الروم إليه فاقتتل الفريقان بين مصر والاسكندرية حتى انهزم الروم وتبعهم المسلمون حتى أدخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة وهدم عمرو سور المدينة (وفي) هذه السنة سير عمرو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح إلى أطراف أفريقية (سواحلها الشمالية من طرابلس إلى طنجة) غازياً بأمر عثمان ففتح وغنم . ولما عاد استأذن عثمان في الغزو ثانية فأذن له وقال إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس نفلا وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس و عبد الله بن نافع بن الحارث علي جند وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطئوا أرض أفريقية وكانوا في جيش كثير فيه عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم ملك أفريقية على مال يؤدونه ولم يتوغلوا في أفريقية لكثرة أهلها فعاد عبد الله بن سعد إلى مصر فولاه عثمان خراجها وجعل عمرو بن العاص على الجند فلم يتفقا فجمع لابن سعد الخراج والجند وعزل ابن العاص وعند ذلك استشار ابن سعد عثمان في غزو أفريقية والاستكثار لها من الجند فجهز إليه الجيوش من المدينة فسار ابن سعد إلى أفريقية وكان ملكها من قبل الروم واسمه جرجير وملكه من طرابلس إلى طنجة وكان يؤدي إتاوة إلى ملك الروم فلما بلغه خروج المسلمين تجهز لهم والتقى بهم بمكان بينه وبين سببلة عاصمة الملك يوم واحد بعد أن راسله عبد الله يدعوهُ إلى الإسلام أو دفع الجزية فأبى ودام القتال بينهم أياما يقتتلون كل

يوم إلى الظهر ثم يعودون وكان خبر المسلمين قد أبطأ على عثمان فأمدهم
بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير فلما وصلهم أشار علي ابن سعد أن
يقسم الجيش قسمين قسم يقاتل إلى الظهر ثم يخلفه الآخر حتى يه
المشركون فاتبع مشورته وأخرج القسم الأول فحارب إلى الظهر
وأراد المشركون ترك القتال فلم يتمكنهم المسلمون بل استمر القتال
بالقسم الثاني حتى ضعف المشركون وانهمزوا شراً هزيمة وقتل جرير
ملك أفريقية قتله عبد الله بن الزبير وفتحت المدينة (ثم) بث سرايا
فبلغت قفصة ففتحت وغنمت وسير سرية إلى حصن الأجم
فحاصرت ثم فتحته صلحا ثم صالح ابن سعد أهل أفريقية على ألفي
ألف وخمسة آلاف دينار وأرسل إلى عثمان بالبشارة والأخماس
وعاد هو من أفريقية وكان مقامه فيها سنة وثلاثة أشهر ولما وصل
خمس مئتم أفريقية إلى المدينة اشتراه مروان بن الحكم ثم حط عند
عثمان ثمنه وولى علي أفريقية عبد الله بن نافع بن عبد القيس وجعل
ابن سعد على مصر فقط .

القسم الثاني من الكتاب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر الفتن على أمته وكثيرا ما كان يحذرهم منها لأن بأس الأمة متى انتقل من أعدائها إلى أنفسها ساءت حالها وفسد نظامها وصارت إلى الفوضى أقرب منها إلى الإصلاح وقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث في التحذير منها ولكن قدر فكان استكمال الفتح للأمة واستكمال الملك ونزل العرب بالأمصار على حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر وكان المخلصون بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهتدون بهديه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر مثل ذلك من غيرهم وأما سائر العرب من بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم فلم يكونوا من تلك الصحابة بمكان إلا قليلا منهم وكان لهم في الفتوحات قدم فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم وما كانوا فيه من الذهول والدهش لأمر النبوة ونزول الوحي وتنزل الملائكة فلما انحسر ذلك الباب وتوسى الحال بعض الشيء وذل العدو واستفحل الملك كانت عروق الجاهلية تنبض ووجدوا الرياسة عليهم للمجاهدين والأنصار من قريش وسواهم فأنفت نفوسهم ووافق ذلك أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن على ولاته بالأمصار والمواخذة لهم باللحظات والخطرات والتجنى بسؤال

الاستبدال منهم والعزل ويفيضون في النكير على عثمان وكان رأس هذه الفتنة ذلك الرجل اليهودي الذي قدمنا ذكره المسمى عبد الله ابن سبأ . قام بالدعوة لعلي ابن أبي طالب زاعماً أنه وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أظلم ممن لم يجز وصيته فتبع مذهبه كثير من أهل الأهواء الذين لهم قلوب لا يفقهون بها فقال لهم انمضوا في هذا الأمر فإن عثمان أخذه بغير حق فكاتبوا أهل الأمصار فصادفوا من أهلها كثيراً يرون رأيهم حتى فشت المقالة في الطعن على عثمان وولاته فبلغت هذه الأخبار أهل المدينة فسألوا عثمان عن ذلك فقال ما جاءني عن ولاتي إلا السلامة وأنتم شركائي وشهود المؤمنين بأشيروا علي فأشاروا عليه أن يبعث رجلاً إلى الأمصار للتحقق من هذه الأخبار فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبد الله بن عمر إلى الشام وعمار بن ياسر إلى مصر فرجع القوم كلهم وقالوا ما علمنا عن أمرائك إلا خيراً ما عدا عمار بن ياسر فإنه انحاز إليه جماعة من السبئية (أتباع ابن سبأ) وملأوه كلاماً في حق أمراء عثمان ومنعوه عن الرجوع إلى المدينة فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان يخبره فأرسل عثمان إلى سائر الأمصار (إني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم وتدرفع إلى أهل المدينة أن أقوا ما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني أو من عمالي أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين) وبعث إلى عماله أن يوافوا الموسم فقدموا عليه : عبد الله بن عامر أمير البصرة وعبد الله بن سعد أمير مصر ومعاوية بن أبي سفيان أمير الشام فجمعهم

وأدخل عمرو بن العاص السهمي وسعيد بن العاص الأموي وقال لهم ويحكم ما هذه الشكاية والإذاعة إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يعصب هذا إلا بي فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع إليك الخبر عن العوام ألم يرجع رسلك ألم يشافهمهم أحد بشيء والله ما صدقوا ولا يروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً ولا يحل الأخذ بهذه الإشاعة فاستشارهم في تسكين هذه الفتنة فقال ابن عامر أرى أن تشغلهم بالجهاد وقال ابن سعد استصلحهم بالمال وقال معاوية اجعل كفايتهم إلى أمرائهم وأنا أكفيك الشام وقال ابن العاص أرى أنك قد لنت لهم ورضيت عليهم وردتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريق صاحبك فتشدد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين وقال سعيد متى تهلك قادتهم يتفرقوا فقال عثمان قد سمعت كل ما أشرت به ولكل أمر باب يؤتى منه إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن وإن بابه الذي يغلق عليه ليفتح فنكفكفه باللين والمواتاة إلا في حدود الله فإن فتح فلا يكونن لأحد على حجة وقد علم على الله أني لم آل الناس خيراً وأن رحي الفتنة دائرة فطوني لعثمان وإن مات ولم يحر كها، سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا، ثم نفر ونفر الأسراء إلى بلادهم وصحبه معاوية لأن طريقه على المدينة فلما قدماها جمع عثمان كبار الصحابة وقام معاوية فحمد الله ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الأمة لا يطمع فيه أحد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتهم به [۱۳ - إتمام الوفاء]

الهرم لكان قريياعم أنى أرجو أن يكون أكرم على الله من أن يبلغه ذلك وقد فشت مقالة خفتها عليكم فما عتبتم فيها من شيء فهذه يدي ولا تطمعوا الناس فى أمركم فوالله إن طمعوا فيها لا رأيتم منها أبداً إلا إدباراً فنهروه على بن أبى طالب فقال عثمان صدق ابن أخى وأنا أخبركم عنى وعمما وليت إن صاحبى اللذين كانا قبلى ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وأنا فى رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدي فى شيء من ذلك لما أقوم به فيه فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لأمركم تبع فقالوا قد أصبت وأحسننت أعطيت خالد بن أسد خمسين ألفاً ومروان بن الحكم ثمانين ألفاً فأخذ منهما ذلك فراضوا وخرجوا راضين ثم خرج معاوية إلى الشام بعد أن عرض على عثمان الخروج معه فلم يقبل ضمنا بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معاوية ومر فى سيره على نفر من المهاجرين فيهم على وطلحة والزبير فقال قد علمتم أن هذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه حتى أرسل الله نبيه وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك وردة الله إلى غيرهم وإن الله على البذل لقادر وإنى قد خلفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك ثم مضى . أما أهل الأمصار المنحرفون عن عثمان فإنهم لم يرتدعوا عن غيرهم وجاءتهم كتب من المنحرفين بالمدينة يقولون لهم أقدموا علينا فإن الجهاد عندنا فانعد جميعهم شوال يخرجون فيه مظهرين الحج فخرج المصريون

في خمسمائة عليهم الغافقي بن حرب وخرج أهل الكوفة في عدد أهل مصر وكذلك أهل البصرة ولما كانوا على ثلاث ليال من المدينة نزل أهل البصرة خشباً (موضع هناك) ونزل أهل الكوفة الأعوص ومعهم جماعة من أهل مصر ونزل جميعهم بذي المروة وكانت أهواؤهم مختلفة فيمن بلى الخلافة بعد عثمان فالكوفيون يريدون طلحة بن عبيد الله والبصريون الزبير بن العوام والمصريون عليا فاجتمع وفد من أهل كل مصر وذهبوا إلى من هو أهم فيه فأتى أهل مصر عليا فسلموا عليه وعرضوا عليه أمرهم فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قال طلحة والزبير من جاءهم فانصرف الجميع مظهرين الرجوع إلى بلادهم حتى تفرق أهل المدينة ثم لم يشعروا إلا والتكبير في نواحيها وأحيط بدار عثمان ونودي «من كف يده فهو آثم» فلزم الناس بيوتهم واستغربوا رجوع الثوار بعد الإذعان بما طلبوه من إعفائهم من العمال الذين يطلبون عزهم فأتى محمد بن مسلمة المصريين وقال لهم ما الذي أرجعكم بعد ذهابكم فقالوا أخذنا كتاباً من البريد مع خادم عثمان لعامل مصر يأمره فيه بقتلنا ثم سأل البصريين عن مجيئهم فقالوا لنصر إخواننا وكذلك قال الكوفيون فقال كيف علمتم بما أتى أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعت إلينا جميعاً هذا أمر أبرم بليل فقالوا اجعلوه كيف شئتم لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا فأخذوا منهم الكتاب وسألوا عثمان هل هو كاتبه فقال عثمان والله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال علي ومن

معه من كبار الصحابة صدق عثمان فقال المصريون إذا من كتبه فقال
عثمان لا أدري قالوا فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من إبل الصدقة
وينقش على خاتمك ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وأنت
لا تدري قال نعم قالوا ما أنت إلا صادق أو كاذب فإن كنت كاذباً فقد
استحقت الخلع لما أمرت به من قتلنا وإن كنت صادقاً فقد استحقت
الخلع لضعفك عن هذا الأمر ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من
تقطع الأمور دونه فاخلع نفسك قال لا أخلع قيصاً البسنيه الله . ولم
يلهم الله أحداً أن يحقق أمر هذا الكتاب إذ كيف اتحدوا على الرجوع
بعد افتراقهم في طرق مختلفة ؛ أماتهم مروان به فلم تثبت بل حينما
سألوه حلف أنه لم يكتب ولم يجعل الله في دينه القويم دليلاً على تبرئة
المتهم غير يمينه إن لم تكن هناك بيعة ولكن الفتنة متى كشرت عن
نابها ضاع السداد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ ثم قام الثوار
بمحصر أمير المؤمنين وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
المشهود له بالجنة حصاراً شديداً حتى منعه الصلاة في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأرسل عثمان إلى علي وطلحة والزبير فحضروا
فأشرف عليهم فقال أيها الناس اجلسوا فجلس المسلم منهم والمحارب
ثم قال يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة
من بعدى ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أنكم عند مصاب عمر سألتكم
الله أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون إن الله لم يستجب لكم
وهتم عليه وأنتم أهل حقه أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال
من ولي الدين بتفرق أهله يومئذ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة

وإنما كان مكابرة فوكل الله الأمة إذ عصته ولم يشاوروا في الإمارة
أم تقولون إن الله لم يعلم عاقبة أمرى وأنشدكم الله هل تعلمون
أن لي من سابقة خير وقدام خير قدم الله لي بحق علي كل من جاء من
بعدي أن يعرفوا لي فضلها فمهلا لا تقتلوني فإنه لا يحل إلا قتل ثلاث
رجل زنى بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو قتل نفسا بغير حق
فإنكم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم
الاختلاف أبداً فقال الثوار أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد
عمر ثم ولوك فإن كل ما صنع الله خير ولكن الله جعلك بليّة ابتلي
بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد كنت كذلك وكنت أهلاً للولاية ولكن أحدثت
ما علمت ولا نترك إقامة الحق عليك خوف الفتنة عا ما قابلا وأما
قولك إنه لا يحل إلا قتل ثلاثة فإنما نجد في دين الله غير الثلاث الذي
سميت قتل من سعى في الأرض فساداً وقتل من بغى ثم قاتل علي
بغية وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت
ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقدم من نفسك من ظلمت وقد
تمسكت بالإمارة علينا فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليها فإن الذين
قاموا دونك ومنعوك منه إنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة فلو خلعت
نفسك لانصرفوا عن القتال معك فلم يجبهم عثمان ولزم داره وكان
كثير من أهل المدينة أتوا حول داره ليذبوا عنه فأمرهم بالانصراف
فانصرفوا إلا قليلاً منهم الحسن بن علي وابن عباس وابن الزبير ومحمد بن
طلحة وكان عثمان رضى الله عنه يكره جداً أن يحدث قتال بالمدينة في زمنه

فكان يتباعد عنه بقدر ما أمكنه حتى كان ينهى أهل بيته عن تجريد السلاح وكان يطاول الثوار ويكثر لهم من الخطاب ويرسل إليهم على ابن أبي طالب المرة بعد المرة يعدهم بالرضوخ إلى مطالبهم وهم لا يزدجرون بل كلما سد عليهم بابا من أبواب الفتن فتجوا غيره فمنعوا الماء عن خليفة المسلمين فجاءهم علي بالغلس فقال يا أيها الناس إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عنه الماء ولا المادة فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى فقالوا لا والله ولا نعمة عين فانصرف وجاءت أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان مشتملة على إداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت إن وصايا نبي أمية عند هذا الرجل فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلك أموال الأيتام والأرامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل بغلتها بالسيف فنفرت وكادت أم المؤمنين تسقط عنها فتلقاها الناس وذهبوا بها إلى بيتها ثم أشرف عثمان على الناس بعد منع الماء عنه فقال أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت بئر رومة بمالي ليستعذب بها فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعوني أن أشرب حتى أفطر على ماء البحر ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت أرض كذا فزدتها في المسجد قالوا نعم قال فهل علمتم أن أحدا منع فيه الصلاة من قبلي ثم قال أنشدكم الله أن تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عنى كذا وكذا لأشياء عددها في ماثره فأثرت مقالاته في كثير منهم حتى قالوا مهلا عن أمير المؤمنين فصرخ بهم شيطان هذه الفتنة لعله مكر به وبكم فازدادوا عتوا وخرجت أم المؤمنين عائشة حاجة

وقد سئمت المقام بالمدينة مع هذه الفتن وطلبت من ابن أخيها محمد ابن أبي بكر أن يتبعها فأبى لأنه كان من المنحرفين عن عثمان فقال له حنظلة الكاتب تستبعتك أم المؤمنين ولا تتبعها ثم تتبع ذؤبان العرب إلى ما لا يحل وإن هذا الأمر إن صار إلى التغاب غلبك عليه بنو عبد مناف وأمر عثمان عبد الله بن عباس أن يحج بالناس فقال : قتال هؤلاء أحب إلى من الحج فعزم عليه إلا ما أطاع فخرج للحج وكتب معه كتابان يعلم المسلمين أمره ونصه عن الطبري .

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عثمان أمير المؤمنين سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإني أذكركم بالله عز وجل الذي أنعم علينا وعليكم بالإسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر وأراكم البيئات وأوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمته فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلم كفار) وقال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيئات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقال عز وجل وقوله الحق (واذكروا

نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا ﴿
وقال وقوله الحق ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ۝ واعلموا
أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن
الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر
والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ۝ فضلاً من الله ونعمة
والله عليم حكيم ﴿وقال عز وجل ﴿إن الذين يشترون بعهد الله
وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم
الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم ﴿وقال
وقوله الحق ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا
خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿وقال
وقوله الحق ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله
عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ۝ ولا تكونوا كالتى نقضت
غزها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة
هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم
فيه تختلفون ۝ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء
ويهدى من يشاء ولتستثنى عمن كنتم تعملون ۝ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً
بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله
ولكم عذاب عظيم ۝ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير
لكم إن كنتم تعلمون ۝ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزى الذين
صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿وقال وقوله الحق ﴿أطيعوا

الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) وقال وقوله الحق ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال وقوله الحق ﴿ إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية أجراً عظيماً) أما بعد فإن الله عز وجل رضى لكم السمع والطاعة والجماعة وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف ونبأكم ما قد فعله الذين من قبلكم وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه فاقبلوا نصيحة الله عز وجل واحذروا عذابه فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف إلا أن يكون لها رأس يجمعها ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً وسلط عليكم عدوكم ويستحل بعضكم حرم بعض ومتى يفعل ذلك لا يقيم الله سبحانه وتعالى دين وتكونوا شيعاً وقد قال الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) وإني أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه فإن شيعياً صلى الله عليه وسلم قال لقومه ﴿ يا قوم لا يجر منكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط

منكم ببعيد ۞ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ﴿
أما بعد فإن أقواماً آمن كان يقول في هذا الحديث أظهور للناس
أنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ولا يريدون الدنيا
ولا منازعة فيها فلما عرض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتى منهم أخذ
للحق ونازع عنه حتى يعطاه ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر
يريد أن يبتزه بغير الحق طال عليهم عمرى وراث عليهم أم لهم الإمرة
فاستعجلوا القدر وقد كتبوا إليكم أن قد رجعوا بالذي أعطيتهم
ولا أعلم أنى تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئاً ، كانوا زعموا
أنهم يطلبون الحدود فقلت أقيموها على من علمتم أنه تعداها
أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد قالوا كتاب الله يتلى
فقلت فليتله من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب
وقالوا المحروم يرزق والمال يوفى ليستن فيه السنة الحسنة ولا يعتدى
في الخمس ولا في الصدقة ويؤمر ذو القوة والأمانة وترد مظالم
الناس إلى أهلها فرضيت بذلك واصطبرت له وجئت نسوة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حتى كلمتهن فقلت ما تأمرتنى فقلن تؤمر
عمر وبن العاص وعبد الله بن قيس ولا تدع معاوية فإنما أمره أمير
قبلك فإنه مصلح لأرضه راض به جنده واردد عمرأ فإن جنده
راضون به وأمره فليصلح أرضه فبكل ذلك فعلت وإنه اعتدى على
بعد ذلك وعدى على الحق كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في الأمر
واستعجلوا القدر ومنعوا منى الصلاة وحالوا بيني وبين المسجد
وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة كتبت إليكم كتابي هذا وهم يخبرونني

بين ثلاث إما يقيدونني بكل رجل أصبته خطأ أو صواباً غير متروك
منه شيء وإما أعزل الأمر فيؤمرون آخر غيري وإما يرسلون إلى
من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤون من الذي جعل الله
سبحانه وتعالى لي عليهم من السمع والطاعة فقلت لهم أما إقادتني من
نفسى فقد كان من قبلى خلفاء تخطئ وتصيب فلم يستقد أحد منهم وقد
علمت أنما يريدون نفسى وأما أن أتبرأ من الإمارة فإن يكتبونى
أحب إلى من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته وأما قولهم
يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة يتبرءون من طاعتى فليست عليهم
بوكيل ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن
أتوا طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ومن
يكن منكم إنما يبتغى الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز
وجل له ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة
وابتغاء مرضاة الله عز وجل والسنة الحسنة التى استن بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما وإنما يجزى
بذلكم الله وليس بيدي جزاؤكم ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن فى ذلك
ثمن لدينكم ولم يغن عنكم شيئاً فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده فمن يرضى
بالنكث منكم فإنى لأرضاه له ولا يرضى الله سبحانه وتعالى أن تنكثوا
عهده وأما الذى يخبروننى فإنما كله النزع والتأمير فليكت نفسى
ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه وكرهت سنة السوء
وشقاق الأمة وسفك الدماء فإنى أنشدكم الله والإسلام ألا
تأخذوا إلا الحق وتعطوه منى وترك البغى على أهله وخذوا بيننا

بالعدل كما أمركم الله عز وجل فإني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل
عليكم العهد والمؤازرة في أمر الله فإن الله سبحانه قال وقوله الحق
(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) فإن هذه معذرة إلى ربكم
ولعلمكم تذكرون . أما بعد فإني لا أرى نفسي إن النفس لأمارة بالسوء
إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم وإن عاقبت أقواما فما أبتغي بذلك
إلا الخير وإني أتوب إلى الله عز وجل من كل ما عملته وأستغفره إنه
لا يغفر الذنوب إلا هو إن رحمة ربي وسعت كل شيء إنه لا يقنط من
رحمة الله إلا القوم الضالون وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات ويعلم ما تفعلون وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم
وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير ويكره إليها الفسق والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون . فقرأه عليهم ابن
عباس يوم التروية . أما الثوار فمنعوا الناس عن مخالطة عثمان ومكالمته
ولما خافوا أن يطول عليهم الأمر فماتتهم جنود الأماصار قصدوا الباب
فقاتلهم جمع من أولاد الصحابة ولكن أنى يعملون وقد جاءهم ما لا قبل
لهم به ؟ وأشار عثمان على من قاتل أن يكف وهو في حل من نصرته
فأحرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله ما رأى عن
تلاوته ثم قال لمن عنده بالدار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
عهد إلى عهداً فأنا صابر عليه ولم يحرقوا الباب إلا وهم يريدون أعظم
منه وأمرهم بالانصراف ثم قال للحسن بن علي إن أباك انى شغل
عظيم من أمرك فأقسمت عليك لما خرجت إليه فلم يسمعوا قوله
وقاتلوا دونه ولكن أنى لهم ذلك وهم في قلة والعدو كثير ؟ فقتل بعضهم

وجرح بعض ونجا آخرون ثم تسور بعض الثوار دار بني حزم
المجاورة لدار عثمان ودخلوا عليه فمال قائل اخلعها وندعك فقال
عثمان ويحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنيت
ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتى منذ بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولست خالعا قميصا كسانيه الله حتى يكرم الله
أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة فخرج الرجل ولم يصنع شيئا ثم
جاء آخر فقال له كما قال للأول فرجع فجاءهم عبد الله بن سلام وقال
لهم يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم فوالله إن سلتموه لا تغمدوه
ويديكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرّة فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف
ويديكم إن مدينتكم محفوفة بالملائكة فإن قتلتموه لتتركنها فشتتموه ثم
دخل على عثمان الذين كتب عليهم الشقاوة فقتلوا هذه النفس الزكية ظلما
وعدوانا في الشهر الحرام والبلد الحرام لثمان عشرة خلت من ذى الحجة
سنة خمس وثلاثين وهذا هو التاريخ المشعوم الذي كان فيه فتح الشر
والشقاق بين المسلمين وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وهذا أمر
خولف فيه الشرع جهارا في عاصمة الخلافة الإسلامية ومهبط الوحي
النبوي شقوا عصا طاعة الإمام الذي انتخب انتخبا شرعيا وأقر
عليه أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عهد إليهم
بذلك عمر بن الخطاب ولم يكن ثم ما يوجب الخروج عليه إذ لا يوجب
إلا الكفر البواح كما هو نص حديث عبادة بن الصامت المتقدم ولم
يقل بذلك أحد منهم في حق عثمان ولا حكم به قاض مستندا إلى

كتاب أو سنة وكل ما نقموه عليه أمور لا حرج على الإمام في فعلها
منها تولية أقربه وليس في هذا أدنى عيب لأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولي عليا وهو ابن عمه وإذا كانت تولية القريب عيبا لنهى
عنها عليه السلام ولم يفعلها ومع كل ذلك فالإسلام سوى بين الناس
لا قريب عنه ولا بعيد فالأمر موكل لرأى الإمام الذى ألقى إليه
مقاليد الأمة فإن ولي من حاد عن الدين شكونا إليه فإن لم يقبل
صبرنا كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن شق عصا
الجماعة من مصائب الأمم التى تسرع إليها بالخراب وليس فى الشرع
مبيح خلع الإمام إلا كفره الصراح (ومما) نقموه على عثمان إخراج
أباذر إلى الربذة وقد قدمنا لك سبب إخراجها لأن مذهبه الذى كان
يدعو إليه ليس مقبولا ويمكن أن يحدث منه قيام الفقراء ضد
الأغنياء فيحدث ما لا يحمد (ومن) ذلك زيادة النداء الثالث على الزوراء
يوم الجمعة وهذا إنما فعله لكثرة المسلمين وانتشارهم فى أنحاء المدينة
مما لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن) ذلك إتمامه
الصلاة فى منى وعرفة وكان الأمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخليفين من بعده على القصر ولما سأله عبد الرحمن بن عوف
عن ذلك أبدى سبباً واضحاً فقال بلغنى أن بعض حاج اليمن والجفافة جعل
صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتى وقد اتخذت بمكة أهلاً ولى بالطائف
مال وهو عذر له رضى الله عنه وإن لم يقبله عبد الرحمن (ومن) ذلك
سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يده فى بئر أريس وعدم لقيه
(ومن) ذلك تنازله لمروان بن الحكم عن ثمن خمس مغانم أفريقية

ولم يمنع الشرع الإمام أن ينقل من شاء من المسلمين ما لم ينقل غيره
فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد كان
ينقل بعض من يبعث من سرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة
الجيش وكان عليه الصلاة والسلام يسهم أحيانا لبعض من لم يحضر
الغزوة كما أسهم لبعض المتخلفين عن بدر ولما قدموا عليه يوم خيبر
من مهاجرة الحبشة والدوسيين، فإذا نظرت رعاك الله لهذه الأمور
التي تقومها على عثمان رضى الله عنه لم تر منها شيئا يشينه ولم يخرج في
شيء منها عن حدود الشرع ولكن أولئك قوم بطروا فطلبوا
لأنفسهم ما ليس لهم فحق عليهم العذاب قال تعالى ﴿ واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾
وقد عاقب سبحانه فأبلغ العقوبة. نسأله سبحانه أن يرفع عنا مقتته
وغضبه ويوفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه .

فهرقة على

ظل المسلمون حيارى بعد قتل الخليفة المظلوم لا يجدون لهم ملجأ
كانهم فوضى ولم يكن أمامهم من يصاح للخلافة بعد عثمان إلا على
ابن أبي طالب فذهب إليه معظمهم يطالبون منه أن بلى الخلافة فقدر
المستقبل حق قدره وعلم أنه إنما يستقبل فتنة سائرة لا مرد لها فقال
لهم التمسوا غيرى فإنما مستقبلون أمرأله وجوه وله ألوان لا تقوم به
القلوب ولا تثبت عليه العقول فناشدوه الله والدين فقال قد أجبتمكم
واعلموا أنى إن أجبتمكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتموني فإنما أنا
كأحدكم إلا أنى من أطوعكم وأسمعكم لمن وليتموه فأبوا إلا إياه ثم
رأوا أن هذا الأمر لا يتم إلا بمبايعة الزبير وطلحة فذهب إليهما جماعة
وأتوا بهما فبايعاه قيل كرهاً وقيل إن الزبير لم يبايع أصلاً ثم قام
الناس فبايعوه وتخلف عن بيعته جمع من أكابر الصحابة في المدينة
كسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبدالله بن عمر وأسامة بن زيد
والمغيرة بن شعبة وعبدالله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبي سعيد
الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان
ابن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وغيرهم من أكابر الصحابة
في الأمصار (مقدمة ابن خلدون) ولما رأى على أن بيعته تمت قام
نخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس إن الله أنزل
كتاباً هادياً يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض

الفرائض أدرها إن الله تعالى يؤدكم إلى الجنة إن الله حرم حرمات
غير مجهولة وفضل حرمة المسلمين على الحرم كلها وشد بالإخلاص
والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
إلا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم إلا بما يجب بأمر العامة وخاصة
أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإنما خلفكم الساعة يحدوكم تخففوا
تلحقوا فإنما ينتظر بالناس أخراهم اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده
إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه
وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا إذ أنتم
قليل مستضعفون في الأرض) ثم نزل .

ترجمة علي

هو علي ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم
ابن عبد مناف ولد رضي الله عنه في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عليه السلام كان علي دون
البلوغ وكان مقيما معه في منزله يطعمه ويسقيه لفاقة لحقت بأبيه فاهتدى
بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة
الأوثان وغيرها ولما هاجر عليه السلام من مكة إلى المدينة فداه علي
بنفسه ونام علي فراشه ليظن المحاصرون أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يزل نائما فلا يتبعونه ثم لحقه بعد قليل وشهد مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم غزواته كلها إلا غزوة تبوك فإنه
[١٤ - إتمام الوفاء]

خلفه في أهل بيته وقال له أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى وكان له القدم الثابت في جميع الغزوات فهو أول المبارزين يوم بدر ومن ثبت يوم أحد وحنين وعلى يديه فتحت خيبر وزوجه عليه السلام بنته فاطمة في السنة الثانية من الهجرة فجاء منها بالحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وناب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة أوائل التوبة في موسم الحج إذا نابراه الله ورسوله من المشركين. ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع أبو بكر بايعه على مع أنه كان يرى له حقا في الخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كان يكره الخلاف ولذلك كان محمد بن سيرين التابعي يكذب كل ما نسب لعلي من الأقوال التي فيها حط من مقام الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما روى ذلك البخاري في صحيحه. ولما ولي عمر بايعه كذلك وزوجه بنته أم كلثوم وكثيرا ما كان عمر يستخلفه على المدينة إذا غاب عنها. ولما بويع عثمان بايعه كذلك حتى كان آخر خلافته وقام عليه الثوار وشنعوا عليه بتولية أقاربه وكان على كثير من محض له النصيح ويرشده إلى ما فيه النجاح والفلاح فلما حل القضاء المبرم واستشهد عثمان أقبل عليه المسلمون وبايعوه بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فقام بهارضى الله عنه ما يقارب خمس سنين لم يصف له فيها يوم وكان أمر الله قدرا مقدورا. كان رضى الله عنه آدم شديدا الأدمة ثقيل العينين عظيمهما إذا بطن أصابع عظيم اللحية كثير شعر الصدر هو إلى القصر أقرب وكان ضخمة عضلة الذراع دقيق مستدقها

ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجها
ولا يغير شبيهه كثير التبسم وله من الأولاد غير من ذكرناهم العباس
وجعفر وعبد الله وعثمان وعبيد الله وأبو بكر ومحمد الأصغر ويحيى
وعمر ورقية ومحمد الأوسط ومحمد الأكبر الشهير بابن الحنفية
وأم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وأم هانئ وميمونة
وزينب الصغرى ورملة الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة
وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة من أمهات شتى
وأعقب من هؤلاء الحسنان ومحمد الأكبر وعباس وعمر .

أعمال علي

أول إمارته بعث عمالا على الأمصار غير جميع عمال عثمان
فبعث على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري بدل عبد الله بن عامر
وعلى الكوفة عمار بن شهاب بدل أبي موسى الأشعري وعلي اليمن
عبيد الله بن عباس بدل يعلى بن منية وعلي مصر قيس بن سعد بن
عبادة بدل عبد الله بن سعد وعلي الشام سهل بن حنيف بدل معاوية
ابن أبي سفيان وأمر كلا بالتوجه إلى عمله فأما عثمان بن حنيف فتوجه
إلى البصرة ولم يردده عنها أحد ولم يعارضه ابن عامر وأما عمار بن
شهاب فقابلته وهو قريب من الكوفة طليحة بن خويلد الأسدي
فقال له ارجع فإن القوم لا يريدون بأمرهم بدلا فرجع إلى علي
وأما عبيد الله بن عباس فلما قارب اليمن خرج منها يعلى بن منية وأخذ
كثيرا من الأموال وذهب إلى مكة فدخل عبيد الله اليمن غير معارض

وأما قيس بن سعد فلما وصل مصر اوترق أهلها عليه ففرقة دخلت
في الجماعة وفرقة اعتزلت بخربتنا وقالوا لا نكون مع علي إلا إن
قتل قتلة عثمان وفرقة قالوا نحن مع علي إلا إن قاد من إخواننا
فكتب قيس إلى علي بذلك وأما سهل بن حنيف فلما وصل تبوك
قابلته خيل عليها رجال من أهل الشام فردوه وامتنع معاوية من بيعة
علي واحتج علي خلافته لأنه ظن فيه الهوادة في نصرة عثمان علي
قاتليه ومعاوية يرى لنفسه حقا عظيما في القصاص من قتلة عثمان لأنه
وليه والله تعالى يقول ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
فلا يسرف في القتل ﴾ ولم يبر في الامتناع عن البيعة خروجاً على الإمام
لأنه رأى أن بيعة علي لم تنعقد حيث لم تكن بإجماع ذوى الحل والعقد
كما قدمنا فأرسل إليه رجلا بطوما ليس فيه شيء من الكتابة وعنوانه
من معاوية إلى علي ابن أبي طالب وأمره إذا قدم المدينة أن يرفعه ليعلم
الناس أنه مخالف ففعل الرجل ما أمر به فلما علم أهل المدينة بذلك أحبوا
أن يعلموا رأى علي في هذه المشكاة أيقاتل معاوية أم يحذر ذلك فدرسوا
إليه زياد بن حنظلة وكان منقطعا إليه فقال له علي يا زياد تيسر قال
لأى شيء قال لغزو الشام فقال زياد الأناة والرفق أمثل وأنشد :
ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنهم
وقال علي :

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم
نخرج زياد فقالوا له ما وراءك قال السيف وقد عد علي خلاف معاوية
بغيا وخروجاً عن طاعته لأنه رأى أن بيعته انعقدت بمن بايع فلزمت

من لم يبايع وأرسل إلى أهل الأمصار يستنفرهم لقتال معاوية وكان
الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله قد خرجا يريدان العمرة وكان
على يتجهز إذ جاءه خبر لم يكن في حسابه وهو خلاف طلحة والزبير
وأم المؤمنين عائشة وأنهم قصدوا البصرة وسبب ذلك أن أم المؤمنين
لما قضت حجها بلغها وهي عائدة قتل عثمان وخلافة علي فقالت قتل
عثمان والله مظلوماً والله لأطلبن بدمه فرجعت إلى مكة وخطبت
الناس فقالت (أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه
وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس
ونقموا عليه استعمال من حدثت سنة وقد استعمل أمثالهم قبله
ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزل لهم عنها فلما لم يجدوا حجة
ولا غدرأ بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد
الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لأصبع من عثمان
خير من طباق الأرض أمثالهم ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه
ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذا
ماصوه (غسلوه) كما يماص الثوب بالماء وتبعها في رأيها عبد الله
ابن الحضرمي عامل مكة ومن هرب من بني أمية من المدينة وقدم
عليهم عبد الله بن عامر من البصرة ويعلى بن منية من الكوفة وتبعها
أيضاً الزبير وطلحة وكان كثير من الصحابة يرون أن أول الواجبات
على المسلمين في هذا الوقت هو تتبع قتلة عثمان والقصاص منهم إقامة
لحد الله ورأوا أنه لا يصلح تأخيرهما مهما نتج منه فكان إقامة هذا
الحد في عنق كل مسلم وهو ملزم بالقيام بما يوصل إليه ولم ير الزبير

ولا طلحة هذا خروجاً على الإمام لأن بيعة علي لم تنعقد حسبما اجتهدا
لأن كثيراً من الصحابة في المدينة وغيرها لم يبايعوا أما بيعتهما فكانت
كرهاً والسيف على أعناقها وهذا على رأيهما لا تجب به طاعة
فاستقام رأيهم على قصد البصرة ودعوا عبد الله بن عمر للخروج
معهم فأبى وسار مع أم المؤمنين عائشة جمع وكان يصلي بالناس
عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ولما قاربوا البصرة أرسلت عائشة
عبد الله بن عامر ليعرف أهلها بقدمها، ففعل؛ أما عثمان بن حنيف
أمير البصرة فإنه بعث إلى أم المؤمنين عمران بن حصين وأبا الأسود
الدؤلي ليسألاها عن سبب قدمها فلما وصلها قالا إن أميرنا بعثنا
إليك نسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت ما مثلي يغطي لبنيه
الخبر إن الغوغاء وأهل القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين
بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانهبوا المال
الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين
أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه ورائنا وما ينبغي لهم من إصلاح
هذه القصة وقرأت ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة
أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ فتركها وأتيا الزبير وقالوا
ما أتد، كما قالا الطلب بدم عثمان فقالا ألم تبايعا علياً قالا
والسيف على أعناقنا وما نستقبله البيعة إن هو لم يحل بيننا وبين
قتلة عثمان فرجع عمران وأبو الأسود إلى ابن حنيف وأخبراه الخبر

فصمم على منع البصرة حتى يحضر على ثم أراد أن يعلم هل أحد في
البصرة يمالي طلحة والزبير فدرس رجلا إلى الناس فقال أيها الناس
أنا فلان إن هؤلاء القوم إن كانوا جاءوا خائفين فقد جاءوا من بلد
يأمن فيه الطير وإن كانوا جاءوا يطلبون قتلة عثمان فما نحن قتلته
فأطيعوني وردوهم من حيث جاءوا فقام إليه أحد زعماء البصرة
وقال إن زعموا أنا قتلة عثمان، إنما جاءوا يستعينون بنا على قتلة عثمان
منا ومن غيرنا فعرف ابن حنيف أن لطلحة والزبير أنصارا بالبصرة
فخرج بمن معه حتى نزل ميسرة المربد وأقبلت أم المؤمنين فنزلت ميمينته
وخطبت الناس وكانت جهورية الصوت فحمدت الله تعالى ثم قالت :
إن الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتونا بالمدينة
فيستشيروننا فيما نخبروننا عنهم فننظر في ذلك فنجده برياً تقياً وفيما
ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون فلما قوا
كأروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام
والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر إلا أن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره
أخذ قتلة عثمان وإقامة كتاب الله ثم قرأت : ﴿ ألم تر إلى الذين أتوا
نصيها من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق
منهم وهم معرضون ﴾ فتبعها جمع من أصحاب عثمان وأقبل عليها جارية
ابن قدامة السعدي وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من
خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح إنه قد كان لك من
الله ستره وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك
يرى قتلك إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى بيتك وإن كنت أتيتنا

مكرهة فاستعيني بالناس ثم أقبل عاينها حكيم بن جبلة من فرسان البصرة
ومعه جمع فقاتل من معها فأمرتهم بالكف والمدافعة فلم ينته حكيم
فأمرت أن يأتي الجيش مقبرة بني مازن في الجهة اليمنى وحجز الليل
بين الفريقين فلما كان الصباح خرج حكيم يقدم جيشه وقاتل إلى
قريب المساء فلما مسهم حر السلاح تنادوا إلى الصلح حتى برسلوا إلى
المدينة من يعلم لهم أكانتبيعة طلحة والزبير طوعا أم كرها فإن ثبت
أنها أكرها ترك ابن حنيف البصرة وإن لم يكونا أكرها رجع الزبير
وطالحة فأرسلوا لذلك كعب بن سور قاضي البصرة فلما قدم المدينة
قال يا أهل المدينة أنا رسول أهل البصرة إليكم أسألكم أأكره طلحة
والزبير على البيعة أم أتياها طائعين فأجاب أسامة بن زيد بأنهما أكرها
فلقى أسامة من والى المدينة سهل بن حنيف أخى عثمان بن حنيف
إهانة وبلغ هذا الخبر عليا فأرسل عثمان بن حنيف يقول له والله
ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان
الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرنا فقدم كعب
ابن سور ووافق قدومه وصول كتاب علي فأخبر كعب يا كراه الزبير
وطالحة على البيعة فطلبنا من ابن حنيف أن يخرج من البصرة فامتنع
محتجا بكتاب علي فبيته القوم ذات ليلة واستولوا على البصرة وجعلوا
على بيت المال عبدالرحمن بن أبي بكر وحبسوا ابن حنيف فبلغ ذلك
حكيم بن جبلة فأقبل برجاله يريد نصره وكلم عبدالله بن الزبير طالبا
منه أن يخلى سبيل عثمان ويجلس في بيت الإمارة حتى يأتي علي فأبى
عليه ذلك فتقدم حكيم وقاتلهم حتى قتل كثير من معه وهرب بقيتهم

فجاء الزبير وطلحة بمن غزا المدينة منهم فقتلوا إلا حرقوص بن زهير
فإن عشيرته منعتهم وكانت هذه الواقعة لخمس بقين مع ربيع الآخر
سنة ست وثلاثين وأقامت بعدها أم المؤمنين ومن معها بالبصرة .
أما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإنه لما بلغه وهو بالمدينة مسير
عائشة وقد عي جيشه إلى الشام دعا وجوه أهل المدينة وقار لهم إن
آخر هذا الأمر لا يصاح إلا بما صالح به أوله فانصر والله ينصركم
ويصلح إياكم أمركم فانتدب معه ناس وثقل آخرون فخرج من المدينة وهو
يرجو أن يلحق الزبير وطلحة قبل أن يصل البصرة واستخلف علي
المدينة سهل بن حنيف فلما وصل الربذة أتاه خبر سبقهم فأقام بها
وأرسل محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس وكتب
معهم كتابا إلى أهل الكوفة هذه صورته : إني اخترتكم علي
الأمصار وفزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أنصارا وأعوانا
وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا وكان من
رأى أبي موسى الأشعري أمير الكوفة قعود الناس عن هذه الفتن
فلما سأله أهل الكوفة عن الخروج إلى علي والقتال معه قال إنما هما
أمران القعود في سبيل الآخرة والخروج في سبيل الدنيا فلم يخرج
مع ابن أبي بكر وابن جعفر أحد فأغظا لأبي موسى فقال لهما والله
إن بيعة عثمان لفي عنق و عنق صاحبكما فإن لم يكن بد من القتال فلا
نقاتل أحدا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فرجعا إلى علي
بالخبر فلقياه بذي قار فأرسل بهما مالك بن الحارث الأشتر وعبدالله
ابن عباس فلما قدما الكوفة كليهما أبا موسى واستعاننا عليه بنفر من

أهلها فقام وخطب الناس وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال وأيها
الناس إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه أعلم بالله
ورسوله ممن لم يصحبه وإن لكم علينا لحقا وأنا مؤد إليكم نصيحة
كان الرأى أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترثوا على الله وأن
تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا فهم أعلم
بمن تصلح له الإمامة وهذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان
واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من
الراكب والراكب خير من الساعي فكونوا جربومة من جرائم
العرب فأغمدوا السيوف وأنصلوا الأسنة وقطعوا الأوتار وآووا
المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة، فرجع
ابن عباس والأشتر إلى علي بالخبر فأرسل الحسن بن علي وعمار بن
ياسر فأقبلا حتى دخلا المسجد فقبل الحسن لأبي موسى لم تثبط الناس
عنا فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على
شيء فقال صدقت بأبي أنت وأمي ولكن المستشار مؤتمن سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنها ستكون فتنة القاعد فيها
خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب،
وقد جعلنا الله إخوانا وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا فكثير الجدال
بين الناس فمن محرض على الخروج مع أمير المؤمنين ومن مشبط عنه
فقام القعقاع بن عمرو وقال يا أهل الكوفة إني لكم ناصح وعليكم
شفيق أحب إليكم أن ترشدوا ولا قولن قولاً هو الحق أما ما قال
الأمير (أبو موسى) فهو الحق ولكن لا سبيل إليه إنه لا بد من إماراة

تنظم الناس وتزع الظالم وتعز المظلوم وهذا أمير المؤمنين ولي بما
ولى وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح فانفروا
وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع وقال سيحان بن صوحان من
زعماء الكوفة أيها الناس إنه لا بد لهذا الأمر وهو لاء الناس من وال
يدفع الظالم ويعزم المظلوم ويجمع الناس وهذا واليكم يدعوكم لتنظروا
فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الأمة الفقيه في الدين فمن
نهض إليه فإنا سائرون معه وقال الحسن بن علي أجيبوا دعوة أميركم
وسيروا إلى إخوانكم فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه والله لأن
يدعيه أو لو النهى أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة فأجيبوا
دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتكم وإن أمير المؤمنين يقول قد
خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً وإنى أذكر الله رجلاً رعى حق
الله إلا نفر فمن وجدني مظلوماً أعانني ومن وجدني ظالماً أخذ مني
والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني وأول من غدر فهل استأثرت
بمال أو بدلت حكماً فانفروا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فأثر
فيهم هذا القول ورضوا بالخروج فنفر معه قريب من تسعة آلاف
ثلثهم في نهر الفرات والباقيون ركبانا معه فلما التقوا بأمر المؤمنين
رحب بهم وقال لهم (يا أهل الكوفة أنتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم
جموعهم حتى صارت إليكم موارثهم فمنعتم حوزتكم وأعنتم الناس
على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة
فإن يرجعوا فذاك الذي نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدأوا
بظلم ولم ندع أمراً فيه إصلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله)

ثم ندب القعقاع بن عمرو وليكون بينه وبين طلحة والزبير وقال له
اذهب فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ثم قال له
كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس فيه وصاة قال نلقاهم بالذي
أمرت به إن جاء منهم ما ليس عندنا فيه منك رأى اجتهدنا رأينا
وكلمناهم كما نسمع ونرى أنه ينبغي قال أنت لها فقدم القعقاع البصرة
وبدأ بأهله المؤمنين فقال لها أي أمة ما أقدمك هذه البلدة قالت أي
بنى : الإصلاح بين الناس قال فابعتي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي
كلامي وكلامهما فبعثت إليهما فحضرا فقال القعقاع إني سألت أم
المؤمنين ما أقدمها فقالت الإصلاح بين الناس فما تقولان أنتما ؟ متابعان
أم مخالفان ؟ قال بل متابعان قال فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح
فوالله إن عرفناه لنصلحن وإن أنكرناه لا يصلح قال قتله عثمان فإن
هذا الأمر إن ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلتم قتلة عثمان من أهل
البصرة وأنتما قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم يوم قتلتم ستائة
رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم
حرقوص بن زهير فمعه منكم ستة آلاف فإن تركتموهم كنتم تاركين
لما تقولون وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فاديلوا عليكم فالذي حذرتم
وقويتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون وإن أنتم منعمت مضر
وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصره لهؤلاء
كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير . قالت
أم المؤمنين فماذا تقول أنت ؟ قال أقول : إن هذا الأمر دواؤه التسكين
فإن سكن اختلجوا فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة

ودرك بشار وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كان
علامة شر فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم
ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا وإياكم، وإيم الله إني لأقول
هذا القول وأدعوكم إليه وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته
من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل فإن هذا الأمر الذي
حدث ليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة
الرجل قالوا قد أصبت وأحسننت فإن رجعت وهو على مثل رأيك
صلح الأمر فرجع إلى علي وأخبره الخبر فأعجبه ذلك وأشرف القوم
على الصلح وأقبلت وفود أهل البصرة على إخوانهم من أهل الكوفة
لينظروا ما رأى إخوانهم فوجدوا الجميع متفقين على الصلح ولا
يخطر لهم قتال إخوانهم ببال فرجعوا إلى البصرة وأخبروا من بها
بهذا الخبر السار وقام علي خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر شقاوة
الجاهلية وسعادة الإسلام وإنعام الله على الأمة بالجماعة على الخليفة
من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذي يليه ثم الذي يليه
حدث هذا الحدث الذي جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا،
حسدوا من أفاءها الله عليه وأرادوا رد الإسلام والأشياء على
أدبارها والله بالغ أمره، ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ولا يرتحلن
أحد أعان علي عثمان بشيء من أمور الناس وليعن السفهاء على أنفسهم
فلما سمع السبئية (أصحاب ابن سبأ) مقالة علي سقط في أيديهم
ورأوا أن ضرر هذا الصلح إنما يعود عليهم لأنه إن تم كان علي
قتلهم وتشاوروا فيما يفعلون لمنع هذا الصلح فقال لهم رئيسهم الضال

والدخيل في الإسلام يا قوم إن عزمكم في خلطة الناس فإذا التقى الناس
غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فمن أنتم معه لا يجد بدأ من
أن يمتنع ويشغل الله علياً والزبير وطلحة ومن رأى رأيهم عما تكرر هون
فأجمعوا على رأيه ولا يشعر الناس بذلك فلما أصبحوا سار على وسار
إليه طلحة والزبير فالتقى الجيشان خارج البصرة فسأل علياً بعض
أصحابه عما سيفعله فقال له الإصلاح وإطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل
هذه الأمة ويضع حربهم قال فإن لم يجيبوا قال تركناهم ما تركونا قال
فإن لم يتركونا قال دفعنا عن أنفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذي
عليهم قال نعم، وقام إليه آخر فقال أترى لهؤلاء القوم من حجة
في هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال أفترى لك حجة
بتأخير ذلك؟ قال نعم قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال إني
لا أرجو ألا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الجنة ثم قال:
(أيها الناس أملكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم أن تسبقونا
فإن المخصوم غداً من خصم اليوم) ثم أرسل إلى طلحة والزبير إن
كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى تنزل وتنظر في هذا الأمر
فأجابا (ثم) خرج الزبير على فرسه بين الجيشين فقبل لعل هذا الزبير
فقال أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر وخرج طلحة
أيضاً فخرج إليهما على حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال لعمرى لقد
أعددتما سلاحاً ورجالا إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا
الله ولا تكونا كالتى نقضت غزها من بعد أن كاثا ألم أكن
أخا كما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما فهل من حدث أحل

لجادمي؟ فقال طلحة. ألبت على عثمان، فلعن علي قنلة عثمان ثم قال
أما بايعتني؟ قال بايعتك والسيف على عنقي ثم ذكر الزبير بأشياء
كثيرة يلين بها قلبه وقال أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بني غنم فنظر إلى فضحك وضحكت إليه فقلت له لا يدع
ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
بمزه لتقاتلنه وأنت ظالم له فرجع الزبير وهو حالف أنه لا يقاتل
عليها وخصوصاً حينما علم أن عمار بن ياسر مع علي وقد قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية فكأنه قد شعر
بأنه أخطأ في اجتهاده لأنه يعمل لله ومتى كان العمل لله كان الرجوع
إلى الحق أقرب والهداية إلى الصواب أسهل، فرجع كل منهم إلى قومه
والجميع لا يشكون في الصالح وباتوا بأهناً ليلة للعاقبة التي أشرفوا
عليها وهنا رأى السبئية قاتلهم الله أن الوقت قد حان لتنفيذ ما ربههم
نخر جوف الغلس من غير أن يشعر بهم أحد وقصدهم مضرهم مضر البصرة
وربيعتهم ربيعة البصرة ويمنهم يمن البصرة ووضعوا فيهم السلاح
فثار كل قوم في وجوه أصحابهم وسأل طلحة والزبير عن الخبر فقيل
لها طرقتنا أهل الكوفة ليلاً فقال قد علمنا أن علياً غير منته حتى
يسفك الدماء وإنه إن يطاوعنا وسأل علي عن الخبر وكان السبئية
قد وضعوا عنده رجلاً يخبره إذا سأل فقال له ما شعرنا إلا وثورم
منهم بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رحل فركبوا وثار الناس
فقال علي لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء
وأنهما إن يطاوعانا ثم نادى في الناس أن كفوا وكان من رأى الجميع

في تلك الفتنة أن لا يبدأوا بقتال يطلبون بذلك الحجّة وألا يقتلوا
مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلباً ولا يرزؤا بالبصرة
سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً فجاء كعب بن سور قاضي البصرة إلى
أم المؤمنين وقال لها أدركي الناس قد آبى القوم إلا القتال لعل الله أن
يصلح بك فركبت بعد أن ألبسوا هودجها الأذراع ثم سارت ووقفت
بحيث تسمع ضوضاء القتال أما الزبير فإنه ترك القوم يقتتلون ورجع
فتبعه رجل يعرف بابن جرموز وقتله غدرأ وهو يصلي بوادي السباع
ولم يقاتل جيش البصرة إلا قليلاً ثم هزم فمروا في هزيمتهم على
أم المؤمنين راكبة هودجها فأطافوا بحملها وقالت هي لكعب بن سور
تقدم إلى هؤلاء القوم بالمصحف وادعهم إلى كتاب الله فرماه بعض
السبئية بسهم قتله ورموا هودج أم المؤمنين بالنبل فجعلت تنادي
البقية البقية يا بني . الله اذكروا الله والحساب ولا يابون إلا إذا ما
فخرضت جيش البصرة على القتال حينئذ أت أهل الكوفة يريدون
هودجها وهنا كانت حميتهم العظمى لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكن هنا محيص عن القتال لأنه كالسيل إذا أتى لا يردو وأمسك بخظام
الجمال كثير من أرباب الشجاعة من قريش وغيرهم فقتل دونه نحو
السبعين من قريش وعدد عظيم من غيرهم وممن قتل دونه محمد بن طلحة
وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد واشتد أهل الكوفة على الجمال لأنهم
رأوا أن البصريين لا ينهزمون ما دام واقفا فرماه كثير منهم وكل من
رماه قتل فلما رأى على شدة الأمر وكثرة القتلى من المسلمين قال
اعقروا الجمال فإنه إن عقر تفرقوا عنه والذي دعا إلى هذا الأمر

الحذر على أم المؤمنين أن تصاب من كثرة النبل الذي سدد لهودجها
فقطعوا ساق الجمل ثم اجتمع القعقاع بن عمرو وزفر بن الحارث على
قطع بطان الجمل وحمل الهودج وإنه مثل القنفذ من كثرة السهام وعند
ذلك انهزم أهل البصرة فنادى منادى على الألاتبوعوا مدبراً ولا تجهزوا
على جريح ولا تدخلوا دوراً وأمر بحمل الهودج من بين القتلى وأمر
محمد بن أبي بكر أن يضرب عليه قبة وقال أنظر هل وصل إليها
شيء من جراحة فوجدها بحمد الله سليمة لم تصب بشيء ثم جاءها
على فقال كيف أنت يا أمه قالت بخير يغفر الله لك قال ولك
وظهرت آثار الكدر على أمير المؤمنين من هذا الحادث الجلل الذي
لم يكن له فيه مأرب وكذلك على السيدة أم المؤمنين فإنها كانت تود
الصلح ولم يجر ما جرى إلا رغماً عن الجميع وكان على يتمثل بعد
انتهاء الواقعة بقول الشاعر :

إليك أشكو عجري وبجري ومعشر نفسي على بصرى
قتلت منهم مضرى بمضرى شفيت نفسي وقتلت معشرى

ثم أمر أن تنزل أم المؤمنين في دار خلف بن عبد الله الخزاعي
على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن
عبد الدار وأذن في دفن القتلى ثم أطاف عليهم فلما رأى كعب
ابن سور قال زعمتم أنه خرج معهم السفهاء وهذا قد ترون ولما
أتى على طلحة قال لهني عليك أبا محمد إن الله وإنا إليه راجعون والله
لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى وأنت والله كما قال الشاعر :
فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى على القتلى من أهل البصرة وأهل الكوفة وبعث ما كان في العسكر من الأسلاب إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه إلا سلاحا في الخزائن عليه سمة السلطان ثم دخل على البصرة فبايعه أهلها وولى عليها عبد الله بن عباس وجعل على الخراج زياد ابن أبي سفيان ثم بلغه أن رجلا قال جزيت عنا أمنا عقوقنا وقال الآخر يا أمى توبى فأمر بكل منهما أن يجلد مائة جلدة ثم جهز على أم المؤمنين وسيرها إلى المدينة واختار معها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه اجتمع الناس إليها فقالت يا بنى لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وبين أحماؤها وإنه على معتبى لمن الأخيار فقال على صدقت والله ما بينى وبينها إلا ذلك وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب من السنة السادسة والثلاثين فتوجهت إلى مكة فحججت ثم رجعت إلى المدينة والحمد لله .

ورجع على إلى الكوفة التى جعلها مقر خلافته فأرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية بالشام يدعو إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ويعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته فامتنع معاوية حتى تقتل قتلة عثمان حيث كانوا ثم يختار المسلمون لأنفسهم إماما لأنه رأى أن بيعة على لم تنعقد لا فتراق الصحابة أهل الحل والعقد فى الآفاق ولا تتم البيعة إلا باتفاقهم ولا تلزم بعتد من تولاها من غيرهم أو من القليل منهم فجعل رضى الله عنه القصاص من قتلة عثمان

أول واجب على المسلمين والذي يطالب به وليه ثم اختيار الإمام
أمر ثان ولم يكن معاوية يتهم علياً رضي الله عنهما بالممالة على عثمان
حاشا لله بل كان يظن فيه الهوادة عن نصرته عثمان من قاتليه ولقد
كان إذا وجه ملامته إنما كان يوجهها عليه في سكوته فقط كما ذكر
ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه أما على رضي الله عنه
فكان يرى أن بيعته قد تمت ولزمت من تأخر عنها باجتماع من
اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة
وأرجأ الأمر في القصاص من قتلة عثمان إلى اجتماع الناس واتفاق
الكلمة فيتمكن حينئذ مما يجب أن يفعل وبذلك عد من لم يبايعه
خارجاً عليه محل له قتاله فخرج فعسكر بالنخيلة وقدم عليه ابن عباس
من البصرة واستخلف عليها زياداً ثم قدم طلائعه وعبي جيوشه
قاصداً محاربة أهل الشام لإجبارهم على الدخول فيما دخل فيه الناس
ولما علم بذلك معاوية سار إليه في جيوش الشام فالتقى الجيشان في
سهل صفين على نهر الفرات شرقي حلب فمكثا يومين ابتدأت بعدهما
المراسلة فأرسل على بشير بن عمرو والأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني
وشبث بن ربعي التميمي فقال لهم ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله
والطاعة والجماعة فتوجهوا إليه فتكلم بشير بن عمرو فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن
الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه وإني أنشدك الله ألا تفرق جماعة
هذه الأمة وألا تسفك دماءها بينها فقال معاوية هلا أوصيت بذلك
صاحبك فقال بشير ليس مثلك إن صاحبي أحق البرية بهذا الأمر

فی الفضل والدين والسابقة فی الإسلام والقراة بالرسول صلی الله علیه وسلم قال فماذا یقول قال یا امر بتقوی الله وأن تجیب ابن عمك إلى ما یدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فی دنیاك وخیر لك فی عاقبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً فذهب سعید بن قیس یتكلم فبادره شبت بن ربیع فحمد الله وأثنى علیه ثم قال یا معاوية قد فهمت ما رددت علی بشیر إنه والله لا ینحني علينا ما نطلب إنك لم تجد شيئاً تستغوی به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا توك قتل إمامكم وظلوماً فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمت أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته والله مالك فی واحدة منها خیر والله إن أخطأت ما ترجو إنك لشر العرب حالا ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلی النار فاتق الله یا معاوية ودع ما أنت علیه ولا تنازع الأمر أهله؛ فأثرت مقالته هذه فی معاوية أشد التأثير لأنه حمله فيها ما لم یرده فحمد الله وأثنى علیه ثم قال أما بعد فإن أول ما عرف به سفهك وخفة حلمك أن قطعت علی هذا الحسیب الشریف سید قومه منطلقه ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي فی كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا فلیس بینی وبينكم إلا السیف. ومن هنا يفهم أن السفراء بین الأمراء عليهم المدار فی الإصلاح والإفساد ولقد صدق معاوية فإن شبت بن ربیع كان من

أول الخارجين على أمير المؤمنين عليّ فرجع الوفد إلى عليّ وأخبره
وكانت الحرب إذاً لا محيص عنها إذ معاوية يطلب قتلة ابن عمه عثمان
ابن عفان وهو أولى الناس بالمطالبة بذلك لأنه وليه و حدود الله لا تؤخر
لأى سبب وعليّ يريد رده إلى الطاعة والجماعة ثم ينظر في القصاص
من قتلة عثمان ومع ذلك كانوا يحذرون أن يلقى جمع أهل الشام جمع
أهل العراق حذراً من الهلاك والاستئصال فيضيع الإسلام ويطمع
فيه أعداؤه فصار عليّ يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة
من أصحابه فيخرج له معاوية مثله وداموا على ذلك إلى أن أهل محرم
السنة السابعة والثلاثين فعقد عليّ ومعاوية هدنة مدتها شهر طمعا في
الصلح واختلفت بينهم الرسل فأرسل عليّ عدى بن حاتم ويزيد بن
قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد بن حفصة فتكلم عدى فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به
كلمتنا وأمتنا ونحمن به الدماء ونصلح ذات البين إن ابن عمك أحسن
الامة سابقة وأحسنها في الإسلام أتراو قد استجمع له الناس ولم يبق
أحد غيرك وغير من معك فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل
يوم الجمل فقال معاوية كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأت مصلحاً
هيهات يا عدى إني والله لا ابن حرب لا يقعقع لي بالشنان وإنك والله
من المجلبين على عثمان وإنك من قتلته وإني لأرجو أن تسكون ممن
يقتله الله به فقال من مع عدى أتيناك فيما يصلحنا وإياك فأقبلت
تضرب لنا الأمثال دع مالا ينفع وأجبنا فيما يعم نفعه فطلب معاوية
أن يسلم عليّ من معه من قتلة عثمان ومن ألب عليه فقال شبث بن

ربعى أيسرك أن تقتل عمار بن ياسر فقال وما يمنعنى من ذلك لو تمكنت
من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبت والله الذى لا اله غيره
لا تصل إليه حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض والفضاء
عليك فقال معاوية لو كان كذلك لكانت عليك أضيق ثم تفرق القوم
بلا نتيجة وكذلك رجع من بعثهم معاوية إلى على لأنه كان يريد قبل
كل شىء مبايعته ثم ينظر فى أمر قتلة عثمان ولما انقضى شهر الهدنة
أمر على منادياً ينادى يا أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين قد استدمتكم
لتراجعوا الحق وتنبذوا إليه فلم تنهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا إلى الحق
وإنى قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ثم أوصى
أصحابه فقال (لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فأنتم بحمد الله على حجة وترككم
إياهم حجة أخرى فإذا هم متموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح
ولا تكشفوا عورة ولا تمشوا بقتيل وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا
تمسكوا استرا ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ولا تهيجوا
النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم (فإنهن
ضعاف القوى والأنفس) ثم عي جيشه وأمر أمراءه وكذلك فعل
معاوية وابتدأ القتال يوم الثلاثاء أول يوم من صفر فخرجت فرقة من
أهل العراق ومثلها من أهل الشام واقتتلتا طول النهار وهكذا فى الأيام
التالية له فلما كان مساء الثلاثاء الثامن من صفر خطب على أصحابه فحمد الله
وأثنى عليه فقال (الحمد لله الذى لا يبرم ما نقضه وما أبرم لم ينقضه
الناقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الأمة
فى شىء ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهؤلاء

القوم الأقدار فنحن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار القرار ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ألا وإنكم لاقوا القوم غدأ فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين) وأجمع على أمره على ملاقاته جيش معاوية بجيشه كله فلما أصبحوا التقى الجيشان فتقاتلوا قتالا شديداً وانصرفوا عند المساء وكل غير غالب أما في يوم الخميس عاشر صفر فإن رجا الحرب دارت بشدة على الطائفتين وظهرت فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء وكل يرى نفسه في طاعة الله فكان أحدهم إذا رأى فرقة ملت القتال رمى عليها بصواعق من لسانه فتعود إليها حميتها وكان للأشتر بن الحارث اليد الطولى فإنه صار يتقدم بمن معه حتى قارب معاوية وكان معاوية بعدها يقول كدت أنهزم فذكرت قول ابن الإطنابة :

أبت لي عفتي وأبي بلائي وإقدامي على البطل المشيخ
وإعطائي على المكروه مالي وأخذى الحمد بالثمن الريح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فمنعني ذلك من الفرار وأحاطت به جيوش الشام وحميت فلو بهم ولم يصددهم عن القتال إقبال الليل فاستمروا على ما هم عليه ليلة تعد من ليالي الإسلام المظلمة وأصبحوا وكان الملل والسامة في جيش الشام أبين ورأى ذلك معاوية وعمرو بن العاص فقال عمرو ندعوهم

لكتاب الله أن يكون حكماً بيننا وبينهم فأمر معاوية برفع المصاحف على الرماح ومنادياً يقول هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لشغور الشام بعد أهل الشام ومن لشغور العراق بعد أهل العراق فلما رأها أصحاب عليّ وقد أشرفوا على الانتصار اختلفوا ففرقة تقول نجيب إلى كتاب الله عز وجل ورئيسهم الأشعث بن قيس الكندي وفرقة تأبى إلا القتال حتى يتم الأمر لأنهم ظنوا رفع المصاحف خديعة ورئيسهم الأشتر وكان هذا رأى أمير المؤمنين ولكنه اتبع رأى مخالفيه لكثرتهم فأرسل الأشعث إلى معاوية يسأله عما يريد فتوجه إليه وقال لأى شيء رفعت المصاحف فقال لارجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله فى كتابه تبعثون رجلاً ترضونه ونبعث رجلاً نرضاه ونأخذ عليهما العهد أن يعملوا بما فى كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فعاد إلى عليّ بالخبر فقال الناس رضينا وقبلنا واختار أهل الشام عمرو بن العاص واختار أهل العراق أباموسى الأشعري فحضر عمره ليكتب الكتاب بين الفريقين بذلك فكتبوا :

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين عليّ فقال عمرو وليس لنا بأمر فجاه عليّ وقال (هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قاضى عليّ بن عليّ أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية عليّ أهل الشام ومن معهم أنا ننزل على حكم الله وكتابه وألا يجمع بيننا غيره وإن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحى ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان فى كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملاً به وما لم يجداه فى كتاب الله

فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية
ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما آمان علي أنفسهما وأهليهما
والامة لها أنصار علي الذي يتقاضيان عليه وعلي عبد الله بن قيس
وعمر وبن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة لا يردانها
في حرب ولا فرقة حتى يقضيا وأجلا القضاء إلى رمضان وإن احبا
أن يؤخرا ذلك أخراه وأن مكان قضيتهما مكان عدل من أهل الكوفة
وأهل الشام) وشهد علي الكتاب جماعة من جيش علي ومثلهم من
جيش معاوية وتاريخ الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من
شهر صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا علي أن يجتمع الحكمان بدومة
الجندل أو بأذرح في رمضان ثم انفض الناس من هذا المحل المشؤوم
الذي اجتمع فيه فئتان عظيمتان من المؤمنين يقاتل بعضهم بعضا
ولكن الذي يخفف البلية أن الفريقين كانا يريدان الله بعمالهما لأن
الجميع كانوا يريدون إنفاذ حكمه حسبما اجتهدوا ورأوا ورجع
أمير المؤمنين من صفين إلى الكوفة وجيشه في شقاق واختلاف
فريق راض بالتحكيم ظان أنه حاسم للخلاف وجماع لكلمة المسلمين
وفريق كاره له قائل كيف تحكم في دين الله الرجال وهو لاء اعتزلوا
إخوانهم يقولون ادهنتم في دين الله وأولئك يقولون فارقتم إمامنا
فلما وصل علي الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالا وأنوا
حروراء فنزلوا بها في اثنى عشر ألفا وأمروا علي القتال شبت بن
ربعي وعلي الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكري والأمرشوري بعد
الفتح والبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس وقال له لا تراجعهم حتى آتيك فلم
يصبر عن مكالمتهم وقال ما نقمتم من أمر الحكيم وقد أمر الله بهما
بين الزوجين فقال ﴿ وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكيمان أهله وحكما
من أهلها إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما ﴾ فكيف بأمة محمد صلى الله
عليه وسلم؟ فقالوا هذا لا يكون بالرأى والقياس فإن ذلك قد جعله الله
حكماً للعباد وهذا أمضاه كما أمضى حكم الزاني والسارق فليس للعباد
أن ينظروا فيه فقال ابن عباس قال الله تعالى ﴿ يحكم به ذوا عدل
منكم ﴾ فقالوا والآخرى كذلك ليس أمر الزوجين والصيد كدماء
المسلمين وقد حوا في عدالة عمرو بن العاص وقالوا قد حكمتم في أمر
الله الرجال وقد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو
يرجعوا، رجعتم بينكم الموائد في الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين
وأهل الحرب منذ نزلت براءة نخرج إليهم علي ونزل في فسطاط يزيد
ابن قيس منهم بعد أن علموا أنهم يرجعون إليه في رأيهم فصلى عنده
ركعتين وولاه أصحابان والرى ثم خرج إليهم وهم في مجلس ابن عباس
فقال من زعيمكم؟ قالوا ابن الكوا قال فما هذا الخروج؟ قالوا
لحكومتكم يوم صفين قال قد اشترطت علي الحكيم أن يحييها ما أحيا
القرآن ويميت ما أمات القرآن فإن حكماً بحكم القرآن فليس لنا أن
نخالف وإن أبيا فنحن من حكمهما براء قالوا نخبرنا أترأه عدلاً تحكيم
الرجال في الدماء فقال إننا لسنا حكمنا الرجال وإنما حكمنا القرآن
وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم
به الرجال قالوا فلم جعلتم الأجل بينكم قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم

ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة فرجعوا إلى رأيه فقال
ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا عن آخرهم .

اجتماع الحكمين

ولما انقضى الأجل وحل رمضان من السنة السابعة والثلاثين
أرسل عليّ أبا موسى الأشعري في أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ
الحارثي ومعهم عبد الله بن عباس يصلي بهم ويلى أمورهم وأرسل
معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام عليهم شرحبيل
ابن الصمة فاجتمع الفريقان في دومة الجندل وكان معهم عبد الله
ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص ولما
اجتمع الحكمان قام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه وذكر الحديث
الذي حل بالإسلام والخلاف الواقع بأهله ثم قال يا عمرو هلم إلى
أمر يجمع الله فيه الألفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو
خيراً وقال إن للكلام أولاً وآخرأ ومى تنازعنا الكلام
خطبألم نبلغ آخره حتى ننسى أوله فاجعل ما كان من كلام تتصادر
عليه في كتاب يصير إليه أمرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة
وكاتب وقال له أكتب فإنك شاهد علينا ولا تكتب شيئاً يأمرك
به أحدنا حتى تستأمر فيه الآخر فإذا أمرك فاكتب وإذا نهاك
فانته حتى يجتمع رأينا اكتب .

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما تقاضى عليه أبو موسى

عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص تقاضيا على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو ونشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه وقد أدى الحق الذي عليه قال أبو موسى اكتب ثم قال في عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب (وأن عثمان ولي هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وأنه كان مؤمناً) قال أبو موسى ليس مما قعدنا له قال عمرو لا بد والله من أن يكون مؤمناً أو كافراً قال أبو موسى اكتب قال عمرو فظالم ما قتل عثمان أو مظلوماً قال أبو موسى بل قتل مظلوماً قال عمرو أفليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطاناً يطلب بدمه قال أبو موسى نعم قال عمرو فهل تعلم لعثمان ولياً أولى من معاوية قال أبو موسى لا قال عمرو أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان أو يعجز قال أبو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وأمره أبو موسى فكتب ثم قال أبو موسى هذا أمر قد حدث في الإسلام وإنما اجتمعنا لله فهلم إلى أمر يصلح الله به أمة محمد قال عمرو ما هو قال أبو موسى قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً وأن أهل الشام لا يحبون علياً أبداً فهل نخلفهما جميعاً ونستخلف عبد الله بن عمر قال عمرو أيفعل ذلك عبد الله بن عمر قال نعم إذا حمله الناس على ذلك ففعل فقال له عمرو هل لك في سعد قال لا فعدده جماعة وكلهم ياباه أبو موسى

ولا يرضى إلا عبد الله بن عمر فأخذ عمرو والصحيفة بعد أن ختما عليها
جميعاً ولم يتفق الحكمان على من يولياها أمر هذه الأمة لأن أبا موسى
رضى بخلع على ومعاوية ولم يختار للخلافة إلا عبد الله بن عمر وعمرو
ابن العاص لم يرضه فافترقا على ذلك ولم يحصل بينهما غير ما كتب
في الصحيفة كما حكاه المسعودي في رواية له فأما أبو موسى فإنه استجيب
أن يقابل علياً بعد أن أقر على خلعته من الخلافة فلاحق بمكة وأما عمرو
ابن العاص فرأى أن الأمر صار شورى بين المسلمين حسبما سطر في
الصحيفة ورضيا به كلاهما فتوجه هو وأهل الشام إلى معاوية فبايعوه
بالخلافة لأنهم رأوه أهلاً لأن يقوم بأعبائها أما أمير المؤمنين علي فإنه
رأى أن الحكمة لم يفتيا بما تعهدا به من الحكم بالقرآن بل اتبع كل
منهما هواه فصمم على حرب معاوية مرة أخرى وخطب أصحابه خطبة
قال فيها (الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل
وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أما بعد فإن المعصية
تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين
وفي هذه الحكومة أمري ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر ولكن
أبيتم إلا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخوه هوازن :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشيد إلا ضحى الغد

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكماً قد نبذا حكم
القرآن وراء ظهرهما وأحيا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما
هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا
في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين

استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله
يوم الاثنين) ولكن حال بينه وبين ذلك أن خرج عليه جماعة زعموا
أن التحكيم نقص في الدين وهم الذين كانوا اعتزلوه أولا فأرسل إليهم
عبد الله بن عباس فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباهاً
قرحة لطول السجود وأيديا كثيفات الإبل عليهم قمص مرقعة وهم
مشمرون فقالوا ما جاء بك يا ابن العباس فقال جئتكم من عند صهر
رسول الله وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه قالوا إنا أتينا عظيمي حين
حكمتنا الرجال في دين الله فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا
فجادلوه وجادلهم ومما احتجوا به أن علياً محانف نفسه من إمارة المسلمين
وقت كتابة الصحيفة قال ابن عباس ليس ذلك بمنزلة ما عنه وقد محا
رسول الله اسمه من النبوة وقد أخذ على الحكمين ألا يجورا وإن
يجورا فعلى أولى من معاوية وغيره قالوا إن معاوية يدعى مثل دعوى
علي قال فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا صدقت يا ابن عباس قال ابن
عباس متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما فرجع معه
ألفان منهم وبقى الباقيون فصلى بهم صلاتهم ابن الكوا وقال متى كانت
حرب فرئيسكم شبت بن ربيع الرياحي وبقوا على ذلك يومين ثم
أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسي ومضوا إلى النهروان
فأصابوا مسلماً ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا
احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب بن الارت وفي عنقه
مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا إن هذا الذي في عنقك
ليأمرنا بقتلك قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب

رجل منهم على رطبة فوضعتها في فيه فصاحوا به فلفظها تورعا و عرض
لرجل منهم خنزير فحضر به الرجل فقتله فقالوا هذا فساد في الأرض
فقال عبد الله بن خباب ما على منكم بأس إني لمسلم قالوا حدثنا عن
أبيك قال سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا و يصبح
كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول في أبي بكر
وعمر فأثنى خيرا فقالوا ما تقول في عليّ قبل التحكيم وفي عثمان ست
سنين فأثنى خيرا فقالوا ما تقول في الحكومة والتحكيم قال أقول
إن عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيفا على دينه وأنفذ بصيرة
قالوا إنك لست تتبع الهدى إنك تتبع الرجال على أسمائهم قربه
إلى شاطئ النهر فذبجوه وساوموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال هي
لكم فقالوا ما كنا نأخذها إلا بشمن فقال ما أعجب هذا تقتلون مثل
عبد الله بن خباب ولا تقبلون مني جني نخلة فلما بلغ أمير المؤمنين
عنهم هذا الفساد صم على البدء بهم فسار إليهم وقدم لهم قيس بن سعد
فقال لهم عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا (قتلة عبد الله بن خباب) ادخلوا
في هذا الأمر الذي خرجتم منه وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم
فإنكم ركبتم عظيما من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون
دماء المسلمين وقال لهم أبو أيوب الأنصاري عباد الله إنا وإياكم على
الحال الأولى التي كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا
فأبى الخوارج إلا ما عزموا عليه وامتنعوا عن تسليم من قتل عبد الله
ابن خباب فعبى لهم أمير المؤمنين جيشه ونصب أبو أيوب راية

الآمان وناداهم من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دماءكم فانصرف فروة بن نوفل بخمسمائة حتى نزل البندنجين والديسكرة وانصرف جماعة إلى الكوفة وخرج إلى علي نحو مائة مسالمين فبقى مع الخوارج ألفان وثمانمائة لم يلبثوا إلا ضحوة نهار حتى قتلوا ولم ينبج منهم إلا ثمانية أشخاص وقتل من أصحاب أمير المؤمنين تسعة ثم أخذ ما في عسكرهم فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسم وأما الإمام والعبيد والمتاع فرده على أهله بالكوفة ثم إن الذين كانوا فارقوهم والذين لجؤا إلى راية أبي أيوب ومن كان أقام بالكوفة من الخوارج على الحياد تجمعوا وتأسفوا على خذلانهم لأصحابهم فقام فيهم المستورد أحد كبرائهم وخطبهم حاثا لهم على قتال علي فخرجوا إلى النخيلة فأرسل إليهم عبد الله بن عباس ناصحاً فأبوا فإفسار إليهم أمير المؤمنين وطحنهم جميعاً بالنخيلة ولم ينبج منهم إلا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائي وابن شريك الأشجعي (ولما) انتهى أمير المؤمنين من الخوارج أمر أصحابه بالتوجه إلى الشام لقتال معاوية ومن معه فقالوا يا أمير المؤمنين نفذت نبأنا وكلت سيوفنا ونسأت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصداً فارجع بنا إلى مصر نأفلد نستعد ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا فإنه أقوى لنا على عدونا . ومن هذا يفهم أن القوم فلت عزائمهم فسمعوا القتال وإذا كانت هذه حال الجيش فلا تستغرب ما آل إليه

حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فان سلطته سارت إلى الوراثة
كل يوم في نقصان وهو كل ساعة يحرضهم بما آتاه الله من
فصاحة اللسان وبلاغة القول وهم لا يزدادون إلا فتوراً وقليل
منهم الذي أخلص له القول والعمل وكثرت عليه الخوارج
بحجتهم التي اتخذوها وهي أنه حكم الرجال في دين الله ولا حكم
إلا لله وكان فيمن خرج عليه الخريت بن راشد الناجي في
ثلاثمائة من بني ناجية جاء إليه فقال يا علي والله لا أطيع أمرك
ولا أصلي خلفك وإني غدا مفارق لك فقال له إذا تعصى ربك
وتنكث عهدك ولا تضر إلا نفسك خبرني لم تفعل ذلك؟ فقال
لأنك حكمت وضعفت عن الحق وركنت إلى القوم الذين ظلموا
فأنا عليك زار وعليهم ناقم وليكم جميعاً مباين فقال له هلم أدارسك
الكتاب وأناظرك في السنن وأفاتحك أمور أنا أعلم بها منك
فلعلك تعرف الآن ما أنت له منكر قال فإني عائد إليك قال
لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك الجهال والله إن استرشدتني
وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد فلم يسمع له قولاً بل سار بمن معه
نحو نفر فأرسل وراهم زياد بن خصفة البكري وقال له سر حتى
تأتي دير أبي موسى وانتظر أمرى فسار زياد حتى أتى دير أبي موسى
وبعد مسير أرسل إلى علي قرظة بن كعب الأنصاري يخبره أن أصحاب
الخرية قتلوا رجلاً من الدهاقين كان قد أسلم فبعث إلى زياد أن
يتبع آثارهم ويطلب منهم من قتل هذا الدهقان ثم يردهم إليه فان
[۱۶ - إتمام الوفاء]

أبوا نأجزهم فسار زياد حتى لحقهم بالمذار فقال زياد للخزيرت ما الذى
نعمت على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم
إماما ولا سيرتكم سيرة فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو
إلى الشورى فقال له زياد وهل يجتمع الناس على رجل يشبه صاحبك
الذى فارقتهم علما بالله وسنته وكتابه مع قرابته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسابقته بالإسلام فقال الخزيرت لا أقول فى ذلك
لا، قال زياد ففيم قتلت المسلم الذى قتلته قال لم أقتله إنما قتله جماعة من
أصحابي قال فادفعهم إلينا قال ما لى إلى ذلك سبيل فقاتلهم زياد إلى
الليل فهرب الخزيرت ليلا ولما رأى ذلك زياد رجع إلى البصرة
لمداواة من معه من الجرحى وأرسل إلى على بالخبر فأرسل إلى
الخوارج معقل بن قيس الرياحي فى ألفين وكتب إلى ابن عباس
بالبصرة أن يمدّه بألفين من أهلها عليهم رجل ذو نجدة
فسار معقل ولحقه مدد أهل البصرة فوافوا الخوارج قرب
جبل من جبال رامهرمز فقاتلوهم حتى قتل من أصحاب معقل نحو
السبعين وانهمزم الخزيرت ببعض أصحابه فأمر على معقلا أن يتبعه
فتبعه حتى أجهز على بقية من معه وقتل الخزيرت (ثم خرج) على أمير
المؤمنين بعد ذلك كثير من الخوارج كلها أطفئت فتنة قامت أخرى
(أما) معاوية رضى الله عنه فإنه مذ بويبع بالخلافة استقام له الأمر
بالشام وكانوا أحسن جند فى طاعة الأمراء فأراد أن يجمع كلمة

المسلمين على بيعته كما كان يريد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأرسل إلى مصر عمرو بن العاص . وكان من خبرها أن عليا لما بويع أرسل إليها قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا فبايعه أهلها إلا جماعة منهم اعتزلوا بنخربتا عليهم يزيد بن الحارث الدجلى أعظموا قتل عثمان ودخل معهم مسلمة بن مخلد فكف عنهم قيس لعلمه أنهم ليسوا ممن يخاف شربه فلما علم بذلك أمير المؤمنين كتب إليه يأمره بقتالهم لأن معظم النار من مستصغر الشرر فكتب إليه قيس (أما بعد فقد عجبت لأمرك تأمرني بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لعدوك ومتى حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فأطعني يا أمير المؤمنين واكفف عنهم ، فإن الراى تركهم والسلام) فعزله أمير المؤمنين عنها وولاها محمد بن أبى بكر الصديق فلما جاءها قصد المسجد وخطب أهلها فقال (الحمد لله الذى هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا وإياكم كثيرا مما عصى عنه الجاهلون ألا إن أمير المؤمنين ولانى أمركم وعهد إلى ما سمعتم وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب فإن يكن ماترون من إمارتى وأعمالى طاعة فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنه هو الهادى وإن رأيتم عاملا لى عمل بغير الحق فارفعوه إلى وعاتبونى فيه فإنى بذلك أسعد وأنتم جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته) ثم نزل وبعد شهر من مقدمه أرسل إلى المعتزلين بنخربتا يخبرهم بين الطاعة أو الخروج من مصر

فأجابوا إنا لا نفعل فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمرنا فلا تعجل
لحربنا فأبى عليهم فامتنعوا وأخذوا حذرهم وكانت حينذاك وقعة
صفين فتمت وهم حذرون من محمد فلما حصل التحكيم طمعوا فيه
وزابذوه فأرسل إليهم سرية لقتالهم فقتلوا رئيسها فأرسل أخرى
فقتلوا رئيسها ثم خرج معاوية بن خديج السكوني مطالباً بدم عثمان
فلما علم أمير المؤمنين بذلك رأى أن محمداً لا يمكنه المقاومة فولى على
مصر الأشتر بن الحارث النخعي وكتب إليه عهداً جمع فيه سياسة
الدنيا وصلاح الآخرة فتوفي في الطريق وشق على محمد بن أبي بكر
عزله فأرسل إليه على (أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريحي
الأشتر إلى عمك وإني لم أفعل ذلك إلا ازدياداً لك مني في الجد ولو
نزعت ما تحت يدك وليتكم ما هو أيسر عليكم مؤنة وأعجب إليك
ولاية إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحاً وعلى
عدونا شديداً وقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون
فرضى الله عنه وضاعف له الثواب، اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع
إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة
به والخوف منه يكفيك ما أهمك ويعنك على ما ولاك) فكتب
إليه محمد (أما بعد فقد انتهى إلى كتابك وفهمته وليس أحد من
الناس أَرْضَى برأى أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أَرَأَى
بولاية مني وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا

حرباً وأظهر لنا خلافاً وأنا متبوع أمر أمير المؤمنين وحافظ له
والسلام) فلما كانت سنة ثمان وثلاثين أرسل معاوية عمرو بن
العاص في ستة آلاف فصار حتى نزل أدانى مصر فجاءه من
خالف على محمد بن أبى بكر وطالب بدم عثمان فاجتمع بهم وكتب
إلى محمد أما بعد ففتح عنى بدمك يا ابن أبى بكر فإنى لا أحب أن
يصيبك منى ظفر . إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك
وهم مسلموك فاخرج منها إنى لك من الناصحين) فكتب محمد
إلى على بالخبر واستمده فأرسل إليه أن يضم شيعته إليه ويأمره
بالصبر ويعده بإنفاذ الجيوش إليه فقام محمد فى الناس وندبهم
إلى الخروج معه فانتدب له ألفان أمر عليهم كنانة بن بشر
فسيرهم أمامه وتوجه هو بألفين لقتال عمرو فلما التحم كنانة
بجيوش الشام ومعهم معاوية بن خديج من أهل مصر انهزم
المصريون وقتل كنانة فلما سمع بذلك من مع محمد تفرقوا عنه
فاختفى أما عمرو فإنه سار حتى نزل القسطنطينة وخرج معاوية
ابن خديج يطلب محمد بن أبى بكر حتى التقى به فقتله ولما بلغ
قتله أم المؤمنين عائشة جزعت عليه جزعا شديداً وضمت إليها
أولاده . وبقتل محمد صارت مصر فى طاعة معاوية بن أبى سفيان
وبابيع له أهلها أما المدد الذى أرسله أمير المؤمنين لمساعدة محمد
ابن أبى بكر فإنه بلغهم وهم فى الطريق قتله فرجعوا (وبعد) أن

تم لمعاوية أمر مصر سير إلى البصرة عبد الله بن الحضرمي وكان عليها إذ ذاك زياد بن أبي سفيان خليفة لابن عباس فاجتمع إلى ابن الحضرمي جمع كثير من بني تميم كانوا يطالبون بدم عثمان فطلب منهم المساعدة فقام إليه الضحاک بن قيس وكان على شرطة ابن عباس فقال له قبح الله ما جئتنا به وما تدعونا إليه نحن الآن مجتمعون على بيعة علي وقد أقال العشرة وعفا عن المسيء أفتأمرنا أن ننتضي أسيافنا وبضرب بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً فقام عبد الله بن خازم السلمي وقال للضحاک اسكت فليست بأهل لأن تتكلم وقال لعبد الله نحن أنصارك ويدك والقول قولك فلما رأى ذلك زياد استجار بالأزد فأجاوره هو وبيت ماله وأرسل إلى علي بالخبر فبعث إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي التميمي ليفرق تميم عن ابن الحضرمي فقتل غيلة فلما بلغ ذلك علياً أرسل جارية بن قدامة السعدي فسار إلى البصرة وخطب الأزد وجزاهم عن أمير المؤمنين خيراً وقرأ على أهل البصرة كتاب علي يهددهم ويتوعددهم فيه بحرب أشد من وقعة الجمل فأجابه أكثر أهل البصرة فسار إلى ابن الحضرمي وقاتله هو ومن معه حتى هزمه فتبعوه حتى قتل (ثم صار) معاوية يوجه السرايا إلى بلاد أمير المؤمنين ليدخلها في طاعته وسير يزيد بن شجرة إلى مكة ليحج بالناس ويبايع أهلها على طاعته وكان واليها

من قبل علي قثم بن العباس وليس عنده قوة يقاتل بها فلم يقدم
على القتال فأما شجرة فأمن الناس إلا من قاتل وأرسل إلى أبي سعيد
الخدري يخبره أن يأمر قثم ألا يصلي بالناس ولا يصلي أيضاً
شجرة ويختار الناس من يصلي فاختاروا شيبه بن عثمان فصلى بهم
وتم الحج بسلام ولم يحصل إلحاد في الحرم حذراً من وعيده تعالى
في قوله ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ وصارت
السرايا بعد ذلك تتردد من الجهتين وكل يريد جمع الكلمة فلم يتيسر
ذلك لأحدهما ولكن الحجاز واليمن دخل أهلوهما في طاعة معاوية
حينما سير إليهما بسر بن أرطاة العامري فلم يعد مستمسكا ببيعة أمير
المؤمنين إلا العراق وما والاها من بلاد فارس وكلها نار تضطرم
بالخلاف والشقاق فريق شيعة لعلي وآخرون خوارج لا يريدون عليا
ولا معاوية وفريق منافق يظهر طاعة علي ويخفي عداه فملهم أمير
المؤمنين وسئم إمارته عليهم حتى خاطبهم بذلك في كثير من خطبه .
وفي السنة الأربعين من الهجرة النبوية أراحه الله من هذا الشقاق
المتتابع والخلاف المستعصي فضمه إخوانه من الشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقاً وسبب ذلك أنه اجتمع ثلاثة من الخوارج
وتذاكروا ما حل بإخوانهم من الخوارج وكرهوا المقام بعدهم
فاتفقوا على أن يذهب أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى
الكوفة فيقتل عليا ويذهب الثاني وهو البرك بن عبد الله التميمي إلى
الشام فيقتل معاوية ويذهب ثالثهم وهو عمرو بن بكر التميمي إلى
مصر فيقتل عمرو بن العاص واتعدوا بينهم ليلة ينفذون فيها ما اتفقوا

عليه فأما البرك فذهب إلى معاوية وانتظره في صلاة الصبح فضربه
بالسيف فوقع في أليته ولم يمته فأمر به معاوية فقتل وأما عمرو بن بكر
فذهب إلى عمرو ولحسن حظه لم يخرج إلى الصلاة في ذلك اليوم لمرضه
فيكان يصلي بالناس خارجة بن حبيب السهمي فضربه الخارجي فقتله
ظنا منه أنه عمرو ونجاب ظنه وقبض عليه فقتل وأما عبد الرحمن بن ماجم
فقصد الكوفة وانتظر أمير المؤمنين في صبح الليلة التي اتعد فيها الخوارج
وهي ليلة الجمعة لسبع عشر خلون من رمضان فبينما أمير المؤمنين ينادي
الناس الصلاة الصلاة إذ ضربه هذا الشقي بسيفه قائلا الحكم لله لا لك يا علي
ولا لأصحابك فقال علي لا يفوتنكم الرجل فشد عليه الناس وأخذوه
وقدم جعدة بن هبيرة يصلي بالناس الصبح ثم قال رضى الله عنه النفس
بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلتني وإن بقيت رأيت فيه رأى يا بنى
عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل
أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلي انظر يا حسن إن أنامت من
ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إياكم والمثلة ولو بالكب
العقور، ودخل جندب بن عبد الله فقال يا أمير المؤمنين إن فقدناك
ولا نفقدك فبإيع الحسن فقال ما أمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا
الحسن والحسين فقال لهما (أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن
بغيتكما ولا تبكيا على شيء أزوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم
وأعينا الضائع واصنعا للأخرى وكونا للظالم خصيما والمظلوم ناصرأ

واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم) ثم نظر إلى محمد الأكبر بن الحنفية فقال له هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك وتزین أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما ثم قال للحسن والحسين أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أي بنى بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش ثم لم يزل يذكر الله حتى مات رضى الله عنه فغسله ولداه الحسن والحسين وابن أخيه عبد الله ابن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات . ومكث رضى الله عنه في الخلافة أربع سنين وسبعة أشهر وأياماً أراد الله فيها أن يذيق الأمة كأس الضر من الاختلاف عليه لتكون قد ذاقت الأمرين السراء والضراء والأخوة والشقاق فتختار لنفسها ما يوفقها الله له وقد كان الله سبحانه وتعالى يعلم الأمة المحمدية في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقاب يعجله جزاء على أعمال لتحذير الأمة من العودة لها كما عاقب بالهزيمة في غزوة أحد إذ فشل المسلمون وتنازعوا في الأمر وعصوا الرسول فلم يعد المسلمون بعد ذلك لشيء من هذه الثلاث لعلمهم

بأنه يبعدهم عن الله جل ذكره وما داموا كذلك فنصره بعيد عنهم وكذلك في هذه الواقعة أراد الله أن يعاقبهم على ما فعله بعضهم في خايفتهم الذي بايعوه وتعهدوا بطاعته ثم نكثوا بيعته وقتلوه ظلماً فعاقبهم الله بهذا العقاب الشديد وأوقع بأسهم بينهم حتى لا يعودوا لتفريق كلمتهم وشق عصا أمتهم ، نسأل الله التوفيق .

ولما استشهد علي رضي الله عنه بايع أهل الكوفة ابنه الحسن وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له أبسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وقاتل المحلين فقال الحسن على كتاب الله وسنة نبيه فإنهما يأتيان علي كل شرط فبايعه الناس على ذلك .

الحسن

هو الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بالمدينة المنورة في السنة الثالثة من الهجرة وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يحبه حبا شديداً هو وأخوه الحسين وقال في حق الحسن «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه» وقال فيه كما رواه البخاري في صحيحه «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين» ولم يحضر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنه فقد توفي عليه السلام وقد جاوز سبع سنين ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه العطاء أدخل الحسن في أهل بدر لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن دافع عن عثمان وأبلى في ذلك بلاء حسناً حتى نهاه عثمان رضي الله عنه؛ ولما بويع أمير المؤمنين علي كان الحسن معه في جميع مشاهدته ولما قتل علي رضي الله عنه أجمعت شيعة أبيه على بيعته وله كثير من الأولاد من أمهات شتى لم يعقب منهم إلا ابنه الحسن المثنى وزيد.

أعماله في الخلافة

لما بويع رضي الله عنه وكان أبوه قد جهز جيشاً لحرب أهل الشام أمر الحسن بخروج هذا الجيش لتتيم ما قد عزم عليه أبوه وسير قيس بن سعد طليعة له. وليحقق الله سبحانه للحسن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهمه الرشد فنظر إلى بيعته فرآها

ليست كبيعة أبيه فإنها ليست عامة ولاكنها قاصرة على شيعتهم من أهل
العراق ورأى من جهة أخرى أن جند العراق لا تقوم به دولة لما هو
بينهم دائماً من الشقاق والنزاع والتطاع إلى ما ليس لهم حتى نازعوه
بساطا كان يجلس عليه فراسل معاوية بن أبي سفيان يبذل له الصلح
ويشترط عليه شروطا فأرسل له بصك مختوم ليس فيه كتابة وطلب
منه أن يشترط لنفسه ما شاء فكتب فيها الحسن شروطا أهمها تأمين
جيشه وشيعة على كلها فقبلها معاوية وقدم إلى العراق فقبله الحسن
بجيشه وبايعه بالخلافة هو وجنده وبهذا صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين
طائفتين عظيمتين من المؤمنين » وبتسليمه رضى الله عنه انقضى الدور
الثانى من دولة الخلفاء الراشدين وهو دور الفتن والشقاق وكان
مبدؤه من قيام الثوار على عثمان رضى الله عنه ونهايته تسليم الحسن
الخلافة لمعاوية . فتن دامت عشر سنين لو كانت فى أمة أخرى لهدت
أركانها وقوضت بنيانها ولكن الله نظر إلى دينه القويم بعين عنايته
فألف كلمة أهله وحفظه كما وعد . وكنت أود أن أجعل خاتمة
الكتاب خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ولكن منعى من
ذلك ما منع العلامة عبد الرحمن بن خلدون حيث قال فى خاتمة الجزء
الثانى من تاريخه (وقد كان ينبغى أن تلحق دولة معاوية وأخباره
بدولة الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحة ولا
ينظر فى ذلك إلى حديث « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » فإنه لم يصح
والحق أن معاوية فى عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون عنهم

لأمرين (الأول) أن الخلافة اعهدده كانت مغالبة لأجل ما قدمناه من العصبية التي حدثت لعصره وأما قبل ذلك فكانت اختياراً واجتماع فميزوا بين الحالتين فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك ويشبهون بعضهم ببعض وحاشا لله أن يشبه معاوية بأحد من بعده فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانية ممن تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس ولا يقال إن الملك أدون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكاً؟ (واعلم) أن الملك الذي يخالف بل يناه في الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التي أنكرها عمر على معاوية حينما رأى ظواهرها وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا يناه في الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفة فمدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عند ما تستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذ دعوتهم ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا الواهي فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسلمين ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وإنما سمي الخليفة بالمجاز (الأمر الثاني) في

ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة أنهم كانوا
أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء
الأولون مختلفو الأنساب فجعلوا في نمط واحد وألحق بهم عثمان
وإن كان من أهل هذا النسب للحوق بهم قريباً في الفضل والله
يحشرنا في زمرتهم ويرحمنا بالاعتداء بهم . وقد أفردنا نحن لبني
أمية وخلفائهم وأخبار دولتهم في الشام والأندلس كتاباً نفيساً
سميناه (الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية في
الشرق والأندلس) .

الثامنة

لما كنا قد التزمنا أن نتبع كل دور بنتيجة ما حصل فيه رأينا أن
نوفي هنا ما وعدنا به من ذلك فنقول إن لهذا الشقاق الذي حصل
والخلاف الذي ألم سببا واحدا به انصدع الحبل وتشتت الشمل
وهو قتل عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه . نقم عليه الناس
إذ ذاك أمورا فعلها فقاموا عليه وحصروه في داره ولم يقبلوا منه
إلا أن يخلع نفسه ويدعوه مستنديا على كتاب افتعل وادعى أنه من
عثمان إلى عامله بمصر يأمره فيه بقتل بعضهم وجلد آخرين فلما امتنع
من خلع نفسه قتلوه في داره في عاصمة الإسلام ومدينة النبي عليه
الصلاة والسلام البلد الذي يأمن فيه الجاني ويلوذ به الآثم ولم يرعوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة ولا لخليفته عهدا . انقسم
الناس فيه على ثلاثة أقسام منهم الناكث لبيعته وهم الزعانف الذين
لم تستر بصائرهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم المقيم
على ولائه الذاب عنه وهم أكثر الأمة وغالب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أمصار المسلمين ومنهم المقيم على الحياد لا ينصره
ولا يخذله فأما الأولون فقد خالفوا سنة رسول الله عليه الصلاة
والسلام وقد قدمنا لك في صدر كتابنا هذا مقاله عليه السلام في
الخروج عن طاعة الإمام ولم يجعل لها سببا إلى الكفر البواح وهو
الظاهر الصريح الذي لا تأويل فيه ولم يقل بذلك أحد منهم إلا الغلاة
الذين صرحوا بذلك فإن كلامهم مردود عليهم من جميع الأمة حتى

الشيعة والذي نقموه عليه هو أمور لا تخرج عن حد الشرع وقد قدمناها لك أما الذين أقاموا على ولائه فمنهم المقيم بالمدينة وهؤلاء غلبوا عليها فلم يتمكنوا من المقاومة والذين قارموا أو ذوا فقتل بعضهم وجرح كثير منهم ومنهم المقيم بالأمصار وهؤلاء خرجوا لنصرته حينما بلغتهم الأخبار فلم يصلوها إلا وقد قضى الأمر وأما الذين كانوا على الحياد فلم يذكروا يظنون أن الأمر يصل إلى القتل لأنهم رأوا أن عثمان قد صار أسيراً في أيديهم وليس من العادة قتل الأسرى ولو كانوا كفاراً وحاشا لله أن نظن أن علياً والزبير وطلحة كانوا يظنون أن قصد الثأرين قتل عثمان ثم لا يدافعون بأنفسهم عنه حتى يهلكوا أو يخلصوه أراد الله ما أراد ولا راد لقضائه . قتل عثمان فافترقت الأمة إن لم يكن هذا بالأمر الهين حتى يقابل بالغضب . فريق ناظم على قتله ويود قبل كل شيء إقامة حد الله والقصاص من قاتليه ثم يجتمع رجال الحل والعقد من الأمة فينتخبون بدله ومن هؤلاء عامة عشيرة عثمان ورؤسائهم وكبيرهم معاوية ابن أبي سفيان أمير الشام وكثير غيره من الصحابة كطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وعمر و ابن العاص وغيرهم رضی الله عنهم وفريق رأوا أن الأولى بالمسلمين أن يبدأوا بإقامة خليفة لهم ثم هو ينفذ حكم الله في القاتلين بعد أن تهدأ الأحوال ولا يتعسر أمر القصاص وتجتمع جنود المسلمين للقدره على الثأرين ومن هؤلاء علي بن أبي طالب وكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والفريق الثالث قتلة عثمان يرون بالطبع أنهم أصابوا فيما صنعوا ولا يستحقون قصاصاً . قام المسلمون بالمدينة

وفيهم كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوا علياً
ليكون خليفة لهم فامتنع كل من ليس على رأيه وقاموا يدعون
المسلمين للأخذ بناصرهم حتى يقيموا حد الله فيمن قتل عثمان فتوجه
الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة إلى البصرة للاستعانة بأهلها على
القصاص فوافقهم جماعة وخالفهم آخرون فعدوا من خالفهم عاصياً
مانعاً من إقامة حد الله وأصابوا بعضاً من قتلة عثمان فقتلوهم. أما
أمير المؤمنين فعدهم خارجين عن طاعته لأنه رأى أن بيعته تمت
بمن حضرها فلزمت من لم يحضرها فتوجه إليهم وحاربهم حتى دخلوا
في طاعته بعد قتل رؤسائهم وأرجع أم المؤمنين إلى بيتها ثم عزم على
حرب معاوية ومن رأى رأيه إن لم يدخلوا في طاعته كيف يطيعون
وقد رزئوا بقتل شيخهم وأمير المؤمنين والقصاص من قتله أهم
الأشياء عندهم فكيف يتركونه أو يؤجلونه وعدوا ذلك عصياناً لله
سبحانه وتعالى وتعطيلاً لحدوده ويتهموا علياً بالهوادة في نصر الخليفة
وإيواء قتلته في جيشه فلما حاربهم وحاربوه وظل السيف يعمل في
رقاب المسلمين فلما رأى ذلك معاوية وأصحابه أشاروا على
أمير المؤمنين بتحكيم كتاب الله بينهم فقبل ذلك حينما رأى أكثر جيشه
راضين به فحكم كل فريق رجلاً فهذان الحكمان لم يوفقا الإصلاح
بين هاتين الطائفتين العظيمتين ولاكنهما اختارا في صحيفتهما خلع على
ومعاوية ويختار المسلمون لأنفسهم من شاءوا فعرض كل منهما شخصاً
فلم يقبل أحدهما ما عرضه الآخر فافترقا على ذلك. أنتج هذا التحكيم
عند معاوية بن أبي سفيان أملاً عظيماً في تولى خلافة المسلمين حيث
[۱۷ - تمام الوفاء]

بايعه بها كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اعتقادهم فيه الكفاية وحسن السياسة وأنتج في جيش علي الاقتراق والشطط ففريق عده كفراً وضلالة زاعمين أن لا حكم إلا لله وهذا تحكيم للرجال في أمر الله وفريق استحسنه ؛ فعادى كل فريق الآخر واعتزل من قبحو التحكيم علياً فشغل بهم وحاربهم مراراً فقتل كثيراً منهم ونجا آخرون . وتواصل فيهم مذهب الخروج على خلفائهم زاعمين ألا يصلح لها إلا رجل يدين بمعتقدهم فشغلوا الخلفاء حيناً من الدهر وألهمهم في كثير من الأوقات عن جهاد الأعداء أما شيعة علي رضي الله عنهم فإنهم رأوا فعل معاوية وطلبه للخلافة أمراً إمرأ لأنهم وزنوه بعلي فرأوه مرجوحاً فأرادوا إعادة الكرة على الشام ولكن الأجل المقدور قضى على حياة أمير المؤمنين فقضى نحبه ولحق بربه ؛ وجاء السيد ابن السيد فأصلح بين المؤمنين ووجد الكلمة وأزال الفرقة ولكن الصدور لم تزل تكمن ما فيها فشيعة علي لا تزال ترى هذا الأمر في أولاده يطلبونه متى سنحت لهم الفرصة وصارت لهم مذاهب ونحل قد يعجز القلم عن استقصائها والخوارج لا تزال ترى التحكيم ضلالة ولا ترى البيعة إلا شورى ولا ينتخب إلا رجل على مذهبهم ومعتقدهم وتفرقوا شيعاً كل له مذهب يتبعه ؛ وسأنتى عليها في كتابنا في أخبار الدولة الأموية إن شاء الله ؛ ولا يخفى أن كلا من علي ومعاوية رضي الله عنهما كان يظن في الآخر الخطأ ومخالفة السنة وإلا لما جاز له قتاله حتى كان أمير المؤمنين علي يدعو علي معاوية في صلواته وكذلك كان يفعل معاوية (وأما أخبار

اللعن فمن أكاذيب التاريخ لأنه لم يقل أحد المتخاصمين بكفر الآخر حتى يجوز له لعنه بل يعتقد أنه مؤمن ولكن عاص وناهيك بما قاله أمير المؤمنين علي عن قتلى الفريقين في وقعة صفين والجل وقال العلامة ابن كثير في تاريخه إن خبر اللعن لم يصح . والعجب بعد ذلك بمن يأتي بعدهم وهو لا يعرف إلا القليل مما حصل لهم ثم هو يتشيع لأحد الفريقين ويبغض الآخر وهذا ليس من الدين في شيء فأولئك قوم اختلفوا في الرأي ولم يتبعوا الهوى بل أرادوا الله بأعمالهم وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تلقوا عنه الدين مباشرة ونقلوه إلينا وقد أجمع المسلمون على توثيقهم وعدالتهم فالخوض بعد ذلك في تضليل بعضهم مما لا يرضى به الله ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأولى للمسلمين أن يعرفوا أن ما حصل في زمنهم من الخلاف والفرقة أمران لا ينبغي عملهما فيتجنبوهما ويتخذون ذلك درسا في أحوالهم وسياسة دنياهم بدل أن يشغلوا أنفسهم بما لا طائل تحته من تفضيل أحد الأخوين علي الآخر وتضليل الثاني منهما . قاله الله في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو أنفق أحدكم ياقوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه بشهادة نبيكم صلى الله عليه وسلم وإياكم ورجالكم وكذابين من المورخين قضت عليهم ظروف زمنهم أن يقلبوا الحقائق ويكذبوا على الله وعلى الأمة الإسلامية فينسبون القبائح لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشغلوا أنفسكم بتحسين حالكم وطاعة ربكم وها أنا قد نقلت لكم هذا التاريخ الصغير من أوثق المصادر التي يعتقدون بصحتها فليس بعد كتاب الله سبحانه

وتعالى كتاب أوثق من صحيح الإمام البخارى وصحيح الإمام
مسلم اللذين نقلنا عنهما كثيراً من أمهات المسائل وبعضاً من
الأحاديث التي يدخل تحتها معظم الأمور التي منيت الأمة بها .
وليس على الله بعزیز أن يؤلف كلمة الأمة ويلم شعئها ويوفقها
لما فيه رضاه بمنه وكرمه أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وجميع
المسلمين إلى ذلك إنه على ما يشاء قدير .

قال مؤلفه : كان الفراغ من تأليفه خامس رمضان من

سنة ۱۳۱۶ هجرية بمدينة المنصورة .

تم بعون الله تعالى



فهرس الكتاب

صفحة	صفحة
٢٤ أخبار الردة	٣ خطبة الكتاب
٢٥ خبر عبس وذبيان	٦ المقدمة
٢٦ تسيير الجيوش إلى أهل الردة	٦ معنى الخلافة
٢٧ كتاب أبي بكر للأمرأء	٦ وجوب إقامة الخليفة
٢٨ كتب أبي بكر إلى المرتدين	٧ عدم تعدد الإمام
٣٠ خبر طليحة	٧ صاحب الخلافة
٣٢ خبر مالك بن نويرة	٩ السر في تخصيص قريش بالخلافة
٣٣ خبر مسيلمة	١٠ شروط الخليفة
٣٦ خبر البحرين	١١ انتخاب الخليفة
٣٨ خبر عمان	١٢ طاعة الإمام
٣٩ أخبار الأسود	١٣ مخالفة الإمام
٤٢ أخبار كندة	١٣ منابذة الإمام
٤٣ أمر العراق	١٤ جزاء المحاربين
٤٥ وقعة الأبله	١٦ واجبات الإمام
٤٦ وقعة الثني	١٧ القسم الأول من الكتاب
٤٦ وقعة الوجلة	١٧ خلافة أبي بكر
٤٧ وقعة الليس	١٩ ترجمة أبي بكر
٤٧ فتح الحيرة	٢٢ أعماله في خلافته

صفحة	صفحة
فتح هيت ۹۴	۴۹ مابعد الخيرة
تخطيط الكوفة ۹۴	۵۰ فتح الأنبار
غزو الفرس من البحرين ۹۴	۵۰ فتح عين التمر
فتح الأهواز ۹۶	۵۱ فتح دومة الجندل
انتفاض الهرمزان ۹۹	۵۱ وقعة الحصيد والخنافس
فتح تستر ۱۰۰	۵۲ وقعة الفراض
فتح السوس ۱۰۱	۵۳ صرف خالد إلى الشام
وفود الهرمزان ۱۰۱	۵۳ وقعة بابل
وقعة نهاوند ۱۰۳	۵۴ بدء أمر الروم
فتح همذان ۱۰۷	۵۸ وقعة اليرموك
الانسياح في بلاد العجم ۱۱۰	۶۰ وفاة الصديق
فتح أذربيجان ۱۱۰	۶۴ ترجمة عمر
فتح الباب ۱۱۱	۶۷ أمر العراق في عهد عمر
د خراسان ۱۱۴	۶۹ وقعة الجسر
د فساودر ايجرد ۱۱۶	۷۹ وقعة القادسية
د کرمان ۱۱۷	۸۷ فتح البرس
د سجستان ۱۱۷	۸۷ فتح بابل
د مکران ۱۱۷	۸۷ فتح کوثر
د بلاد الشام ۱۲۰	۸۷ فتح ساباط
د دمشق ۱۲۰	۹۱ فتح جلولا
د حمص ۱۲۲	۹۳ فتح نينوى والموصل
د مصر ۱۲۸	۹۴ فتح ماسبدان

صفحة	صفحة
٢٦٢ الطب	١٣٣ مقام الخلافة
١٧٧ مقتل عمر	١٣٦ الصلاة
١٧٦ ترجمة عثمان	١٣٨ الزكاة
١٧٧ أعماله في خلافته: في الكوفة	١٣٩ الحج
١٨٢ في البصرة	١٣٩ الصوم
١٨٥ في الشام	١٤٠ القضاء
١٨٩ في مصر	١٤٢ الفتيا
١٩١ القسم الثاني من الكتاب	١٤٣ الحدود
١٩١ الخروج على عثمان	١٤٤ الجهاد
٢٠٥ مقتل عثمان	١٤٩ بيت المال
٢٠٨ خلافة علي	١٥٢ العلم والتعليم
٢٠٩ ترجمة علي	١٥٣ القرآن
٢١١ أعمال علي	١٥٥ السنة
٢٣٥ اجتماع الحكيم	١٥٦ الفقه
٢٤٨ مقتل علي	١٥٦ التوحيد
٢٥١ خلافة الحسن	١٥٧ الحكمة
٢٥١ أعماله في خلافته	١٦١ الكتابة
٢٥٥ الخاتمة	١٦١ لغات الأعاجم

(تم الفهرس)